إسهامات عبدالله الطيب في الدراسات العربية

(دراسة تحليلية)

بحث جامعي قدم إلى مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي،

الهند، تكميلاً لمتطلبات الجامعة لنيل الشهادة الدكتوراه

إعـــداد وتقديم

عـبيـد الله خان

إشراف

البروفيسور رضوان الرحمن

مركز الدراسات العربية والإفريقية

كلية اللغات والآداب والثقافات

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهي ـ 110067

2016

مركز الدراسات العربية و الإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi – 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067

DECLARATION

I declare that material in this thesis entitled **"Contribution of Abdulla El Tayyib to the Arabic Studies: (An Analytical Study)"** submitted by me is original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University partially or fully.

Obaidullah.

Obaidullah Khan
(Research Scholar)

21/7/2016

SUPERVISOR
Prof. Dr. Rizwanur Rahman
CAAS/SLL&CS

Prof. Rizwanur Rahman
Chairperson
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi – 110067 India

21/7/16

CHAIRPERSON
Prof. Dr. Rizwanur Rahman
CAAS/SLL&CS

Prof. Rizwanur Rahman
Chairperson
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi – 110067 India

Gram: JAYENU Tel.: 2670 4253 Fax: 91-11-2671 7525

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠
WWW.SPLART.NET

الإهداء

- إلى أمي طيبة الروح وطلقة المحيا، التي أغرستني فيّ حب الدراسة وأهميتها وظلت معلّمة حقيقية لي ما دامت حياً، تقديراً لمثابراتها العجيبة على آلامها وأحزانها، ومحاولتها البالغة لإسعاد حياتنا، وزرع الخير فينا تحية لروحها الطاهرة التي فاضت إلى بارئها بعد معاناة طويلة مع مرضي السكر والقلب.

رحمك الله يا أمي يا نبض قلبي يا قرة عيني ويا أغلى ما فقدت!!!

كلمة الشكر والتقدير

الحمدلله الذي وفقنى لإتمام هذه الرسالة والصلوة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، أما بعد، وقال الشاعر:

الشكر أفضل ما حاولت ملتمساً به الزيادة عندالله والناس

فلهذا أرى من واجبي أن أشكر لكل من له مساهمة أو مساعدة أو توجيه في إخراج هذه الرسالة، في صورتها الحالية وأسأل الله أن يجزيهم أحسن الجزاء، وأقدم جميل الشكر والتقدير إلى الأستاذ البروفيسور رضوان الرحمن، رئيس المركز ومشرفي الكريم على هذه الرسالة لتوجيهاته القيمة وعنايته الخاصة وتشجيعاته المستمرة، جعل الله ذلك في ميزان حسناته.

وأود أن أسدي شكرى لجامعة جواهر لال نهرو، لإتاحتها لي فرصة الدراسة وتحضير الدكتوراه، وأخص بالشكر أسرة مركز الدراسات العربية والإفريقية.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى إخواني السودانيين وأخص بالذكر سعادة السفير أحمد عبدالواحد أحمد بسفارة السودان في نيودلهي، والأستاذ كرم الله الكركساوي، والسيد حسب القادر رئيس الجالية السودانية في الهند، لما قدّموا لى من المساعدات من توفير الكتب حتى إخراج بعضها من فم الأسد على حد تعبير الأستاذ كركساوي في رسالته الموجهة إلىّ بعد إرسال الكتب من السودان، إلى المساعدة في فهم كثير من المواضيع المتعلقة بعبد الله الطيب، فجزاهم الله خيراً.

والشكر موصول لجماعة من الإخوان والأصدقاء الذين أعانوني ضروباً من الإعانة في إعداد هذه الدراسة، وإني لأخص بالذكر الأخ العزيز الدكتور محمد مبشر أحسن، فله مني جزيل الشكر والامتنان.

أجمل عبارات التقدير والثناء والعرفان من قبل ومن بعد لله رب العالمين.

الباحث

عبيد الله خان

المقـدمة

المقـدمة

الحمد لله وبه نستعين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً، وبعد فعندما نقوم باستعراض الآداب العربية في جميع أرجاء العالم تبهر عيوننا بمعرفة الإسهامات الأدبية الضخمة الرائعة التي قدّمها السودان في الأدب العربي، إلا أن الأدب السوداني لم يأخذ حظه من الانتشار بين القراء والنقاد لا في الدول العربية ولا في غير العربية باستثناء أعمال بعض أعلامه من أمثال الطيب صالح ومحمد الفيتوري، ولكن الشخصيات التي لها إسهامات كبيرة في مجال الأدب العربي قبل وبعد هذين المبدعين لم تأخذ حقها حتى الآن. وفيما يتعلق بمعرفة الأدب السوداني في هذه البقعة من الأرض، الهند، فإننا ـ دارسي ومعلمى اللغة العربية ـ نجهل تقريباً الأعمال الأدبية التي تُوضع في السودان، ولا نلمّ حتى بأسماء أدبائه وعلمائه.

ولا يخفى على دارسي الأدب السوداني ما قدّمه عبد الله الطيب من الكتب القيّمة والبحوث العلمية والدراسات النقدية في اللغة وكان أشهرها على الإطلاق كتاب "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" الذي نال عنه جائزة الملك فيصل للآداب عام 2000، والذي كتبه في أربع مجلدات تتضمن مختلف جوانب الشعر العربي وخصائصه من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث. وقد نال الكتاب إعجاب الدكتور طه حسين الذي كتب "التقديم" لهذا الكتاب واعتبر نفسه سعيدا لتقديمه إلى القراء، إذ هو يقول: "هذا كتاب ممتع لأبعد غايات الإمتاع، لا أعرفُ أن مثله أتيح لنا في هذا العصر الحديث.. وإني لأسعدُ الناس حين أقدّم إلى القراء صاحب هذا الكتاب الأديب العالم البارع لمكانه من التجديد الخصيب في الدراسات الأدبية، ولأني أقدم إليهم طرفةً أدبية نادرة حقاً لن ينقضي الإعجاب بها والرضا عنها".

واقترح طه حسين في مقدمته لكتاب عبد الله الطيب، ترشيحه لجائزة الدولة التي تُقدّمها الحكومة المصرية لخير ما يصدره الأدباء من الكتب.

فإن المتصفح في أدب عبد الله الطيب يجد أن له العديد من الدواوين الشعرية، من أمثال "أصداء النيل" و"بانات رامة" و"سقط الزند الجديد" و"أغاني الأصيل"، و"الحماسة الصغرى". وهذه الأعمال هي خير شاهد ودليل على شاعريته الفذة، فكان من أتباع المدرسة القديمة، وكان كثير العناية بالشعر العربي القديم؛ معجباً بالشعراء العرب القدماء، حتى أن الدكتور طه حسين وصف افتنانه بالقديم قائلاً: "وهو قد فُتن بالشعر العربي القديم فتنة لا حد لها ولا غاية.... إنه درس اللغة العربية فأتقن درسها، وتعمَّق الشعر العربي القديم، كما لم يتعمقه أحد من المعاصرين، وقرأ الشعر العربي في العصور المختلفة".

ولعبد الله الطيب مؤلفات عديدة توافرت لها المنهجية ودقة النظر من الناحية العلمية، وحسن التناول وسلامة الذوق من الناحية النقدية والأدبية، ومنها "مع أبي الطيب" و"الاتجاهات الحديثة في النثر العربي بالسودان" و "الطبيعة عند المتنبي" و"القصيدة المادحة و مقالات أخر" و"من نافذة القطار".

وقد اشتهر عبد الله الطيب بمساهماته في الإذاعة والتلفزيون، يعرفه كل أبناء السودان صغيرهم قبل كبيرهم وأميّهم قبل عالمهم، بسبب تفسيره للقرآن على الإذاعة السودانية بين عامي 1958-1969 بلغة سهلة قريبة من اللهجة السودانية الدارجة التي يفهمها المستمعون إلى محاضراته من المتعلمين والأميين، مع تلاوة المقرئ الشيخ صدّيق أحمد حمدون الذي اشتهر في حلقات القرآن مع عبد الله الطيب في هذا البرنامج الذي كان جميع أهل السودان يتحمسّون لإستماعه. هذا ويحتوى التفسير الإذاعي لعبد الله الطيب على خمسة آلاف حلقة إذاعية تحت عنوان "دراسات في القرآن الكريم"، ومعظم الحلقات هي ما بين خمس وعشرين إلى خمس وثلاثين دقيقة.

ولعبد الله الطيب محاضرات قيمة على التلفزيون، كانت تُبثّ على التلفزيوان السوداني تحت عناوين وبرامج مختلفة، ومنها سلسلة من المحاضرات باسم "سير وأخبار" و "شذرات من الثقافة"، حول التاريخ الإسلامي والأدب العربي والتراث الإسلامي والآداب والفنون الأخرى، وكذلك محاضراته في "الدروس الحسنية". وكانت هذه المحاضرات تقع من قبول المتلقى من المشاهدين في درجات تأثيرية متفاوتة من العلم والمعرفة والفهم، ثم الإعجاب بها ثم الحب حباً يخلب اللب ويستميل القلب. وكان هدفه من هذه المحاضرات التلفزيونية هو تعليم وتثقيف وتربية أبناء شعبه وأبناء الأمة العربية والإسلامية وتزويدهم وتحليهم بالمعلومات، ثم عنايته بمشاكل اللغة وقضاياها من مناهج تعليمها للصغار إلى قضايا التعبير بالعربية والكتابة بها، ثم اهتمامه بالبلاغة فقد كان يرى أن العرب الآن فقدوا البلاغة دون قصد منهم، واللغة التي يستعملونها العرب لا تدل على عمق في ثقافتهم.

ونظراً إلى همومه باللغة العربية الأصيلة، ومساهماته العلمية الضخمة ركّزتُ في اختيار موضوع بحث في دراسة أعماله بعنوان "إسهامات عبد الله الطيب في الدراسات العربية: دراسة تحليلية"، ولا يخفى على أحدٍ يعرفه ما لهذا الموضوع من أهمية كبيرة، إذ أن هذه الشخصية علم بارز من أعلام اللغة والأدب في العصر الحديث، ولم يحظ بعد بالدارسة والبحث العلمي الذي يجلى أعماله وآرائه وما أثار من آراء ومشاكل في قضايا اللغة العربية، إلا بعض المقالات المتناثرة في بعض المجلات والصحف أو الدوريات، مما لا يتناسب مع هذه الشخصية. كما أن هناك رسالة بعنوان "البحث البديعي في كتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" أعدها الباحث بخت عمران العوضي لنيل شهادة الماجستير في البلاغة والنقد من جامعة أم القرى كلية اللغة العربية في المملكة العربية السعودية، ولكن هذه الرسالة تدور فقط حول كتابه المرشد وآراء صاحبه واستداركاته في

الفنون البديعية المعنوية واللفظية، ولا تتحدث عن غيره من الجوانب لا في حياته ولا في إسهاماته المتنوعة، ولهذا السبب تجنبت عمداً عن تغطية هذا الكتاب بشكل خاص في هذه الدراسة الحثية.

وفي كتابة هذا البحث ما التزمت بأي منهج نقدي، واعتمدت على الاستقصاء لكل ما أتناوله تحليلا ودراسة، فقد شغلت بأدب عبد الله الطيب منذ اطلاعي عليه قبل سنوات خلال موعد لي مع دبلوماسي سوداني معتمد لدى نيو دلهي في مكتبه بمقر البعثة السودانية، وكان جهاز التلفاز مُنصبّاً على الحائط أمامي، وتلفزيون السودان كان يبثّ محاضرة لعبد الله الطيب بعنوان "سير وأخبار" خلبت لبي وأسرت عقلي، ومنذ ذلك الحين وأنا أبذل قصارى جهدي في أن يكون أدبه وفكره ميداناً لدراستي، وكذلك مما دفعني إلى اختياره لموضوع البحث، هو التعريف بهذه الشخصية العلمية الفذة في هذه البقعة من الأرض.

أما مصادر هذه الدراسة فهي ليست متنوعةً لأنه لم يُكتب عنه كثير إلا في المجلّات، والصحف والدوريات، والأصحّ أن أهمّ المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هذه الدراسة هي دراستي المباشرة لكتبه العلمية التي لا يسهل فهم موضوعها بيُسر، والاستماع إلى محاضراته التلفزيونية والإذاعية المتوفرة على موقع "يوتيوب" للفيديوهات، ولهذا السبب عقدتُ فصلاً خاصا لدراسة مساهماته عبر الإذاعة والتلفزيون. وفي الحقيقة هذه الدراسة حصيلة كثير من العمل الدؤوب، ومئات من المراسلات الإلكترونية ومحادثات السكايب، وواتس آب، وفيسبوك ودردشة على مواقع التواصل الاجتماعي العديدة مع زملاء وطلاب ومعارفي عبد الله الطيب وأساتذة اللغة العربية في السودان، والبحث عن عشرات من الأعمال النثرية والشعرية. وقد حاولت هنا إعداد بحث شامل حول الدكتور عبد الطيب، إلا أنه حتى الآن هناك الكثير لم أستطع الحصول عليه أو الكتابة عنه، وسأذكره في خاتمة البحث.

ودراستي هذه تحتوي على أربعة أبواب ذات فصول ثلاثة، وتسبقها مقدمة وتليها خاتمة.

المقدمة: تعريف مؤجز لجميع ما قدمت به في الدراسة، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره والمنهج المتبع في الدراسة والمصادر التي اعتمدتُ عليها.

الباب الأول: حياة عبد الله الطيب، وفيه الحديث عن مولده وأسرته ونشأته ومراحله التعليميه ومجالات عمله في السودان وخارج السودان، ومرضه ووفاته وانطباعات العلماء وما إلى ذلك من جوانب تخصه.

الباب الثاني: إسهامات عبد الله الطيب في الشعر العربي، وفي هذا الباب ألقى الباحث أولاً الضوء على الشعر والشعراء في السودان، ثم تحدّث عن دوواينه الشعرية، وأخيراً ناقش الخصائص الجمالية في شعره. وقد جعل الباحث هذا الباب من أهم أبواب البحث لدراسة دواوينه الشعرية وتحليل شاعريته دراسةً وتحليلاً يضعه في صفوف الشعراء الكبار ويوضّح أمام القارئ أن عبد الله الطيب من الشعراء الكبار الذين يمثّلون قيمة رابحة ومتنامية، وليس كما البعض من النقاد يروه أديباً كبيراً ومفكراً عملاقاً ولكن يجرّده من الشاعرية ولا يتردّد في السخرية منه والتهكّم عليه كشاعر.

الباب الثالث : إسهامات عبد الله الطيب في النقد والأدب والبحث، وقمت في هذا الباب باستعراض كتبه التي تمكّنت من الحصول عليها، وتحدّثت فيها بشكل مفصّل عمّا فيها من المواضيع الهامة، والعناصر الموجودة فيها مثلاً عناصر السخرية في كتابه من نافذة القطار، وقضية الإفتنان بالشاعر الإنجليزي ت.س. إليوت وآرائه النقدية، إلا أنني حاولت عدم ذكر التفاصيل عن كتابه المرشد، لوجود بحث مستقل فيه، واكتفيت بإيراد عرض وجيز له. كما يحتوى هذا الباب على حديث مفصل حول مسرحياته الشعرية وذكر ما فيها من المحتويات والقيمة الأدبية.

الباب الرابع: إسهامات عبد الله الطيب عبر الدروس الإذاعية والتلفزيونية، فأولاً تحدثت عن دور الإذاعة والراديو في البناء الثقافي والاجتماعي عند عبد الله الطيب، ثم ذكرت بالتفصيل محاضراته الإذاعية لتفسير القرآن التي تحتوى على خمسة آلاف حلقة إذاعية، ثم تطرقت إلى الحديث عن محاضراته العلمية في قصر الملك المغربي الحسن الثاني ضمن الدروس الرمضانية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث وبعض من توصياته.

وأخيرا؛ أرفع من الشكر أجزله ومن الثناء أعطره إلى مشرفي البروفيسور رضوان الرحمن، الذي كثيرا ما تمتّعت بعطفه و حنانه و الذي يسّر لي البحث بنصحه، راجيا منه أن يغفر لى تقصيري في أحيان قليلة ماضية ويستمر بلطفه وكرمه مستقبلاً. اللهم تقبل مني هذا البحث واجعله سبباً لمعرفة شخصية عبد الله الطيب وأدبه في الهند.

الباب الأول

عبد الله الطيب حياته وآثاره

الفصل الأول: البيئة والمولد والمنشأ والتعليم

الفصل الثاني: خلقه وصفاته الحسنة

الفصل الثالث: مرضه ووفاته وانطباعات العلماء

الفصل الأول: البيئة والمولد والمنشأ والتعليم

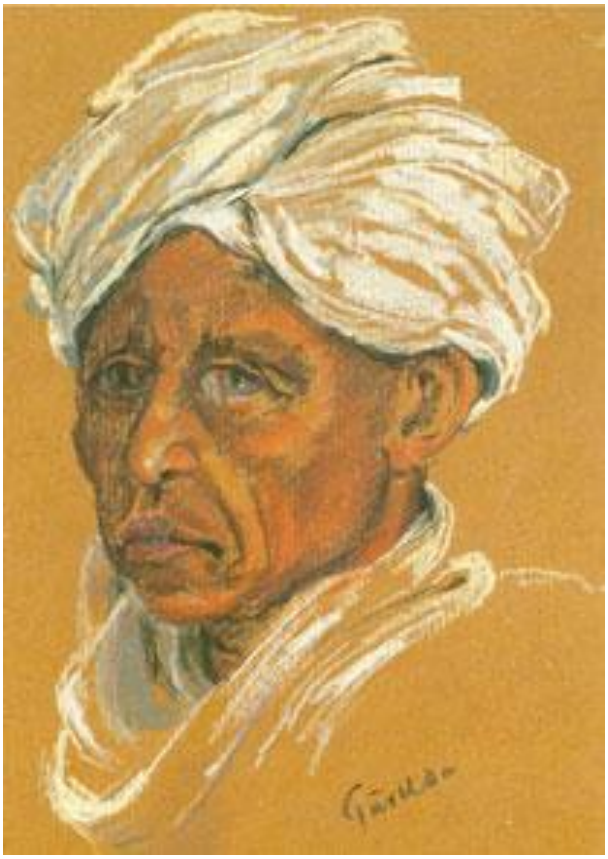

صورة شخصية للدكتور عبد الله الطيب، رسمتها زوجته "جرزلدا تريدول" الانجليزية

الفصل الأول: البيئة والمولد والمنشأ والتعليم

اسمه ونسبه ومولده:

وهو عبد الله الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب ابن آب دامع بن حمد ضمين الدامر بن عبد الله بن الحاج عيسى بن قنديل بن حمد بن عبد العال بن عرمان.1 ينتهي نسبه إلى أسرة المجاذيب والتي هي إحدى فروع الجعليين العرامنة. فهو جعلي حيث يتحدث هو نفسه عن جده عرمان جد الجعليين في مقدمة ديوانه "أصداء النيل"، وعرمان فيما ذكروا هو جد الجعليين العرامنة وهم الذين يقطنون فيما بين جبل أم علي و المحمية، والجعليون الذين بين حجر العسل شمالي خانق السبلوقه وجبل أم علي يقال لهم العدلاناب نسبة إلى عدلان جد الملوك السعداب الذين كان منهم الملك نمر.2

وقد ولد عبد الله الطيب في اليوم الثاني من شهر يونيو عام 1921م الموافق الخامس والعشرين من رمضان سنة تسع وثلا ثين ثلاثمائة وألف للهجرة في قرية "التميراب" الواقعة بالجانب الغربي من مدينة "الدامر" في شمال جمهورية السودان. ومن المعلوم أن للدامر في ذلك التاريخ وقبله وبعده من العلم والفضل والإحسان ما لا تكاد تجده في غيره من القرى، فيها العلم علم الدين والعربية، وفيها العمل فكم فيها من فقيه زاهد عابد مجاهد[3].

وكان لعبد الله الطيب ست أخوات وشقيق واحد، كلهم رحلوا إلى الدار الفانية، إلا أخته التي تُدعى فاطمة. وهم على الترتيب: آمنة، عبد الله، فاطمة، حسن، أم الخير، أم الحسن، والشقيق الوحيد حسن.[4]

---

1 عبدالقادر محمود عبد الله، "عبد الله الطيب وجريزلدا: العثور على الذات الأخرى"، الطعبة الأولى، دار نشر جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم، 2014، ص: 38.

2 عبد الله الطيب، "أصداء النيل"، الطبعة الخامسة، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1992 ص 3

3 الحبر يوسف نور الدايم، "شذرات من سيرة العلامة الراحل عبد الله الطيب" ص، 2.

4 عبد الله الطيب، "من حقيبة الذكريات" الطبعة الأولى، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1983، ص 38

نشأته ومراحل تعليمه:

قد ولد عبد الله الطيب في بلدة اشتهرت لكونها مركزا لخلاوي[5] القرآن التي اشتهر بها السودان منذ دخل الإسلام أراضيه. وقد نشأ عبد الله الطيب حول بريق "الخلاوي" القرآنية، وما حولها من القراء الذين يتلقّون تلاوة القرآن الكريم من أفواه الرجال خلفاً عن سلف. وكذلك الأسرة التي ولد فيها عبد الله الطيب كانت تتمتع بسمعة ذات نطاق وسيع للعلم والأدب حتى سميت المدينة التي تسكنها أسرة المجاذيب هذه بـ"دامر المجذوب". فانفتحت آذانه على سماع آيات القرآن الكريم و الأشعار الجيدة في خلاوي آبائه ومجالسهم العامرة. وترعرع في أحضان نهر النيل الذي تحرسه نداءات المآذن منذ أمد بعيد[6]،

فدخل عبد الله الطيب الخلوة القرآنية لتعلم القرآن وحفظه في سن مبكرة ونمت موهبته الذاتية هناك، فبدأ يقرأ ما تيسر له من الشعر العربي القديم. وكان أبوه يساعده في ذلك و يعينه كأستاذ حنون و مرشد عطوف، إذ هو كان معلما محسنا، وشاعرا مجيدا... يقرأ القرآن ويحسن قراءته ويتعلق بعلومه ناظراً فيما وضع فيها من تآليف الشاطبي وابن الجرزي وغيرهما من الفحول، فنشأته كانت في بيت علم شادخ غرته رواقه ممتد، بساطه ممدود وظله دائم[7]. ثم أسرته كانت تنقل من بلد لآخر نظرا إلى أشغال أبيه، وتفتحت قدراته العقلية واتسعت مداركه بمعرفة كثير من المدن و القرى و معايشة أهلها مثل مدينة "كسلا" في شرق السودان ومدن عديدة في شمال السودان. فتحكمّت في نفسه رغبة التعلم والدراسة حتى أشرب روحها بمحبة العلم و الأدب، فمال إليه بجميع موهباته ومداركه العقلية للدرس والمطالعة[8].

---

5 خلاوي: نسبة إلى خلوة وهي أشبة بالكتّاب تكون ملحقة بالمسجد، وهي في الحقيقة مدارس قرآنية في السودان، ولها دور مهم وأساسي في تاريخ التعليم في السودان.

6 صحيفة الوسط البحرينية - العدد 304 - الإثنين 07 يوليو 2003م الموافق 07 جمادى الأولى 1424هـ

7 الحبر يوسف نور الدايم، "شذرات من سيرة العلامة الراحل عبد الله الطيب" ص، 2.

8 المرجع السابق ص 3.

وفاة والد عبد الله الطيب وهو ابن صغير:

في هذا الوقت عندما مال عبد الله الطيب إلى التعليم والدراسة برغبة شديدة وبدأ يقضي معظم أوقاته في الدرس والمطالعة ولم يمض على هذا الحال إلا سنوات عديدة حتى توفّي أبوه في يوم الثلاثاء الثامن عشر من مارس سنة 1933م، تاركاً ابنه في بداية رحلته التعليمية[9]، فساد عليه آثار الحزن إلا أنه لم يدع أن يعرقل في مجراه الدراسي.

استمرار دراسته ونيله شهادة الدكتوراة في وجه الأحداث المؤلمة والمحزنة:

وظل عبد الله الطيب يدرس مع أن الحزن العميق كان يسود على نفسه و على أسرته جمعاء ثم لم يكد أن ينشق هذا الحزن السائد إلى أن فجع بشقيقه الأصغر حسن الطيب الذي مات غريقاً وهو كان في السادسة من عمره، فأحدثت وفاته جرحا غائرا في نفسه لم يستطع عبد الله الطيب على نسيانه طوال حياته كما هو جلي من قصائده، فقال في قصيدة وعنوانها برق المدد بعدد وبلا عدد ذاكراً أخاه:

أخي حسن يا ليته قد تقدما		به العمر كي يلفى لنقصي متمما
ألم ترني دمعي لذكراه قد همي		فمرا على قبرين في دامرهما[10]

ثم بعد عدة أشهر فجع بوفاة والدته عائشة ثم أختيه و عدد من أقاربه فاستولى عليه الحزن العميق حيث أصبحت السنة له سنة الحزن واليأس، ولكن لم يستطع هذا الحزن العميق والهم المستولي على نفسه أن يحول دون تعليمه ويعرقل في دارسته لأنه أبى أن تصرفه هذه الظروف القاسية عن التحصيل العلمي، بل أحكمته في أهدافه فواصل تعليمه بمدارس كل من"كسلا" و"الدامر"

9 عبد الله الطيب، "من حقيبة الذكريات" المرجع السابق، ص 38.

10 عبد الله الطيب، "برق المدد بعدد وبلا عدد"، جامعة افريقيا العالمية، ص 6.

و"بربر"، حيث أكمل دراسته في "الخلوة" و تخرج فيها ثم تدرج إلى المرحلة العليا لينتقل إلى الدراسة الحكومية بالمدارسة النظامية فالتحق بها وبذل جل أوقاته هناك في الدرس والاستفادة حيث تفوق على جميع زملائه تفوقا أتاح له القبول مجانا بالمرحلة الابتدائية بـ"بربر". فألحق بمدرسة بربر المتوسطة، فدرس هناك ما درس وأجاد في جميع مواده الدراسي و حصل على علامات ممتازة و نبغ غاية النبوغ فيها. فكان عبد الله الطيب يمضى في دربه عازماً موقناً بتوفيق الله ونصره، يسنده شيخه الشاعر الأديب مجذوب جلال الدين الذي كان أستاذه ومعينه ومرشده بعد وفاةوالده. وقراءتك لبعض قصائده وإهداءاته تظهر لك الحبّ العميق والصلة الوطيدة التي تربط بين الشيخ المجذوب الذي كان بمثابة الأب الثاني له، فلتقرأ في أول ديوانه "بانات رامة هذا الإهداء: "إلى الوالد الأستاذ، الشاعر، العلامة، الفقيه، الندس، النجيب الأديب الشيخ محمد جلال الدين حفظه الله وأطال بقاءه[11]".

ويروي عنه أستاذه الشيخ الهادي آدم الذي كان يدرس في "بربر": أن مرة عبد الله الطيب جاء إلى المدرسة متأخرا، وهو لا يحمل قلما ليكتب به فانتهره السيد "براون" إلا أن الهادي آدم طلب منه ان يمنح عبد الله فرصة دقائق معدودة، وناوله الهادي قلما فكتب الموضوع المطلوب بلغة إنجليزية أذهلت السيد"براون" الذي منح عبد الله الطيب المجذوب العلامة التامة في اللغة الإنجليزية، وأوصى بتعليمه مجانا مع منحة دراسية لشدة إعجابه بذكائه وبلاغته بلغة شكسبير فضلا عن لغة الضاد[12].

وذهب من تلك المدرسة إلى كلية غردون التذكارية بمدينة "خرطوم" حيث ثابر على تعليمه و جد في دراسته. ونال مكانا مرموقا بين جميع طلاب الجامعة و فاز

11 المرجع السابق، ص 6.

12 ، عبد القادر محمود عبد الله، "عبد الله الطيب وجريزلدا: العثور على الذات الأخرى"، المرجع السابق، ص 56

بعطف الأساتذة و كرمهم فأرسل إلى بريطانيا ملتحقا بجامعة لندن بمدرسة الدراسات الشرقية و الأفريقية فنال منها في عام 1948م شهادة البكالوريوس، ثم بعد عامين من هذه الشهادة فحسب حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من نفس الجامعة في عام 1950م. وكان موضوع بحثه للدكتوراه "مع أبي العلاء"[13].

ثقافته:

إن ثقافة عبد الله الطيب ذات نطاق واسع فالبحث عنه يحتاج إلى جهد كثير كما يحتاج إلى مساحة كبيرة لأنه مرّ في حياته عبر تجارب عديدة واستقى من مناهل شتى لبناء شخصية قل أن يجود الزمان بمثلها. ولشغفه البالغ وولوعه المتزايد للشعر العربي إنه كان قد حفظ جل أشعار العرب، فلا يسع لطالب عند سرد أي بيت أو شعر عربي قديم إلا كان عبد الله الطيب يكمل عجزه فهذا تلميذه الرشيد المحبب إلى نفسه البروفيسور الحبر يوسف نور الدايم استاذ اللغة العربية بجامعة الخرطوم سابقاً و المراقب العام للاخوان المسلمين في السودان يقول : "إني أحسب أنه لا يوجد بيت من الشعر قالته العرب إلا وأستاذنا عبد الله الطيب قد اطلع عليه، إن لم يكن يحفظه، وقد كنت ذات يوم في المكتبة الكبرى بجامعة الخرطوم وعثرت على كتاب قديم ممزق من كتب اللغة العربية، وبينما أنا أقلب ذلك الكتاب عثرت على بيت لشاعر جاهلي مغمور يصف تمرة، فحفظت ذلك البيت وكنت أظن أنني الوحيد في العالم كله الذي يحفظ ذلك البيت. وكان من عادة أستاذنا عبد الله الطيب أن يقيم مآدب للإفطار في رمضان يدعو إليها تلاميذه وأصدقائه ومحبيه، وبينما كنا معه ذات يوم في إحدى تلك المآدب، مددت

13 عبد الله الطيب، "من حقيبة الذكريات" المرجع السابق، ص 38

يدي لأتناول تمرة من الطبق، وأنا أتمثل بذلك البيت، فما كدت أكمل صدر البيت:

وكنتُ إذا ما قُدِّم الزادُ مولعاً...

فإذا بالأستاذ يكمل عجز البيت على الفور؛ قائلاً: بكلِّ كُمَيتٍ جلدةٍ لم توَسَّفِ"[14]

وكذلك احتاج الدكتور جعفر ميرغني أحد الطلاب النابغين الأثيرين عند عبد الله الطيّب في امتحان الادب الاموي إلى شواهد في موضوع معين فلم يجد فطفق يؤلف البيت ويقول: قال ذو الرمة، ثم يورد البيت. فناداه عبد الله الطيب وقال له: يا جعفر ذو الرمة قال الكلام دا وين؟ فاعترف جعفر بما فعل فقال له عبد الله الطيب "و الله لولا انني احفظ كل شعر ذي الرمة لما شككت في الامر قط[15].

أتقن عبد الله الطيب، علوم الدين، واللغة العربية، والتاريخ الإسلامي، وأتقن الأدب العربي علماً به وتصرفاً فيه كأحسن ما يكون الإتقان، وبمثل ذلك القدر، أتقن معرفة الحضارة الغربية، وآدابها. فهو الذي يحدثك عن كيتس، وت.س. إليوت ووبيتس، بنفس الدفق، والفخامة، التي يحدثك بها عن المعري، وأبي تمام، وأبي الطيب المتنبي، وأبي نواس. وبهذا المعنى، فعبد الله الطيب، ليس أديبا وحسب، وإنما هو مفكر، عربي، مسلم، من الطراز الأول. لقد عرف الحضارة الغربية، معرفة كبيرة، وقد أفاد منها إفادة كبيرة أيضا، غير أن معرفته بالثقافة الغربية، خصبت رؤيته لتراثه، وعمقت إيمانه بالجوانب الإيجابية فيه. فهو واحد ممن لم تجرفهم فكرة الحداثة، المتجذرة في الفكرة العلمانية الغربية. لقد كان وسطيا، وسطية الحبر المدرك لدقائق الأمور، القادر على تشريح مكامن الإلتباسات. وبهذا فقد برء تمام البرء من وسطية التوفيقيين التعسفيين الضحلة[16].

14 عبدالقادر محمود عبد الله، "العثور على الذات الأخرى"، المرجع السابق، ص، 84

15 عمر الصديق عمر، "السخرية والطرفة عند عبد الله الطيب" التوثيق، السودان.

16 عبد الله الطيب، "المرلشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، الطبعة الثالثة، مطبعة حكومة الكويت، 1989ج1 ص 7.

و كان عبد الله الطيب من أوائل السودانيين الذين تزوجوا من غربيات. وهو على رأس السودانيين الذين صمدت زيجاتهم، لعوادي الزمن، ولعوائق، تباين النسق العقلي، والإرث الثقافي. وفي هذه وحدها دلالة كبيرة على رحابة العقل، وكريم الخلق، وسعة القلب، وسلاسة المسلك، وطيب العشرة. لقد كان عبد الله الطيب تجسيدا فريدا، للمزج الواعي، بين قيم التراث، وقيم الحضارة الحديثة. وهو بهذا المعنى واحد من الطلائع الذين ركزوا أقدامهم على أرض ميعاد التواصل الإنساني، الفسيحة الممتدة، وراء تضاريس حواجز اللون، والعرق، والتباين الثقافي[17].

في مهنة العمل:

ما إن أكمل عبد الله دراسته حتى اشتغل كمحاضر في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن. ثم رجع إلى وطنه الحبيب السودان حائزا على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة لندن. وتولى فور عودته رئاسة قسم اللغة العربية بمعهد إعداد المعلمين بمعهد التربية ببخت الرضا وسط السودان، حيث أشرف علي مناهج اللغة العربية بالمدراس الابتدائية. حيث استفاد من تجاربه في أوروبا في سبيل التعليم والدراسة وأدخل كثيرا من النظريات الحديثة التي استطاع أن يطور بها كثيرا من منهاج الدراسة في السودان. فكان له في ذلك فضل امتد إلى سنوات طويلة توارثته أجيال عن أجيال[18].

كذلك ألف كتابا باسم "سمير التلميذ" للمطالعة الذي كان مقررا على تلاميذ المدارس المتوسطة. وهنالك نظم بعض الأناشيد والمحفوظات اللطيفة – من وحي ذكريات طفولته الحبيبة إلى نفسه بلا ريب- لتلاميذ المدارس الأولية "مرحلة

17 سليمان عبد الله حمد، "عبقري الحداثة البروفيسور عبد الله الطيب"، رابطة أدباء الشام http://www.odabasham.net/ 25 نوفمبر 2016.

18 مستفاد من سيرته الذاتية المتوفرة على موقع معهد عبد الله الطيب.

الأساس" ما يزال بعضها يدرّس حتى الآن مثل: "لي قطة صغيرة سميتها سميرة"، و"جاء إسماعيل تبدو بسمة في شفتيه" و"شوينا السنبل النضر على الجمر على الجمر" وغيرها، وغيرها. واستمرت مسيرته العلمية بعد ذلك؛ إذ أصبح أستاذا في قسم اللغة العربية في جامعة الخرطوم سنة 1956م، وفي نفس العام منح عبد الله الطيب درجة الأستاذية "بروفيسور" ثم بعد عدة سنوات اختير عميدا لكلية الآداب[19].

وقد بذل عبد الله الطيب خلال هذه السنوات كلها جهدا كبيرا و عناية كثيرا لأجل تطوير الجامعة و الوصول بها إلى مصاف الجامعات العالمية الحديثة، حيث أدخل مادتي اللغة الفرنسية واللغة الروسية. وعنايته هذه باللغة الفرنسية دفعت فرنسا إلى تقديره فمنحته "جائزة النحلة للدولة" وهي أكبر جائزة فرنسية تمنح لرجال العلم و الأدب والفنون آنذاك[20]. وتبعاً لذلك دعته روسيا لزيارتها، فلبى دعوتها ووجد من حكومتها ومؤسساتها العلمية كل قبول وترحيب وعرفان.

انتقل الطيب إلى نيجيريا سنة 1964م، وأشرف على إنشاء كلية "Ado- Bayero"، "عبد الله بايرو" في جامعة أحمدو بيلو في مدينة "كانو" بنيجيريا، وكان أول عميد لها،و أقام هناك زهاء عشر سنوات يقدم خدماته لتطوير الكلية وما فيها من الأقسام والمعاهد[21]. ثم دعاه حنين الوطن فعاد إلى السودان،وتولى منصب الإدارة لجامعة الخرطوم سنة 1974 - 1975م، ولكون عبد الله الطيب رجلا نشيطا ذا حيوية دائمة شهدت الجامعة في إدارته تطورا كبيرا على المستوى الاقتصادي و العمراني والتوسع الأفقي، إلا أنه لم تطل فترة الإدارة هذه حيث انتقل إلى جامعة جوبا في جنوب السودان سنة و تولى منصب الإدارة لها لفترة 1975 - 1976م.

19 المرجع السابق.

20 عبدالحئ القاسم عبدالمؤمن عمر، "حياة البروفيسور عبد الله الطيب"، ورقة المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية.

21 صحيفة الوسط البحرينية - العدد 304 - الإثنين 07 يوليو 2003م الموافق 07 جمادى الأولى 1424هـ

ثم أصبح أستاذا فخريا مدى الحياة في جامعة الخرطوم التي منحته الدكتوراة الفخرية عام 1981م. كما عمل خلال الفترة 1977-1986م أستاذاً للدراسات العليا في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة سيدي بن عبد الله في مدينة فاس بالمغرب[22].

هذا بالإضافة إلى جهوده في تطوير المعاهد السودانية ومساهماته الفاعلة في تأسيس العديد من الجامعات في السودان ونيجيريا، وتدريسه في عدد من جامعات بريطانيا والسودان والمغرب ونيجيريا والكويت، وعضويته في العديد من المجامع اللغوية العربية، مثل مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ سنة 1961، ورئيسا لمجمع اللغة العربية في الخرطوم، ورئيساً لاتحاد الأدباء السودانيين، كما كان عضوا في هيئة تحريرا لموسوعة الإفريقية في غانا[23].

عبد الله الطيب الشاب في مجمع اللغة العربية بالقاهرة مع العقاد

<u>زواجه:</u>

أثناء دراسته في لندن، التقى عبد الله الطيب بشريكة حياته "جرزلدا تريدول" التي كانت زميلة له في معهد التربية بلندن عام 1948م، وهي فنانة تشكيلية بريطانية، فتزوجها وأصبح من أوائل السودانيين الذين تزوجوا من غربيات.

22 من سيرته الذاتية المتوفرة على موقع معهد عبد الله الطيب

23 المرجع السابق.

واعتنقت جرزلدا الاسلام بعد سنوات طوال من زواجها من عبد الله الطيب. ولم يُرزقا بأطفال.

وزواجه من فتاة غربية يدل على سداد رأيه و عزيمته إذا اعتزم فهو تزوج بغربية مع انتماءه بأسرة دينية ملتزمة في عهد لم يكن الناس يرون مثل هذا الزواج مباحا. فهذه قطعة من الحوار الذي أجراه أحد مراسلي صحيفة "الأمل الإليكترونية" محمد المهدي مع حرم عبد الله الطيب جرزلدا الطيب، دعني نسوق جزءا من الحوار ليظهر أمر زواجه مع فتاة غربية على لسان تلك الفتاة بنفسها. فتقول في معرض ردها على سؤال الصحفي المذكور عن أول لقاء بينهما: إنه في عام 1945 بعد نهاية الحرب العالمية الثانية الحكومة الانجليزية في السودان أرسلت وفوداً من المعلمين وآخرين جاءوا لكورس في جامعة لندن وقد جاء هو مع هذا الوفد وقتها كنت طالبة في معهد التربية بجامعة لندن وكان معه من السودان عبد الرازق عبد الغفار فكان ذات مرة دعاني الى الغداء في كفتريا الجامعة وكان معنا شفيق شوقي ومحمد علي وكان يجلس يساري عبد الله الطيب عرفني به عبد الرازق فبدأ يتحدث معي عن الاستعمار وما فعله في السودان وسلبياته وأنا كنت أنظر له و أتأمل في طريقة كلامه ماذكره من حديث دخل بي هنا وخرج بي هنا (أشارت دخول الحديث من أذن وخروجه من أذن أخرى) لكن طريقة كلامه جذبتني إليه فشدني إليه حديثه وجمال أسنانه، ففي أول لقاء لي به كان يهاجم في الاستعمار البريطاني وفي الإنجليز أنفسهم لكنني كنت أتأمل في جمال أسنانه ومنذ ذلك الوقت تعلقت به. ثم مرت سنة التدريس وبدأت أبحث عن عمل فاخترت ثلاثة مدارس مختلفة وبعيدة لأجد فرصة لمقابلة عبد الله، وعبد الله بعد نهاية الفترة تم اختياره من بين الدارسين السودانيين للدراسات العليا في لندن وطلب من المسؤول السوداني في ذلك الوقت إبقاء عبد الله الطيب وعدم عودته إلى السودان فتمت الموافقة له للمواصلة في جامعة لندن. أثناء دراسته للتمهيد

في الإنجليزي والفلسفة واللغة العربية، أساتذة اللغة العربية قالوا هذا الطالب يجيد العربية أكثر منا فأقنعوا الحكومة السودانية في تسجيله لنيل الدكتورة. ولكن عندما سافر أصدقاءه عبدالرزاق و أحمد الطيب إلى فرانكفورت وصوا عبد الله الطيب علي قالوا له:(خلي بالك من هذه البنت) لكن بعد خروجي من المحاضرة لم أجده خرج وتركني، سألت من بعض الطلبة الذين كان يقوم بتدريسهم العربية فقالوا لي أنه ذهب فخرجت لألحق به وقبضته وبدأت علاقتنا منذ ذلك الوقت فعندما عاد أصدقاؤه علقوا على أنه تغير [24].

ومما يجدر ذكره أن جرزلدا الطيب، تعرفت على اللغة العامية السودانية وكل الأشياء السودانية، لأنها اعتبرت السودان وطنها. وهي تعيش في السودان حتى بعد انتقال عبد الله الطيب إلى دار الخلود.

<u>شيء عن زوجته جرزلدا الطيب:</u>

ولدت جرزيلدا بالمملكة البريطانية في أسرة تربوية، وكان والدها معلماً وكذلك والدتها وكانا يدرّسان اللغة الفرنسية ولكن والدها ترك تدريس اللغة الفرنسية

24 رصد وفاء طه، "جريزلدا الطيب بنادي القصة السوداني" الصحافة، الخرطوم، ليوم 15 مارس 2011.

قبل تقاعده، والتحق بجامعة لندن من جديد ليدرس فيما بعد الفنون، لذلك فهي نشأت في بيئة تربوية، ومن حيث التوجه نحو الفن.

كان والد جرزلدا فناناً يأخذ ابنته جرزلدا وإخوتها إلى متاحف لندن فهي منذ البداية نشأت تنشئة تربوية ثقافية وهي منذ صغرها ألفت الغربة والأوساط الغريبة وهذا ما أهلها لتعيش في السودان. عندما كان عمرها 8 سنوات كانت والدتها ترسلها إلى عائلة فرنسية تمكث معها ثلاثة أشهر لتعلم اللغة واستمرت هكذا إلى أن بلغت السادسة عشر من العمر ولذلك تعودت على الغربة وأتقنت اللغة اتقانا تاما، مع ذلك درست في معهد التربية الذي ذهب إليه عبد الله الطيب وغيره من السودانيين، وهناك التقت به مع زملائه وتعلقت به وتعلق بها وعاشا فترة طيبة وسعيدة إلى أن تزوجا فيما بعد[25].

عندما جاءت جرزلدا تريدول الى السودان في أول زيارة لها ذهب بها بروفيسور عبد الله إلى الدامر حيث أقامت فيها ثلاثة شهور أتقنت خلالها اللغة العربية ولم تأت الخرطوم إلا لماماً. ثم في رحلة أخرى عندما جاءت إلى السودان التحقت بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجية وتحصلت على الماجستير من جامعة الخرطوم معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية.

فزوجة عبد الله الطيب جرزلدا الطيب، اسم يعرفه أهل الخرطوم، والنخبة السودانية، ولوحات ارملة البروفيسور عبد الله الطيب أحد أبرز المربين والأدباء العرب، تنتشر مثل فراشات الصباح لدي محبي الفن التشكيلي. درست جرزلدا الالوان في ضباب لندن، وبلت ريشتها في سماوات وسهوب السودان.

ولم تترك جرزلدا الطيب الرسامة التي يفخر أهل الخرطوم بأنها تحمل الجنسية السودانية، زاوية ملهمة في المدينة، إلا وداعبتها بريشة وأسفنجة تتضوع بالألوان. تعشق جرزلدا الطيب الوطن الذي أمضت فيه ستين عاما، مثل حبها الأول

25 عبدالقادر محمود عبد الله، "عبد الله الطيب وجريزلدا: العثور على الذات الأخرى"، المرجع السابق، ص 73.

للأديب السوداني الذي رافقته حتى الممات. تحرص على تراثه وتقاضي من ينشر مؤلفات عبد الله الطيب دون ترخيص وتحنو على صورته في ذاكرة الأجيال، وتهيم حبا بالسودان مدنا وأنهارا وفيافي وصحارى[26].

لقطة من فيديو "روسيا اليوم" لأرملة عبد الله الطيب

26 مستفاد من مقطع حوار أجرته معها قناة روسيا اليوم، ومتوفر على موقع فيديوهات بعنوان "الفنانة غريزلدا هامت روحها ولوحاتها بحب السودان.

الفصل الثاني: خلقه وصفاته الحسنة

الفصل الثاني: خلقه وصفاته الحسنة

كان عبد الله الطيب عالي الخلق، حسن السلوك، سليم القلب، زكي النفس، ذكي الطبع، حليما غيورا أبيّ النفس ذا شكيمة، وكان يحب عيال الله، و يحسن إلى الفقراء والمساكين فلم يعدْ أيُّ سائلٍ طرق بابه خاسرا دون أن يُعطى ويُحسن. وكان يتجنب عن ما يضر أحدا ويؤلمه. وكان لا يتكلم إلا فيما اضطر إليه من الإفادة والمحادثة العلمية. كان دائم التبسم ولم يكن يضحك ملأ شدقيه، وكان لا يقلم أظفار الناس ولا يأكل لحمهم ميتا، كما لا يقدر على سماع الغيبة من أحد. فكلما أراد أحد في حضوره أن يرمي إلى أحد أو ينال منه، فقد منعه، وحذره. كما كان هو رجلا ساذجا، لا يشوبه شيء من الدعاية والرياء، وكان يتمثل شيمة العلماء، فقد عرف الناس عبد الله الطيب بتواضع جم زاده بهاء فوق بهاء، فلم يصعر خدا ولم تتملكه خيلاء الصغار. وكان يخدم ضيوفه بنفسه، ويعمل في مزرعته بيديه، ويتحرك في شأنه وشأن أسرته بشخصه.

<u>شغفه بالعلم وعكوفه على المطالعة:</u>

إن الله أحسن إلى الدكتور عبد الله الطيب ومنّ عليه بإيداع حب العلم والمعرفة في قلبه، فأشربت روحه بذاك العلم وتلك المعرفة، وشغف قلبه بهما في حين يرغب عنهما الأطفال في صباهم ومراهقتهم، فما إن تفتحت مداركه وتيقظ شعوره بدأ في القراءة والدراسة بدون أي تحبيب وترغيب من قِبل الأبوين وأعضاء الأسرة الآخرين. ففطرته كانت قد جبلت على الأخذ والإفادة، فكان لا يضيع أوقاته سدى في الملاهي والملاعب، بل يغتنمها ويستغلها حق الاستغلال.

كان عبد الله الطيب غزير المطالعة شغوفا بها معتادا عليها فكان يقضي جل أوقاته بين الأسفار والزبر عاكفا على كتاب محدقا أنظاره في السطور وما بينها

حيث لا يشعر بما كان يحدث بجنبه من الحوادث. كان موضوعه الخاص الأدب العربي وخاصة شعره و علوم القرآن الكريم ولكن لِما أنه كان دؤوبا على المطالعة والقراءة كان يطالع كل ما وقع في يده و تيسر له من المخطوطات والمطبوعات من غير اكتراث إلى قيمته وأهمية صاحبه، فكان يقرأه من أوله إلى آخره، ويهضمه هضما. فيسرد قصته: "ربما طالعت مجلدات ضخمة من كتاب ولم أفز منه بشئ جديد وربما ظفرت بشي يسير أو فائدة جديدة فاغتنمت وحسبت أن سعي أثمر.

وكان لعبد الله الطيب ميزات خاصة تظهر خلال مطالعته، من بينها إنه كان يسلك في المطالعة غير ما يسلكه أكثر المدرسين، فلم يكن يطالع درسه الذي كان عليه أن يلقي أمام الطلاب صباح الغد. وكان عبد الله الطيب يمتاز بسرعة المطالعة حيث لا ينافسه أحد فيه، وكان يقدر للكتب بالغ التقدير والاحترام فلم يكن يطالع مضطجعا ولا متكئا. وكان جل مطالعته في كتب المتقدمين وأكابر المحققين. هكذا أخرج نفسه كعالم موسوعي بكل ما للكلمة من معنى، يحمل في صدره مكتبة واسعة في العلوم العقلية والنقلية والقديمة والحديثة، وكانت ذاكرته تزخر بأنواع من الدرر واللآلي من جميع الفنون التي اجتمعت لديه من مطالعات واسعة عميقة في كتب المتقدمين والمتخصصين في العلوم الطبيعية والفنون الإلهية وكتب الحقائق والتصوف والهندسة والتاريخ والعلوم الغربية من النجوم والرمل والجفر والموسيقى والرياضي بفنونه إلى جانب من العلوم الإسلامية من التفسير والفقه والأصول. أما العلم الذي عاش فيه وعاش عليه وعاش له فهو الشعر العربي وبالأخص الشعر العربي القديم وعلوم القرآن الكريم، فكان راسخ القدم فيها حاذقا لجميع مكنوناتها، مطلعا على مناقشات العلماء وآراء الأئمة فيها. فمن أهم مؤلفاته هو في فهم أشعار العرب، وهو "المرشد إلى فهم أشعار العرب" كما أن تفسيره الإذاعي من أهم الخدمات في مجال الدراسات القرآنية[27].

27 ينظر مئات المقالات في الصحف والمجلات بعد وفاته في 19 يونيو 2003.

عبد الله الطيب محاضر بارع:

كانت محاضرات عبد الله الطيب تكتظ بطلاب الطب والهندسة والقانون قبل طلاب الآداب، وحتى زملاء عبد الله فإنهم يصنفون أنفسهم بين تلاميذه، فكم من عالم شغلوا مناصب الرياسة في أقسام اللغة العربية في جامعاتهم المعنية إلا أنهم بعد تقاعدهم عن العمل فزعوا إلى جامعة خرطوم وحضروا درجة الدكتوراه على عبد الله الطيب بعد أن بلغ السبعين من عمره، و من بينهم أستاذ النقد الأدبي الدكتور عز الدين الأمين. وفي هذا الخبر دليل على أستاذية عبد الله الطيب وعلى روح العلماء المتواضعين في عزالدين، وأمثاله كُثر فكم ترى من صُلْع ولحى بيضٍ تزاحم الشباب بالمناكب في مجالس عبد الله الطيب، ومن طلابه الذين ما يزالون يحملون رايات العلم والعطاء الدكاترة يوسف نورالدايم، ومحمد يوسف مصطفى الواثق، وجعفر ميرغني، الذي هجر دراسة الهندسة والتحق بالأدب، وما هو إلا محبة في عبد الله الطيب وعلمه، وغيرهم كثير لا يكاد يحصى[28].

ومن ميزات درسه بأنه كلما ذكر اسم عالم من علماء الحديث والتفسير إحالة إلى أقواله وآرائه قد ذكر نبذة عن حياته ومكانه في العلم والمعرفة. وكان يحقق المسألة ويبحث من جميع زواياها. وكان من أبرز صفاته كمعلم بأنه أوجد في نفوس الطلاب تشوق التبحر في العلوم و أنشأ رغبة شديدة في التصنيف والتاليف. فنحن نرى أن جميعا منهم أتوا بإنجازات هامة أدهشت الدهر، وأشادت بها الأوساط العلمية عبر العالم كله.

يعبّر أحد طلاب عبد الله الطيب الشهير د. معتصم يوسف مصطفى، الأستاذ بجامعة الزعيم الازهري –كلية التربية – قسم اللغة العربية عن انطباعه لعبد الله الطيب فيقول: "فقدُ الدكتور عبد الله الطيب لا يوصف بالكلمات احساس

28 محمد السيف، "إبراهيم القرشي: أرجع عبد الله الطيب دعاوي التجديد لدى نزار والبياتي"، الشرق الأوسط اللندنية، العدد 8958 يوم السبت 5/ جمادي الأولى 1424هـ، الموافق 5/يوليو عام 2003.

بالفراغ اجتاحنا. السودان كله الآن حزين تقديرا لابن بار من ابنائه. بدأت بمعرفته منذ الصغر وهو صديق واستاذ لأخي الواثق وفي مرحلة الماجستير صرت تلميذه الذي لم يبخل على بالعلم أو المراجع أو التوجيه، ليس هناك ما يعينني في دراستي لم أحصل عليه منه ود. عبد الله الطيب صبور على الفضوليين، قليلي العلم والموهبة، ولقد وقف رعايته على أبناء وبنات أهله من الذين يدرسون، تكفل بهم وبمصاريفهم وكل احتياجاتهم. لقد شهدت حسن معاملته لزوجته "جوهرة" بشكل لم أره في سوداني أذكر أنها كانت مسافرة لاستراليا وأنا في حضرته كان يسأل منها في كل عاصمة وفي كل مطار تصله على مدار الساعة حتى يطمئن على غذائها وما تناولته من وجبات بالتفضيل. من منا يفعل ذلك.

والدكتور عبد الله الطيب حريص على عمله جدا ان اعطيته بحث أو كتاب لا يأخذ منه ذلك سوى 24 ساعة حتى وان كان كتاب كثير الصفحات فهو يقرأه بأكمله وهو حريص على وقتك أكثر منك. وهو يسعى أمام ذوي الحاجات حتى تقضي حاجاتهم. واذا تحدثنا عن صفات عبد الله الطيب نحتاج لمجلدات ضخمة، وكان عند طبع كتبه العديدة يهدي منها لزملائه وتلاميذه يحرص على هذا التقليد مهما كثر عددهم. وعلى قدر عظمة علمه ومعرفته كان لا يتحرج أن يصله رأيك في قصيدته أو في كتابه أو حتى في رسالة يكتبها "رسالة عادية" يطلب رأيك ابتداءً فيه جانب قد يعرفه الكثيرون عنه هو حبه للفكاهة بطرب للنكتة ويحب يسمعها للناس ويرويها وهي نكتة ذكية جدا ولماحة. لا نملك إلا أن نسأل الله له المغفرة. وان يصبر اهله وتلاميذه وعارفي فضله.

ذاكرته الواقدة:

كان عبد الله الطيب آيةً من آيات الله في الحفظ، وحضور الشاهد وبراعة المحاضرة، وكان يحاضر من حفظه ويذهب إلى المحاضرات والمؤتمرات الدولية

مصحوباً بمحفوظه فقط، لا يعدُّ ولا يكتب، فيقترح عليه أهل المؤتمر ما يريدون فيتدفق لسانه أنهاراً وشلالات علم، بل كان يؤلف من حفظه، وذلك يعود إلى فضل الله يؤتيه من يشاء، ثم نشأة الرجل في بيت علم ودين، فأسرة المجاذيب ضاربة الجذور في العلم والتدين ومنها خرج محمد سعيد العباسي ومحمد مهدي المجذوب، والمجذوب الكبير، وفي الرجل زهد و ورع وتقوى وتحرٍ للحلال وليس بعيداً عن الأذهان قول الشافعي في صلة التقوى واجتناب المعاصي بقوة الحافظة وثبات المحفوظ[29].

ردوده الطريفية واتصافه بحس الفكاهة والدعابة:

كان عبد الله الطيب يتمتع بحس فكاهة وروح دعابة ظاهرين، يبدوان بصورة جلية من خلال دراسة آثاره المنشورة، وكذلك من خلال أحاديثه ومحاضراته، سواء ما كان منها داخل قاعات الدرس في الجامعات التي التحق بها أو تلك التي كانت تبث عبر مختلف وسائل الإعلام. ولقد كان الطلاب من مختلف كليات جامعة الخرطوم والجامعات الأخرى، وكذلك الأساتذة من شتى التخصصات، يُهرعون أفواجاً إلى حيث كان يقدم محاضراته العامة، لكي يصيبوا من علمه الغزير في مختلف ضروب المعارف والفنون، وخاصة في علوم اللغة والأدب والتراث العربي الإسلامي القديم، ويستمتعوا أيضاً بطرائفه وملحمه الحلوة التي كان يرسلها عفواً، في غير ابتذال ولا تكلف، مما يدل على ذكائه وفطنته.

ومن الشواهد الدالة على ما كان عبد الله الطيب يتمتع به من سرعة البديهة، والقدرة على إيراد الأجوبة المفحمة، ما يُزعم أن عبد الله الطيب زار مدنية القاهرة المصرية في أواخر أوائل سبعينيات القرن الماضي، لحضور جلسات مجمع الخالدين الذي كان عضواً عاملاً، فلقي هناك الدكتور طه حسين، فسأله طه

29 نفس المصدر

حسين: (وقد كان رئيس السودان جعفر نميري قد استولى على السلطة لتوه في السودان) "إيه هي حكاية النميري دي؟" فأجابه عبد الله الطيب قائلاً:

ولما رأتْ ركبَ النُّميريِّ أعرضتْ وكُنّ من أنْ يَلقينهُ حذراتِ

فضحك طه حسين، والبيت الذي استشهد به عبد الله الطيب هو للشاعر الأموي "الراعي النميري" من قصيدته التي شبب فيها بزينب، أخت الحجاج بن يوسف، وفيه ما يشير إلى جسارة الشاعر. وبهذا أراد عبد الله الطيب أن يقول لطه حسين: "فلنعرض نحن كذلك عن ذكر النميري والسياسة كلها، ولنكن من أمرها على حذر.

وقد تجد القارئ أن روح الدعابة موجودة في كثير من مؤلفات عبد الله الطيب، وبالأخص في اثنين من كتبه: "من نافذة القطار" و "من حقيبة الذكريات"، وكلاهما يدور حول سيرته الذاتية وذكرياته عموما. أكتفى بهذا وسأطيل الكلام عن فكاهته وروحه الداعبة وسخريته اللاذعة عند حديثي عن الكتابين المذكورين.

<u>بره لأهله:</u>

كان عبد الله الطيب يتمتع بعلاقات وطيدة مع جميع أعضاء أسرته وما زال يساعد ويحاول لإرساءها وإحكامها، فما برح منذ قوي زند الرجولة عنده يرخى جناحه لأهله ويودهم ويهديهم ويعزهم ويعتز بهم. وقد ورث هذا السلوك من والده الشيخ الطيب وكان يقيم وليمة في ضحى العيد للذاكرين، ووالى ابنه عبد الله الطيب هذه السنّة حضور العيد مع أهله بالدامر الغربي "التميراب".

ومنذ أن بلغ إلى سن الرشد صار يفعل ما يفعله والده حيث يقيم الوليمة الكبرى يوم العيدين بالدامر لغربي وكان على أمر صلاة العيد عمه الفكي الحسين ود عبد الماجد وتلاه أبناه الجيلاني وأبشر وكان عبد الله حريصا على حضور هذه الشعيرة وكان يحضر إليها من جميع الأمكنة التي يكون فيها حينذاك، وفيحضر أيام

العيدين قريته من كل من نيجيريا والمغرب ويعبر النيل بمشقة ليدرك صلاة العيد بالدامر الغربي ولم يفرط في هذا السلوك إلى أن عانى من المرض الذي ذهب بحياته، وكان في آخر عيد حضره واقفا في الحلقة مع الذاكرين وعزم عليه أبناء عمومته بأن يجلس على "الكرسي" الوثير، فرفض في عزم ولعلها كانت آخر مرة يقف فيها.

وهذا السلوك قريب جداً من الوفاء فالرجل الذي يقطع آلاف الأميال على متن الطائرة من نيجيريا ومن فاس المغرب ليصل الدامر برا بوالده وبأهله لا ريب من يفعل هذا فهو رجل مبرور وصالح دون شك.

مكانه المرموق لدى كبار الشخصيات:

عبد الله الطيّب و الملك الحسن الثاني:

كان الملك الحسن الثاني ملك المغرب يحب البروفسير عبد الله الطيب حباً شديداً ويكيل له وزنا فكثيرا ما كان يدعوه إلى قصره و مائدته الخاصة و خاصة في شهر رمضان المبارك، وكان يحضر محاضراته و يصغي إليه بكل صمت و خضوع، وكان إذا ألقى الدروس الحسنية اعتلى عبد الله كرسياً عالياً و جلس عليه يحاضر، أما الملك فكان يجلس على الأرض مع الحاضرين المشاركين إجلالاً للعلم و العلماء. كما جاء في رسالة سفير المملكة المغربية لدى السودان الدكتور محمد ماء العينين، حيث يقول مشيراً لتواضع عبد الله الطيب وعلمه الموسوعي في مجالات الأدب والفكر بالإضافة لكونه شاعراً ودارساً متعمقاً في الأدب القديم بأن الملك الحسن الثاني كان يحب العلامة حبا جما، وكان يحضر معظم محاضراته ويدعوه لمأدبته،واستطرد قائلا إن السنوات التي قضاها العلامة عبد الله الطيب كانت أنضر سني عمره وهو ما دعاه لتوثيقها عبر مجلة المناهل التي تصدر من الرباط ثم ليوثقها لاحقاً عبر كتابه الذي أعيدت طباعته حالياً، وأشار ماء العينين إلى دور

المغرب بالاحتفاء بالعلماء مشيراً إلى مقولة مدينة فاس بأنها "ينبع العلم من رجالها كما ينبع الماء من حيطانها" مضيفاً بأن الشعب المغربي يحب العلامة كحب السودانيين له ويفخر به كفخر أهله به .. وختم السفير قوله بتحية أرملة العلامة الأستاذة جريزلدا التي وقفت بجانب زوجها في مراحل حياته المختلفة، مشيرا إلى أنه كان من رواد صالون عبد الله الطيب بالرباط، ومشهاً له بالصالونات الثقافية الكبرى التي كان لها دورها في إفادة الكثيرين من بحور اللغة والأدب[30].

عبد الله الطيب وطه حسين:

كان أول عهد عبد الله الطيب بالدكتورطه حسين إذ كان هو تلميذا بمدرسة بربر الوسطى في السودان بالسنة الثالثة عام 1934، فأرشده إليه أستاذه الهادي أبوبكر، فقرأ كتابه "على هامش السيرة" الجزء الأول، فأخذ بلبه كل الأخذ ولا سيما خبر حفر بئر زمزم. وبدأ عبد الله الطيب حينها يتعصب للدكتور طه حسين ويحاكي أسلوبه في الإنشاء[31]. وكان عبد الله الطيب يعتبره أصحّ أهل العصر ذوقاً وأرسخهم قدماً في العربية وأعلقهم نفساً بأسرارها[32].

كان عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين يعجب به أشد الإعجاب فيقول عنه في مقدمة كتبها لمؤلفة عبد الله الطيب القيمة " المرشد" هذا كتاب ممتع لأبعد غايات الإمتاع، لا أعرفُ أن مثله أتيح لنا في هذا العصر الحديث.. وإني لأسعدُ الناس حين أقدم إلى القراء صاحب هذا الكتاب الأديب العالم البارع لمكانه من

30 الدكتور محمد ماء العينين سفير المغرب لدى السودان، في ندوة العلامة عبد الله الطيب، بجامعة الخرطوم. http://www.assayha.net/play.php?catsmktba=10460

31 عبد الله الطيب، "القصيدة المادحة ومقالات أخر"، الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2005 ص197.

32 المرجع السابق ص 199.

التجديد الخصيب في الدراسات الأدبية، ولأني أقدم إليهم طرفةً أدبية نادرة حقاً لن ينقضي الإعجاب بها والرضا عنها[33].

والدكتور عبد الله الطيب أيضا كان شديد الإعجاب بالدكتور طه حسين، وقرأ له منذ المرحلة المتوسطة. قال: "ولم أدع شيئاً من كتبه أقدر على الحصول عليه، إلا قرأته حتى لقد كان أول إطلاعي على كتابه "الأيام" من ترجمة له، فأفهم". وكان يوصي طلابه بقراءة حديث الأربعاء، وكان طه حسين شديد الإعجاب به، ضمّه إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ سنة 1961 وشجعه على نشر كتابه (المرشد) وقدم له وأشرف على نشره[34].

وهناك رسائل كثيرة توالت بين عبد الله الطيب والدكتور طه حسين، نشرتها مجلة "القاهرة" في عددها رقم (159) لشهر فبراير 1996، تشير إلى العلاقة التي تربط بينهما كما أنه يمكن لنا التلميح من هذه الرسائل مدى الإعجاب الذي كان يكنه عبد الله الطيب للدكتور طه، إذ هو كان يخاطبه بسيدي الجليل وأحياناً سيدي ومولاي العظيم، وأحيانا سيدي ومولاي الأستاذ الكبير، وأحياناً سيدي وأستاذي الجليل، وأحياناً سيدي أستاذنا الجليل أستاذ الجيل.

تكليل مجهوداته من قبل الأوساط العلمية والحكومية:

الجوائز والأوسمة:

حصل عبد الله الطيب على العديد من الجوائز والأوسمة العالمية والمحلية لإسهاماته الأدبية وجهوده المتميّزة في مجال التعليم والترتبية. وفي عام 2000، منحته حكومة المملكة العربية السعودية أعلى جائزة أدبية، وهي "جائزة الملك فيصل العالمية"، نظراً إلى إسهاماته وجهوده العلمية الأصيلة في الدراسات التي

33 عبد الله الطيب، "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، الطبعة الثالثة، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1989، ص7.

34 محمد السيف، "إبراهيم القرشي: أرجع عبد الله الطيب دعاوي التجديد لدى نزار والبياتي"، الشرق الأوسط اللندنية، العدد 8958 يوم السبت 5/ جمادي الأولى 1424هـ، الموافق 5/يوليو عام 2003.

تناولت النقد الأدبي القديم عند العرب في تاريخه وكتبه ورجاله وقضاياه، وتقديرا لجهوده الكثيفة في إنتاج مؤلفات كثيرة تميزت بطابع أصيل يربطها بأمهات الكتب في الأدب العربي ونقده. ومُنح له هذه الجائزة بالمناصفة والاشتراك مع الناقد المصري الكبير عزالدين إسماعيل إلا أن الشيخ إسمعيل قال معلقاً على المناصفة: حاشا أن أتقاسمها مع أستاذي[35].

صورة جماعية لكل الفائزين بجائزة الملك فيصل في العام ٢٠٠٠م.

كما أنه خلال عمله في جامعة الخرطوم، بذل جهدا كبيرا لأجل تطوير الجامعة والوصول بها إلى مصاف الجامعات العالمية الحديثة، وأدخل مادتي اللغة الفرنسية واللغة الروسية في مقررات الجامعة. وعنايته هذه باللغة الفرنسية دفعت فرنسا إلى تقديره فمنحته "جائزة النحلة للدولة" وهي أكبر جائزة فرنسية تمنح لرجال العلم و الأدب والفنون آنذاك[36]. وتبعاً لذلك دعته روسيا لزيارتها، فلبى دعوتها ووجد من حكومتها ومؤسساتها العلمية كل قبول وترحيب وعرفان.

ومنح جائزة الشهيد الزبير محمد صالح عن تفسيره للقرآن سنة 1999، بعد عام من إنشاء هذه الجائزة العلمية التي تُمنح سنوياً في مجالات الإبداع والتميز العلمي

35 الدكتور محمود السيد الدغيم، "رحيل عميد الأدب في السودان عبد الله الطيب المجذوب"، صحيفة الوسط، العدد 304، التاريخ 7 يوليو 2003

36 عبدالحئ القاسم عبدالمؤمن عمر، "حياة البروفيسور عبد الله الطيب"، ورقة المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية.

وتحمل اسم الشهيد الفريق الزبير محمد صالح. وإلى جانب هذه الجوائز نال عبد الله الطيب عشرات التشريفات والإكراميات[37].

شيء عن عبد الله الطيب من تلميذه الخاص الدكتور صديق عمر الصديق:

يشغل الدكتور صديق عمر الصديق منصب المدير لمعهد عبد الله الطيب بجامعة الخرطوم، وفيما يلى بعض ما قاله حول استاذه عبدالله الطيب:

"إذا عرفنا أن عبد الله الطيب حاز درجة الدكتورة سنة 50 من معهد الدراسات الشرقية بلندن، فهذا يعني أنه ظل موجودا في الساحة العلمية في السودان والعالم العربي والإسلامي أكثر من نصف قرن كان فيها دؤوبا واسع النشاط. ويحسب لعبد الله الطيب أنه أول سوداني نال شرف تعيينه عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة والذي يسمى مجمع الخالدين مع د. طه حسين والعقاد وحينها كان شابا صغيرا، ويذكر في حقه أنه ظل يعلم العوام والخواص على السواء وعبد الله الطيب يعرفه كل الناس في السودان ليس كأكاديمي الجامعات الذين يعرفهم المتخصص فقط في مجالهم لقد فسر القرآن وشرحه بلغة عربية سهلة في الاذاعة السودانية والتلفزيون في برنامج "سير وأخبار" و"شذرات من الثقافة". ولكن الذي لا يعرفه الناس علم عبد الله الطيب علم نادر لا يأتي بالمثابرة ولا بالذكاء وحده، ويذكر في هذا الباب ما سأله تلاميذه في مراحل الدراسات الجامعية العليا وغيرها إلا وأجاب اجابات قاطعة جامعة مانعة، أذكر أننا كنا في زمان الطلب "أوائل التسعينات" سألناه عن اعراب كلمة في بيت شعر أشكل علينا اعرابها الكلمة هي: في قول الشاعر:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة	نفي الدراهيم تنقاد الصيارف

37 صحيفة الأنباء ليوم 5 يوليو 2003.

قلنا له على اي شئ رفعت تنقاد فما ان ذكرنا رأس البيت تنفي يداها الحصى قال تنقاد فاعل. عرف الموضوع الذي أتينا نسأل عنه. وسألته ذات مرة عن ذكر الضب عند أبي الطيب المتنبي في قوله:

لقد لعب البين المشت بها وبي		وزودني في السير ما زود الضبا

فقال لي الضب مذكور في ديوان المتنبي في ثلاثة مواضع كذا-وكذا-وكذا فذهبت لديوان المتنبي فوجدت الأمر كما قال.

وكتاب سيبويه الذي يشكل على أهل اللغة والنحو أنفسهم كان عبد الله الطيب يقرأه كما يقرأ الصحيفة ولهذا طلب اليه بعض تلاميذه على رأسهم الدكتور الحبر يوسف نور الدائم وبروفيسور بابكر دوشين، فطلبوا اليه ان يدرسهم كتاب سيبويه وحددوا يوم الثلاثاء من كل اسبوع وكان هذا الدرس يقام كل اسبوع وتلامذته من كبار الدكاترة ولم يتوقف الا عند مرضه.

فخلاصة القول أن عبد الله الطيب ليس من العلماء المتفوقين فحسب الذين يمرون على البشرية فيذكر الناس لهم نبوغا وتفردا ولكنه آية من آيات الزمان ولا يُتاح للأمة العربية والإسلامية عالم مثله كثيرا، وفيما يتعلق بعلمه الواسع الغزير، فقد أخذ بعض تلاميذه شذرات منه فنجد عند الدكتور الحبر يوسف نور الدائم مثلا قوة الذاكرة والحفظ والرواية، ونجد عند جعفر مير غني الذي كان تلميذا مقرباً من عبد الله الطيب وعالماً بآثاره وأخباره، مثلا الموسوعية والجمع بين علوم كثيرة، ونجد عند الأستاذ محمد الواثق: القدرة على التحليل الفني للنصوص القديمة وأعمال النظر، ونجد عند الدكتور عبد الله محمد أحمد أيضا موسوعية ملحوظة وواسعة وكل هؤلاء من تلاميذه أفادوا من عمله وهم لا يفتأون يذكرونه. كما أن هناك كثير من زملائه ومعارفيه الذ ين نهلوا من منهل عبد الطيب واغترفوا من بحره العلمي ومن بينهم بروفيسور عز الدين، الأمين المهندس صغيرون الدين صغيرون، بروفيسور داؤد مصطفى، بروفيسور

مصطفى حسن اسحق، والبروفيسور عون شريف قاسم والأستاذ الطيب محمد الطيب والبروفيسور دفع الله الترابي، والصحفي الكبير إمام محمد إمام وغيرهم الكثير.

انتقال عبد الله الطيب إلى المغرب:

وشاء الله ان ينتقل عبد الله الطيب الى المغرب وبالذات الى مدينة فاس التي يقول عنها السودانيون اشادة بها وإعجابا بأهلها: «فاس! يا ما وَرَاها ناس». وبدأت علاقة عبد الله الطيب بالمغرب بالتحاقه بكلية الآداب والدراسات الإنسانية بجامعة سيدي محمد عبد الله بفاس في عام 1977، وقد أُسند اليه التدريس في كل من قسم الأدب العربي وقسم الأدب الانجليزي، حيث كان يُدَرسُ اللغة العربية والثقافة الاسلامية، ويختار المادة والمقرر والجدول الزمني مع حريته في التغيير ويتصرف وفق ما يراه ملائما له.. ثم أسند اليه التدريس في الدراسات العليا، والاشراف على الرسائل العلمية الجامعية والاشتراك في المناقشات38.

صورة عدبالله الطيب مع تلاميذه في ساحة جامعة سيدي بفاس - المغرب

38 الدكتور عبدالسلام الهراس، "عبد الله الطيب.. بروز في مواقف التحدي"، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 9017، التاريخ 7 جمادي الثاني 1424 الموافق 6 أغسطس 2003.

ولابد هنا من أن نضع حقيقة أن الشعب العربي في المغرب لا يحب من الشعوب مثل ما يحب الشعب السوداني وكان السوداني لا يحتاج لأي تأشيرة للدخول في ذلك الزمان الجميل. وعبد الله الطيب شخصية فذة وعبقرية قل أن يجود بها القرن العشرين، وكان الملك الحسن الثاني يحب عبد الله الطيب لدرجة غريبة. كان لدى الملك مجالس علمية سنوية في رمضان، يدعوا لها اخيار علماء العالم العربي، كان يدعو عبد الله الطيب لتقديم محاضراته في الدروس الحسنية، كما أنه ألقى في قصر ملك المملكة المغربية محاضرة رائعة تحت عنوان "القرآن أحسن الحديث". وينبغى جمع كل آثار عبد الله الطيب من تلاميذه وأصدقائه ومعارفه حتى تكون هاديا للجيل الجديد، وأنه أهل لذلك بما قدمه لوطنه من معارف ومعلومات في كافة المجالات وبعقلية كبيرة وموسوعية.

وقد ذكر عبد الله الطيب زيارة هذا البلد في قصيدته التي عنوانها "الحبيب يزار":

ولقد زُرت مصر والمغرب والأقصـ		ي وبغداد فالرباع قفار
وشهدت الصراع في أرض نيجر		يا وللمسلمين عنه ازورار[39]

آثاره العلمية

كتب الدكتور عبد الله الطيب العديد من الكتب والبحوث والدراسات في اللغة العربية كان أشهرها على الإطلاق كتابه "المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها" الذي نال عنه جائزة الملك فيصل للأدب عام 2000 م، والذي كتبه في أربعة مجلدات وهو بحث في موسيقى الشعر العربي والأغراض التي يقال فيها. كما نشر العديد من الأعمال العلمية الأدبية منها أصداء النيل، وأغانى الأصيل واللواء الظافر. وله مسرحيات مثل زواج السمر ونكبة البرامكة. يضاف إلى ذلك ماكان من أمر المقالات المجموعة والقصص والكتب النقدية.

39 المرجع السابق، ص 144.

"المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها":

وكتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها المكون من أربعة أجزاء في خمسة مجلدات. وقد استغرق تأليف أجزائه خمسة وثلاثين عاماً، متضمناً مختلف جوانب الشعر العربي وخصائصه منذ العصر الجاهلي. وتتبدى أهمية هذا الكتاب القيم فيما يشتمل عليه من نقل ونقد لكثير من علماء العربية، علاوة على ما أورده من نماذج شعرية عديدة من مختلف عصور الأدب بما فيها العصر الحديث، وهو يصدر فيه عن آراء جريئة في النقد، وذائقة أدبية تنمّ عن فهم عميق للشعر العربي ومعرفة راسخة لخصائصه الفنية والمعنوية.

الأحاجي السودانية:

يجمع الكتاب مجموعة من الأحاجي السودانية التي تعتبر جزءاً من الموروث الشعبي السوداني، والأحجية تعني تلك القصص التي ترويها الجدّات للصغار في المساء على ضوء القمر. وفي الواقع هذا كتاب تغلب عليه روح الدّعابة البارعة مع الأُسطورة والخيال.

مع أبي الطيب:

هذا الكتاب يكتشف عن رؤية نقدية جديدة في شعر أبي الطيب. بُني على فصول خمسة ومقدمة. يتميز هذا الكتاب بالطريقة النفيسة في النقد، فهي طريقة تدلّ على ذكاء لمّاح وذهن متّقد. ولذلك يتطلب هذا الكتاب فهم معانيه دقة وعلماً مسبقاً بأحوال كلّ من الشاعر والناقد[40].

40 عبد الله الطيب، "مع أبي الطيب"، الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2005 ص 9

"من نافذة القطار":

هذا كتابٌ في السيرة الذاتية والمذكرات والذكريات، وصدر خلال النصف الأول من ستينيات القرن الماضي. ركّز المؤلف فيه بصفة أساسية على ذكريات رحلته بالقطار والباخرة إلى لندن مروراً بالقاهرة، مبتعثاً من قبل حكومة السودان، أو معهد التربية ببخت الرضا على وجه التحديد، للدراسات العالية في الأدب العربي بجامعة لندن خلال النصف الثاني من أربعينيات القرن العشرين، تلك الرحلة التي عاد في نهايتها مظفراً، بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة لندن في عام 1950م، كأول شهادة من نوعها في السودان في هذا التخصص. بالإضافة إلى هذا له مؤلفات كثيرة في الشعر والأدب والنقد، قد خصصت لمؤلفاته أبواباً سنفصل الحديث ضمن تلك الأبواب.

الفصل الثالث

مرضه ووفاته وانطباعات العلماء

الفصل الثالث: مرضه ووفاته وانطباعات العلماء

مرضه ووفاته:

منذ مدّة طويلة كان عبد الله الطيب يعاني من مرض أصابه بعد جلطة دماغية، وقد عُولج في لندن وتحسنت أحواله، فنُقِل إلى الخرطوم، ثم غادر المستشفى إلى منزله، وتعطل جهاز نطقه، وصار يتفاهم مع زواره كتابةً بناءً على نصائح الأطباء. إلا أن القدر لم يشأ أن يعيش مزيدا فأرسل المنية لتوافيه ففعلت ما فعلت حتى انتقل إلى جوار ربه الخالق بعد صراع طويل مع المرض، يوم 19 يونيو 2003، وذلك عن عمر ناهز اثنين وثمانين عاما، وأفادت الأخبار أنه قبل الرحيل بيومين قد نُقِل إلى غرفة الإنعاش بمستشفى "ساهرون" وفي تلك الغرفة سلَّم الروح في هدوء في الساعة الثامنة والنصف من يوم الخميس[41].

ونُقل نعش عبد الله الطيب عند الساعة الرابعة تماماً في ليلة الجمعة إلى مثواه الأخير، وامتدّت أرتال الحزانى من منزله إلى المقبرة، وغصّت بهم الشوارع الرئيسية، والأزقة الفرعية، واختلط أبناءُ وبناتُ قبيلته وطلابه وطالباته وأحباؤه، والكلُّ يعزي الكلَّ،فالخطب جلل والفقيد فقيد الجميع، فقيد الحاضرين والغائبين الذين يعرفون قدره، ويدركون حجم الفراغ الذي تركه في دنيا الآداب العربية والأعجمية. وشارك في الصلاة عليه قطاعات واسعة من جماهير الشعب السوداني، ومن ثم حمل الجثمان على سيارة الإسعاف إلى مقابر "حلة حمد" بالخرطوم بحري، وشارك كبار علماء الدين ورجالات الطرق الصوفية ووفود من مواطني التميرات ومدينة الدامر في تشييع الجثمان. كما رثاه الرئيس السوداني

41 الدكتور محمود السيد الدغيم، "رحيل عميد الأدب في السودان عبد الله الطيب المجذوب"، صحيفة الوسط، العدد 304، التاريخ 7 يوليو 2003.

وزعماء الأحزاب السياسية وكل الدول الأفريقية والعربية التي عرفته من خلال علمه و ما قدمه من جهد طوال حياته[42].

انطباعات العلماء:

أحاطت عاصفة الحزن والهم جميع من كانوا يحبون عبد الله الطيب ويبجّلونه ويقدّرون أعماله وخدماته عندما لفظ أنفاسه الأخيره ولبّى نداء ربه راضيا مرضيا، لأنه نال مكانا مرموقا بين الأوساط العلمية وكسب قلوب الناس وأفئدتهم لخلقه الحسن و كفاءاته العلمية ومعايشته الحسنة مع الناس أجمعين، وتفسيره الرائع لكلام رب العالمين، فكل منهم أظهر عما كان يختلج في قلوبهم من شدة الحزن والهم، فنرى من المناسب أن نذكر البعض الأهم من تلك الانطباعات. فهذا البروفيسور عون الشريف يقول: "فقدُ قامةٍ مثل البروفيسور عبد الله الطيب فقدٌ للإنسانية جمعاء، لأنه يمتلك الوعي بكل تاريخ العالم وثقافات الدنيا، وكان قد اطلع في كل ما يتعلقه بالمعرفة الإنسانية الخاص والعام ونيل الوجود بأكمله، لأنه كان أمة كشعب واحد، يذكرنا بالأصمعي والخليل بن أحمد والطبري والشافعي، قل إن نجد في هذا الزمان قامة كقامة عبد الله الطيب. إن المرحوم الدكتور عبد الله الطيب لم يكن ملكاً لأسرته ولا للسودان ولكنه ملك الأمة العربية والإسلامية جمعاء، وفقد العالم مثل عبد الله الطيب فقد أمة بأسرها وليس فقد رجل. وقد كان عبد الله الطيب –عليه رحمة الله – علماً من أعلام اللغة العربية وفقه العلوم الإسلامية. كان عالماً قل إن يجود الزمان بمثله، ومثقفاً من الطراز الفريد نسأل الله له الرحمة وأن يعوضنا عالماً في درجته وعي كل حضارات الدنيا[43].

42 المرجع السابق.

43 قصاصة لصحيفة "اليوم" الصادرة عن شركة اليوم للطباعة و النشر و التوزيع من السودان " نشريات 20 يونيو سنة 2003م.

وكذلك عبر الأب "فيليب ثاوث فرج" عما شعر قلبه بوفاة عبد الله الطيب وقال: "إن الدكتور عبد الله الطيب يمثل فقده فقد كبير لبلادنا، فقد دخل بعلمه الغزير كل بيت من خلال برامجه الإذاعية والتلفزيونية. وقد أدى الفقيد خدمة كبيرة لأمته وشعبه، وأبلى بلاء حسناً في علوم وآداب اللغة العربية من خلال رئاسته لمجمع اللغة العربية وفهمه للأشياء بوضوح، نتمنى له الراحة في مثواه الأخير، فهو علم لا ينسى في تاريخنا وأمل أن نجد مطبوعاته وجميع مؤلفاته طريقها إلى القراء لمزيد من العلم والمعرفة والعزاء لزوجته وذويه والسودان والعالم أجمع.

وذلك الأستاذ أحمد المغربي ينطبع له تأثراته الحزينة قائلا: ": "سبعون عاماً لم نقترفه أنا والراحل الكبير إلا هذه اللحظة... المرحوم دفعنى التقيته ونحن أطفال قبل سبعين عاماً. وكان ذلك عام 1930م حيث كان والدانا يعملان في الدامر، فدخلنا مدرسة الدامر الأولية، ودخلنا مدرسة بربر الوسطى، وقبل ذلك توفي والده الشيخ الطيب عام 1933م وفي عام 1934م توفي شقيقه حسن الطيب، ثم دخلنا كلية غردون سوريا، وكان دائماً ترتيبه الأول في امتحانات النقل من فصل إلى فصل أو من مرحلة دراسية إلى مرحلة، في عام 1937م توفت والدته الحاجة عائشة. وكان صبوراً تحمل في أقل من أربعة أعوام فقد والديه وشقيقه وحينها قال لي إذا لم أتحمل من سيعول إخواتي وقد أحسن أعالتهن ورعايتهن مع أولادهم.

ويستطرد الأستاذ المغربي حديثه عن عبد الله الطيب ويقول: "كان عليه رحمة الله ذكياً ونابها بدرجة كبيرة، ولم نفترقه، وعشرتي مع بدأت بالطفولة والصبا والشيخوخة، زرته قبل شهرين في منزله وهو مريض، وأنا أيضاً مريض ولكنني لا أنقطع عن زيارته إلا عندما لا أجد من يوصلني له، لأنني مريض وأعاني من ضعف حاد في البصر".44

44 الصحيفة السودانية الطباعة لعشرين يونيو سنة 2003.

وكذلك قال الزعيم السياسي إبراهيم السنوسي:"انتقال البروفيسور عبد الله الطيب من الدنيا للآخرة هو مصير المخلوقات، حيث كتب الله لنفسه البقاء ولمخلوقاته الفناء، لم يكن رحيله مفاجأة فإن رحلة المرض جعلها الله له حسنات تتزامن مع حسناته في تفسير القرآن. وإن انتقل من الدنيا إنما ينتقل لقرب الرحمان. السودان حين يفقده إنما يفقد علما قل ما يجود الزمان بمثله ثقافة عصرية وثقافة تتصل بعصور الجاهلية حين كانت اللغة العربية على السليقة. وعزاؤنا انه قدر الله. عزاؤنا ان الله يرفعه مع العليين وعزاؤنا ان يبدلنا الله علما مثله وليس على الله ببعيد. هنا نسوق تعازينا إلى أهله وأسرته وإلى أهل السودان واهل القرآن واهل الصوفية ومريديه والعامة الذين يعرفون كلامه من غير رجوع للقواميس جزاه الله على كل حرف وعلى كل آية، يرفعها به الله درجة يكسبه ثوابا من عندالله.

وذاك الدكتور الحبر يوسف نور الدائم يقول فيه: " من الناس من إذا مات خلف حسرة باقية و حزنا لا يقلع ولوعة لا تنقضي و أستاذنا بروفيسور عبد الله الطيب من هولاء قوة واحدا لا خلاف فيه و لا تنازع حوله فأورث تلاميذه وعارفي فضله رنة حزن متألق و أنة ثكل فاجع. أرفع كفي بالعزاء و جمرة توقد في قلبي كقع الأظافر،تمضي الأيام والأسف مقيم لا يريم والحزن ثابت لا يحول وكيف لا نحزن و لان نأسى و لا نأسف على معلم فارع بارع ما بخل بعطاء ولا أمسك نائلا ولا قبض معروفا. وهو الجواد الذي يعطيك نائله عفوا و يظلم أحيانا فينظلم، ضرب المثل الحي في السعي الدؤوب لنيل مراتب من العلم الموسوعي الذي لا ينال إلا بالجفاظ المر، والخلق الوعر، والاستعداد الفطري العبقري العجيب.

يا أم عمرو إن داري مسجد	و أنا الفتى والعبقري الأوحد

وهذا حارث على محمد علي العامل يعمل ساعيا لدى البروفيسور منذ العام 1969 بجامعة الخرطوم التقيته يقول: إننى حزين جدا وحزني يملأ الكون كله،

عملت مع الفقيد في كل الأماكن التي عمل بها وكان يعاملنى كوالدي تماما ولقد صرت إبناً له. الفقد كبير والدكتور يمتاز بالبساطة والتعامل الراقي الممتاز. كان يوصينى بالاحسان والتعامل كأن الدنيا عرض زائل، كنت أزوره في مرضه وكان المحيطون به يقولون له ان انت عرفت الحارث اغمض عينيك وكان يغمضها ونحن نضحك[45].

وقال عبدالماجد محمد عبدالماجد، "ما كنت أظنني ارتجف وتخور قواي لما اسمع النعي الذي نقلته لي والدتي قبل لحظات بالتلفون "يا عبد الماجد الليله السودان حصلت فيهو كارثة". ذهب خيالي للحرب والسيل والانقلاب والبركان والإعصار. ولو حدث لكان وقعها أخف عليّ ولأن ينهار جبل وتتبعثر حجارته في الوديان والوهاد أخف عليّ من رحيل عالم "وهذه لا تكفي لأن كثيراً من العلماء مقارنة به هم بمثابة المنتسبين إلى العلماء وأشباههم".

هذا فإن لكل انسان عرف عبد الله الطيب ذكريات معه، فإنه كان رجلا يُحتذى به، وكل يعبّر ويكتب ما يعرفه عنه في صفحات الجرائد والمجلات، فقد ملأت الصحف والمجلات بعد رحيله بالتعازي والانطباعات. وفيما يلى بعض القصاصات الصحفية، تحمل انطباعات عبد الله الطيب، كما فيها صور بعض المشاركين في آخر المراسيم.

45 مستفاد من مختلف الصحف السودانية المنشورة خلال أسبوع من رحيل عبد الله الطيب.

اخبار اليوم
عدد السبت
متابعات
في ذمة الله بروفيسور عبدالله الطيب .... بقية

الباب الثاني

إسهامات عبد الله الطيب في الشعر العربي

الفصل الأول: أضواء على الشعر والشعراء في السودان

الفصل الثاني: الدراسة في الدواوين الشعرية لعبد الله الطيب

الفصل الثالث: الخصائص الجمالية في شعر عبد الله الطيب

الفصل الأول: أضواء على الشعر والشعراء في السودان

الفصل الأول

أضواء على الشعر والشعراء في السودان

قبل الخوض في الأعمال الشعرية التي قام بها الدكتور عبد الله الطيب والتي تركت بصمتها وتأثيرها بقوة في الساحتين الشعرية والفنية في السودان، حرى بنا أن نتحدث أولاً وبشكل موجز وسريع عن الشعر والشعراء في السودان، إذ يخفى على أكثرنا إن لم أقل كلّنا ـ دارسي ومعلمى اللغة العربية ـ في الهند الأعمال الأدبية الضخمة التي تُوضع في السودان، اللهمّ إلا بعض ما كتبه أيقونة الرواية السودانية والعربية الطيب صالح صاحب الرواية الشهيرة عالمياً "موسم الهجرة إلى الشمال"، وربّما لا أكون مخطئاً لو أقول أننا نجهل تماماً أعمال شعرية لشعراء سودانيين ولا نلمّ حتى بأسمائهم، وذلك بالرغم من أن الشعر السوداني الحديث بدأ يأتي في مقدمة الشعر العربي ويناقش كثيرا من القضايا، ويتميّز بمذاق خاص يتجلى بترنيمات أهل السودان ممن عشقوا الشعر بمفرداته الجملية. لذا سأحاول في الصفحات التالية إلقاء الضوء على الشعر في السودان والمراحل التي مرّ بها وبالأخص في النصف الثاني من القرن العشرين. وقد أنتج السودان شعراء كبار من أمثال شاعر الدهليز توفيق صالح جبريل، والهام أحمد محمد صالح، وعبد الله الطيب، ومحمد المكي، والتجاني يوسف بشير، ومصطفى سند والشاعر محمد الفيتوري.

أضواء على الشعر والشعراء في السودان

وقد مرّ الشعر العربي في السودان بمراحل عديدة يمكن إجمالها في التالي:

- (1500 – 1821) وفيها تأسس دولة الفونج الإسلامية وتصير "سنّار" عاصمة لها.
- (1821 – 1883) دخول محمد علي باشا للسودان والحكم المصري له.
- (1883 – 1898) فترة حكم الثورة المهدية.
- 1898 – 1956) الحكم الثنائي الانجليزي المصري[46].
- مرحلة ما بعد الاستقلال الممتدة من 1956 إلى عصرنا هذا.

فنتطرق أولاً إلى الحديث عن المراحل الأربع الأولى بشكل وجيز جدا ثم نفصّل الكلام في مرحلة ما بعد الاستقلال حيث أن صاحب بحثنا عبد الله الطيب ينتمي إلى هذه المرحلة كما أنها شهدت بروز عدد كبير من الشعراء البارزين الذين اثروا الساحة السودانية والعربية.

وكان السودان لا يملك شيأً من أسباب النهوض والرقي في هذه المراحل. فالمجتمع قبَلي بدوي، والاقتصاد رعويّ بدائي، والتعليم خلوي[47] ديني، والشعراء فريقان: فريق يعيش لصق الواقع ويعبّر عن شعوره تعبيرا يتميز بالعفوية والصدق والواقعية بلهجة محلية دارجة أي بلغة الشعب المحكية. وهذا الفريق يمثل السودان الحقيقي بشعره الشعبي الرائع. وأهم شعراء هذا الفريق أو ما يمكن وصفهم بالشعراء الشعبي: الشاعرة "أم مسيمس"، والشاعرة "بنت المكاوي" والشاعر "الحر دنلو" أبو سن.

وفريق آخر يعيش بعيداً عن الواقع، متفرغاً من العمل الذهني كنشاط مستقل يتخذ فيه الأدب حرفة، ويعبر عن شعوره بالفصحى لغة أفراد الطبقة المتعلمة. وهؤلاء هم فئة الذين تخرجوا في الأزهر، ومعاهد الحجاز الدينية، فانفصلوا عن

46 مؤسسة جامعة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، "مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين"، الجزء الرابع، الكويت، 2001. ص7.

47 خلوي: نسبة إلى خلوة وهي أشبة بالكتّاب تكون ملحقة بالمسجد، وهي في الحقيقة مدارس قرآنية في السودان، ولها دور مهم وأساسي في تاريخ التعليم في السودان.

المصدر الجماعي القاعدي، وعاشوا في بطون الكتب، يستمدون أدبهم ممن سبقهم، فأكثروا من المحسنات وأساليب التلاعب اللفظي، وأقحموا في شعرهم العلوم، والمصطلحات الفقهية، وتغنوا في قصائدهم بالبطولات الحربية مجاراة للشعر البطولي الشعبي. وأبرز شعراء هذا الفريق: حسين الزهراء، وعبد الله أبو المعالي، ومحمد أحمد هاشم، وعمر الأزهري، ومحمد عمر البنّا، ومحمد طاهر المجذوب48.

وهذا ما أشار إليه الدكتور عبده بدوي في كتابه المعنون بـ "الشعر في السودان"، الصادر عام 1981، من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت حيث يقول: "دار نقاش طويل حول الطريقة التي كتب بها الشعر في هذه الفترات، فقد أكد البعض على أن الشعر القديم على الساحة السودانية كان بالفصحى، وكان امتدادا للفصحى في جميع مراحلها، وكان هناك من رأي أن هذا الشعر بدأ عاميا للتعبير عن حاجات الحياة والنفس من حوله... الخ، المهم أنه بدأ عاميا ثم ارتفع بعد ذلك إلى حالة بين العامية والفصحى"49.

ويلاحظ في هذا الصدد، أن دولة "الفونج" التي أسست عام 1504م وأعلنت أن اللغة العربية هي لغتها الرسمية، شجعت العلماء على تدريس العلوم الإسلامية والعربية، وأخذت تحدث نهضة علمية وعمّت طرق وتجمعات صوفية. ولوّنت صوفية "الفونج" المزاج الديني السوداني وأصبحت "سنّار" و "صاحب الربابة" اسماعيل بن الشيخ المكي الدقلاشي - وهو من صوفي "سنار" وشعرائها – رمزاً رجع إليها شعراء القرن العشرين على اختلاف ايديولوجياتهم، كما أن منطقة "البطانة"، الساحرة في شرق السودان ومهوى أفئدة الشعراء لا سيما شعراء

48 مستفاد من كتاب "الشعر والشعراء في السودان" أحمد أبو سعد، ص 5-7، بيروت: دار المعارف، 1959.

49 د. عبده بدوي، "الشعر في السودان"، عالم المعرفة – الكويت، ص 23، 1981.

البادية الذين صاغوا أجمل أشعار الدوبيت[50]، كوّنت الحس الجمالي ومن ثم المزاج الفني للشاعر السوداني. وإنّ أهالي المنطقة لهم الكثير من المميزات التي عرفوا بها، لكن امتلاكهم ناصية الكلم ميزهم عن غيرهم، لاسيّما تفردهم في نظم أشعار الدوبيت -أعذب الأشعار الشعبية- التي عرفتها بوادي السودان، فالأغلبية إن لم يكن الجميع في البطانة يقرضون الدوبيت، والكثيرون منهم امتدت شهرتهم في ذلك المجال من الشعر إلى جميع أنحاء السودان مثل الحاردلو الصادق حمد الحلال، والعاقب. ويشير يوسف عمارة أبوسن الباحث في تاريخ وأدب البطانة إلى أنّ "حديث أهل البطانة شعر، وأن كل أهاليها يفهمون الشعر وينظمونه والشعر هو الذي قام بالتوثيق لتاريخ البطانة"، فيما يذهب الشاعر والأديب محمد عبد القادر الحاردلو إلى أنّ "إنسان البطانة مرهف بطبعه وفي حالة شوق دائم وهي من الصفات التي تلازم أهل التنقل المستمر منذ القدم في تاريخ العرب، وأنّ شعراء البطانة وثقوا لتاريخ المنطقة عبر الشعر[51]".

شعراء المديح:

كان الشعراء يكثرون من مديح ملوك الفونج منذ قامت دولتهم في "سنّار"، غير أن مدائحهم لم تكن من الجودة. ونجد الشيخ الصوفي فرح ود تكتوك المتوفي سنة 1609م، بعد قيام دولتهم بنحو قرن ينعى على الشعراء في عهد وقوفهم المتكرر على أبواب ملوك الفونج أو سلاطينهم يستمنحوهم الهبات والعطايا قائلاً:

يا واقفاً عند أبواب السلاطين		ارفق بنفسك من همّ وتحزين
إن كنت تطلب عزاً لا فناء له		فلا تقف عند أبواب السلاطين

50 الدوبيت هو فن شعري ينتمي إلى بحر الرجز المعروف وهو قريب منه كما أرجعه الكثير من المؤلفين والنقاد، دخل السودان عن طريق الهجرات العربية عبر القاهرة عبر طريق باب المندب وعبر الفاشر، للدوبيت ارتباط كبير بحياة البدو الفطرية ويصف طبيعة المنطقة ومنتجع هواة الصيد البري، ويستخدم في مختلف المناسبات والمدح والرثاء والغزل والفخر والحماسة.

51 عثمان طارق، "البطانة.. سهل الماشية والشعراء"، صحيفة البيان الإماراتية، 10 أكتوبر 2015، http://www.albayan.ae/one-world/correspondents-suitcase/2015-10-10-1.2477524

خلّ الملوك بدنياهم وما جمعوا		وقم بدينك من فرض ومسنون
استغن بالله عن دنيا الملوك كما اسـ		ـغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقد أخذ شعر المديح يكثر في السودان منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وكان لثورة المهدي الحظ الأوفر فيه، فقد حقق السودان استقلالا وانتصارات متعددة، وكأنما أعاد إليها الروح التي كانت فقدتها وجعلها تشعر بشخصيتها في عمق، مما جعل كثيرين من الشعراء يتغنون بمديحه وانتصارات جيوشه، مشيرين إلى دعوته الدينية وأنه يأخذ فيها بهدى القرآن والسنة النبوية من مثل قول عبد الغني السلاوي قاضي دنقلة[52]:

ما هديه غير الكتاب وسنّة		والتاركون لذلك هم كفراء
أجلى الصدا وأزاح أنواع الردى		وسمت به فوق السما علياء
فالمجد فيه مؤثل والفضل منـ		ـه مؤمّل والناس فيه سواء

وتبدأ مرحلة ما بعد سنة 1898م بدخول الإنكليز إلى البلاد، وتمتد حتى سنة 1956. دخل الإنكليز السودان باسم مصر، ولكنهم استبدوا به دونها، وفرضوا حكمهم بالحديد والنار، فقاموا بعزل السودان عن جارته، وخلق الفرقة والشتات بين أهله جنوباً وشمالاً. كما وجه الانكليز ثقافة السودان واقتصاده الوجهة التي تحقق مصالحهم وتفي أغراضهم، وتثبت حكمهم. ثم استغلّوا تمسّك السودانيين بالدين، وتعدد الطرق الصوفية، فضخّموا من شأن المشايخ واصطنعوهم ليخضعوا الشعب عن طريقهم، وأوقعوا بينهم. فتفرق شمل المجتمع السوداني بعد أن كاد يلتئم في عهد المهدية، وبذلك نجح الإنكليز في تحقيق ما أرادوا، فبقيت الأوضاع على ما كانت عليه في السابق، يحميها الاستعمار ويحالفها. وبالتالي تأخر

52 ضيف شوقي ، "تاريخ الأدب العربي- عصر الدول والإمارات / الجزائر، المغرب الاقصى، موريتانيا، السودان"، الطعبة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1995 ص657.

نمو المجتمع فظلّ قبليّاً بدوياً يسوده الضعف والتخاذل، وتخيم على أهله الجهالة.

ولكن كان الإنكليز في حاجة إلى إعداد شباب يصلحون للخدمة المدنية وتسيير الدولاب الحكومي، لذا قاموا بإنشاء كليّة غردون التذكارية بالخرطوم عام 1899 التي سميت على اسم تشارلس جورج غردون، الجنرال الصيني في الجيش البريطاني الذي قُتل في الثورة المهدية عام 1885، وقام اللورد كيتشنر بافتتاح الكلية رسمياً يوم 8 نوفبمر 1902. واستخدموا للتدريس فيها أساتذة قدموا من مصر ولبنان، بلغ عددهم قرابة خمسين أستاذاً. وكان من بينهم الشاعران اللبنانيان فؤاد الخطيب وعبد الرحيم قليلات. فقام هؤلاء بنشاط علمي واجتماعي متأثر بتعاليم الإمام محمد عبده في الإصلاح الديني، وبالتراث العربي القديم في الميدان الأدبي. و وضعوا أسساً صالحة للتعليم، فانتشرت الثقافة العربية بين طلاب الكلية. وخرج منها شعراء تأثروا بهذه الثقافة، فارتقى الشعر على أيديهم. وبعد أن كان تركياً مملوكياً أو عثمانياً خلال القرن التاسع عشر، أصبح في الربع الأول من القرن العشرين يتطلع إلى النماذج الجاهلية، والأموية، والعباسية، وشعر المولّدين، يترسم طريقة شعرائها في التعبير، وبناء القصيدة وتناول الأغراض الشعرية. فوقف الشعراء على الأطلال، وحثوا الناقة، وأكثروا من الفخر، واستهلوا قصائدهم بالغزل. وبالغوا في خلع الأوصاف الكثيرة على الممدوح أو المرثي، ولم يتخلصوا تماماً من التخميس والتشطير ومعارضة القصائد. وكان شعرهم في الغالب شعر مناسبات، يتغلب فيه الشكل على المحتوى، ويلهو بالتقاليد والمحاكاة عن التلفت إلى المجتمع، أو الصدور عن تجربة في الحياة[53].

53 أحمد أبو سعد، "الشعر والشعراء في السودان"، دار المعارف، بيروت، 1959 ص 7، و مؤسسة جامعة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، "مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين"، الجزء الرابع، الكويت، 2001.

أبرز الشعراء السودانيين:

ومن أبرز الشعراء في هذه المرحلة الذين لهم تأثير عميق في الشعر:

- محمد سعيد العباسي الشاعر البدوي المطبوع(ولد عام 1881م). كافأ الانجليز والده محمد شريف نور الدائم المناهض للمهدية بابتعاث ابنه محمد سعيد لدراسة العلوم العسكرية في المدرسة الحربية بمصر. استعفى العباسي بعد سنتين من بدء الدراسة ورجع للسودان مخيباً ظن الانجليز فيه فلم يكترثوا له بعد ذلك ولم يكترث لهم[54]. ومن آثاره الشعرية ديوانه الضخم المسمّى "ديوان العباسي". عالج في شعره القضايا العامة فوقف في صف العروبة والاسلام. و"شعره يكتظ بالعواطف الوطنية والقومية والجوانب الاجتماعية. ويُعد من أهم شعراء العصر من حيث دقة الخيال وجمال الصياغة"[55]. ومن قوله في رثاء أبيه:

إن الليالي ذوات الغدر راعية		ختالة ونفوس الناس مرعاها
وكان عهدي بها تسطو على مهل		واليوم صالت بيمناها ويسراها
يمحّض الرشد للغاوى ويوضح من		مناهج الحق للقصّاد أهداها
أزال عن مشكلات العلم منطقه		براقع الوهم عن زاهي محيّاها
وإن تكلّم في علم السلوك له		فيه عبارات ذوق ما أحيلاها

- عبد الله عبد الرحمن (1890م)، من شعراء التقليد البارزين، ينتمي إلى أسرة دينية، جدّه العلامة محمد الأمين الضرير كان شيخ علماء السودان. ومن آثاره الشعرية "الفجر الصادق" صدر في مصر، وهو سجل يضم شتّى الحوادث في شتّى المناسبات. "وشعره يمتاز بنفحته الدينية (النبويات والهجريات) ونزعته الوطنية الاجتماعية التي تستعيد مجد العرب وتحارب أعدائهم وتستلهم أيام الإسلام وتدعو

54 مؤسسة جامعة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، "مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين"، الجزء الرابع، الكويت، 2001، ص 12.

55 ضيف شوقي ، "تاريخ الأدب العربي- عصر الدول والإمارات / الجزائر، المغرب الاقصى، موريتانيا، السودان"، الطعبة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1995 ص 673.

إلى الاتحاد ونبذ التفرّق..... كما يمتاز بوصفه لمناظر الطبيعة في السودان ويضم بعض القصائد في رثاء الشخصيات الوطنية"[56]. ومن أبيات قصيدته بعنوان "نحن عرب":

بنى وطني إن قمتُ للضاد داعياً		فإني أدعو للتي هي أقوم
لقد وثّق الله الروابط بيننا		فلا تنقضوا بالله ما الله مبرم
أرض الضاد في السودان أمست غريبة		وأبناءها أمست لها تتجهّم
تولّت وما دمع عليها بغائض		وما أحد منهم لها يتألّم

- عبد الله البنا (1891م)، هو نجل الشاعر محمد عمر البنا الشاعر المديح الشهير، تخرج في كلية غردون ثم أصبح أستاذاً في الكلية وعميداً للأدب العربي فيها. من آثاره الشعرية ديوانه المسمّى "ديوان البنا". يقول الأستاذ على الملك محقق ديوانه، "قد تفتحت ملكته الشعرية مبكرة، وسرعان ما تألق اسمه مع علمين في الشعر هما محمد سعيد العباسي وعبد الله عبد الرحمان وهم شعراء أفذاذ وتسنمّ الثلاثة ذروة الشعر السوداني. ولكل منهم ديوان منشور يدلّ على شاعرية فذة[57].
- التجاني يوسف بشير (1912)، يعتبر شاعر الرومانطيقية الأول في الأدب السوداني، ينحدر من أسرة دينية تنتمي إلى الطريقة التجانية الصوفية. كانت تربيته تربية دينية، ولكن اطلّع على الأدب الجديد في المهجر، والأدب الجديد في مصر، والأدب الغربي المترجم إلى اللسان العربي. هو ينافس محمد سعيد العباسي في ريادة الشعر في القرن العشرين، كلاهما لازمه الإحباط والفقر الذي أودى بالتجاني مصروعاً بداء الصدر في الخامسة والعشرين من عمره. وبالرغم من حياته القصيرة إنه ترك ديوانا شعريا "إشراقة"، وهو صورة لحياته المضطربة بمختلف مراحلها،

56 أحمد أبو سعد، "الشعر والشعراء في السودان"، دار المعارف، بيروت، 1959 ص 33.

57 شوقي ضيف ، "تاريخ الأدب العربي- عصر الدول والإمارات / الجزائر، المغرب الاقصى، موريتانيا، السودان"، الطعبة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1995 ص686.

قام فيه بتصوير صباه ودنيا أحلامه. والتف إلى الواقع فصوّر جوانب من بيئته وعكس فساد الأوضاع وتبرّمه بأحوالها وسخطه على الدهر وقلقه الديني، وانسحابه من الحياة إلى عالم التصوّف والوجدان. وقام التجاني يوسف بشير بتصوير كل ذلك بأسلوب يصفه أحمد ابو سعد في كتابه "الشعر والشعراء في السودان" قائلاً إنه "جمع إلى متانة الأقدمين ورقة المجددين، وأضاف إليه من روحه فجاء مطبوعا بطابعه، متصلاً بينابيع الالهام الصادقة في نفسه، مما يدل على الملكة الشعرية الأصيلة التي كان يتحلّى هذا الشاعر بها، والتي جعلت الشعر يقفر على يديه إلى التناسق الموضوعي، والوحدة الشعورية، والمعنى المجسّم، والتعبير الرفاف الموحي، والبساطة العميقة، فاعتبر بذلك زعيم الشعر الرومانطيقي السوداني[58]".

- وأحمد محمد صالح، والطيب السراجي (1891م)، وبابكر بدري (1864)، ومحمد الأمين (1882)، ومدثر البوشي (1903م)، وتوفيق أحمد (1904م)، ومحمود أنيس (1891)، وحسيب علي حسيب (1897)، وصالح عبد القادر و عبد الرحمن شوقي (1896) ومعظمهم من رجال الدين.

ويرى بعض الباحثين أن سنة 1924، كانت نقطة تحول في تاريخ السودان الأدبي والقومي والاجتماعي. فبعد أن وثب فيها الجيش السوداني وثبته الكبرى على رؤسائه البريطانيين حين ثار عليهم، ثم لم تسفر ثورته عن غير الفشل بسبب ضعف الشعب ومدى تسلط الاستعمار، بعد هذه الثورة ارتدّ المتعلمون على أنفسهم. وكان قد تزايد عددهم بفضل كلية غردون التذكارية والمعهد العلمي، والبعثات التي رحلت إلى جامعة بيروت الأميركية[59]. فأعاد هؤلاء النظر في أوضاعهم. وتساءلوا عن سرّ هزيمتهم المنكرة أمام العدو. ألم يكن ذلك كافياً في تفوق الأجنبي عليهم لا في قوته العسكرية الطاغية فقط، وإنما في تفوقه العلمي والاقتصادي إزاء شعب

58 أحمد أبو سعد، "الشعر والشعراء في السودان"، دار المعارف، بيروت، 1959 ص 71.

59 كانت أول بعثة رجعت من بيروت إلى السودان عام 1928م.

تأخر وعيه القومي والاجتماعي، وجمدت ثقافته على المحاكاة، والتقليد؟ وإذن فلكي ينجحوا في مقاومة الاستعمار، عليهم أن يخلصوا الشعب من هذه الجهالة فيعلّموه ويثقفوه قبل القيام بمحاولات متسرعة مبتورة، ويعملوا على تقوية وعيه القومي فينبهوه إلى كينونته الذاتية حتى يدركها ويعتز بها، ويتحد بجميع عناصره وقبائله في سبيل إعلاء شأنها وتعزيز حقوقها[60].

فأقبل هؤلاء بعد إدراك حاجتهم الملحة إلى زيادة معلوماتهم، على قراءة جلّ ما تخرجه المطابع المصرية من كتب ومجلات من أمثال مجلة أبوللو ومجلة الرسالة. وسهلت طرق المواصلات و وسائل نقل الأخبار والمعلومات اتصال السودان بغيره من البلدان. فبدأ السودانيون الاتصال بالعالم العربي من خلال الصحف والمؤلفات والقيام يالرحلات والأسفار، وقرأوا الأدب المهجري. كما اطلعوا على ثقافات الدول الأخرى الأجنبية بواسطة اللغة الإنكليزية. وبعد هذا جاءت المطبعة التجارية التي أسست مجلتى "النهضة" والفجر (1934) اللتان قامتا بتغطية أكبر نصيب من الثقافة الجديدة. وأسهم "مؤتمر الخريجين العام" في التعليم الأهلي أكبر إسهام، وكان له شُعب مختلفة داخلية تعنى بشتى نواحي النشاط الاجتماعي والثقافي والصحي، مما أدى إلى انتشار موجة من الوعي القومي (السودان للسودانيين)، وتوجيه الناس إلى الاهتمام بالدنيا وعمرانها كاهتمامهم بالدار الآخرة، وإصلاح الأسرة وتحرير المرأة واعتبارها مساوية للرجل، إلى جانب كثير من الخرافات والتقاليد الرجعية. وكان ذلك كله إيذاناً بقيام نهضة أدبية سار بها الشعر في اتجاهين متباعدين. كان كل منهما ردّ فعل للآخر.

أما في الاتجاه الأول فقد ثار المجددون على القديم، ودعوا إلى سودنة الأدب، وتطبيق المقاييس الغربية على النتاج الشعري بجعل التعبير عن التجربة الغرض الأول والأخير للشاعر، والاهتمام بالمعنى قبل المبنى، والتخلص من تزمت العبارة و

60 النويهي محمد: "الاتجاهات الشعرية في السودان"، معهد الدراسات، القاهرة، 1957.

رسمية القوالب والصيغ، واعتبار القصيدة قطعة فنية كاملة تنبثق صورها من أصل واحد، وتخرج أوصافها من تجربة واحدة.

أما في الاتجاه الثاني فقد سار التقليد حتى بلغ مرحلته النهائية وتأثر هؤلاء بالحركة الجديدة. فلم يعد الشعر عندهم محض تقليد للماضي. بل تخلص من بعض عيوب القديم، وأنكر أصحابه البدء بالغزل، والوقوف على الأطلال. وتغنوا بالطبيعة السودانية، وسجلوا حركات الإصلاح في البلاد كتأسيس المدارس والمعاهد. وتحدثوا عن الأماني القومية وأحداث زمانهم وآلام شعبهم وآماله في التخلص من الاستعمار والارتقاء في مدارج التمدن والثقافة والعمران. ولكن في صياغة تقريرية جامدة لا تنبع من تجربة أو توحي بصورة جديدة مبتكرة، بل تجيء مسلوبة الشخصية "يضاف إلى كل رطل من حقيقتها عشرون رطلاً من حقيقة الشاعر القديم. فضاعت هذه الجدة في المحتوى بهذا التقليد في الشكل، وظلت القصيدة يغلب عليها الوزن الواحد، والقافية الواحدة، والبيت المستقل، والتشابيه البائخة، والنكات البلاغية، والصور المستعارة من أساليب القدماء حتى في وصف الطبيعة في السودان[61].

الشعر في السودان ما بعد الاستقلال:

ناقشنا في الصفحات الماضية صورة الشعر السوداني في مراحل تطوره المختلفة، وبهذا قد انتهينا من الدارسة الوجيزة للمراحل الأربع الأولى التي مر بها الشعر في السودان، والآن سنفصّل الكلام في مرحلة ما بعد الاستقلال أي في النصف الثاني من القرن العشرين ولاحقاً. ففي هذه الفترة، عندما كان توفيق صالح جبريل الشهير بشاعر الدهليز يعيش السنوات التي سبقت انتقاله إلى رحمة ربه، إذ توفي في عام 1966، وكذلك حينما كان الأجل يدنو من الشاعر السوداني الهام أحمد محمد

61 مستفاد من من كتاب "الشعر والشعراء في السودان" أحمد أبو سعد، دار المعارف، بيروت، 1959 ص 8-10.

صالح المتوفى 1973، كانت هنالك الشهرة الأدبية الواسعة للشعراء الذين كانوا شباباً وتوجهوا إلى الخارج وتلقوا تعليماً غربياً عالياً، ثم نالوا مراتب علمية راقية. ومن أبرز هؤلاء صلاح أحمد إبراهيم (1933- 1993) ومحمد عبد الحي (1944-1989)، وتكمن أهميتها في ضخامة المعرفة الشعرية المعاصرة لكل واحد منهما وارتقاء مستوى فكر شعر كل واحد منهما.

وحظى توفيق صالح بأهمية كبيرة في مسار الشعر العربي السوداني، وحسبما يراه الناقد عبد القدوس الخاتم الذي يُعدّ أحد أبرز علامات النقد في السودان، فيمكن موازنة دوره بدور خليل مطران في مصر. وهو من مهَّد الطريق لظهور الجيل الوسيط من شعراء السوادن الكبار مثل التجاني يوسف بشير ومحمد المهدي مجذوب والناصر قريب الله.

ويرى الكاتب العربي حليم اليازجي في أدب توفيق صالح، أنه يمثل أدب الذات والمجالس الخاصة، وهي الفئة التي حملت رأية التجديد مبنىً ومعنىً في الشعر السوداني، وإليها يعود فضل الريادة في إخراجه من أجواء التقليد وتحريره من قيود الأساليب الموروثة تأثرا بمدرسة الديوان في مصر[62].

والجدير بالذكر أنه قبل ظهور واتساع الأهمية الأدبية لكل من صلاح أحمد إبراهيم والدكتور محمد عبد الحي الذي له اسهام كبير جدي في ترسيخ أقدام القصيدة العربية منذ بداية الستينات من القرن الماضي،كانت هناك جهود أحمد الطيب أحمد عبد السلام والتي أثمرت شعراً راقياً ومعاصراً وترجمات للأدب الإنكليزي وللشعر الدرامي الإنكليزي والتعريف بمشكلات الأدب والنقد في بريطانيا المعاصرة. وقد أثرى عبد الحي المكتبة الشعرية بنتاجه الغزير، فظهرت له في مجال الشعر ثماني مجموعات مطبوعة ومن أهمها "العودة الى سنار" و"أجراس القمر" و"حديقة

62 محمد نجيب محمد علي، "شاعر الدهليز-توفيق صالح جبريل، الجزيرة نت، 2014/11/25، http://www.aljazeera.net/home/print/f6451603-4dff-4ca1-9c10-122741d17432/29964631-9e82-400f-95ce-088615735527

الورد الأخيرة" و"الله في زمن العنف". كما كان هنالك وجود النظم الشعري في شأن النضال الوطني والكفاح العمالي لمحمد عبد الرحمن شيبون. فنقل شيبون الشعر السياسي السوداني -شعر الوطنية السودانية والنضال ضد الاستعمار- إلى شعر يعني بالكفاح العمالي والواقعية الاشتراكية (ما يماثل شعر الشوقيات وشعر الشاعر التركي ناظم حكمت أو شعر الشاعر التشيلي بابلو نيرودا). وبات الكثير من الشعر السوداني طوال ما يلي من عهود إلى ما قبل نهايات القرن العشرين يخضع للأيدولوجية والأفكار وغير معني بالتطورات التي طرأت فيما سبق أو فيما بعد على الشعر الإنساني.

وكان هناك عنصر الصداقة وتماثل الفكر وتوافقه بين صلاح أحمد إبراهيم ومحمد عبد الرحمن شيبون. ولذا نرى أن صلاح أحمد إبراهيم ظل وفياً لذكرى وكفاح وأدب شيبون، فعندما نشر ديوانه الشعري تحت عنوان "غضبة الهباباي" أشار في مقدمته إلى قصيدة محمد عبد الحي "العودة إلى سنار" والتي تعتبر مرجعية في الهوية السودانية العربية، وكذلك حينما نشر مجموعته الشعرية "غابة الأبنوس" ذكره فيها أيضا.

وقد عُرف عن الشاعر اخلاصه للاشتراكية وشُغل منجزه الشعري، خاصة في بداياته، بمقاربة قضايا التحرر الوطني والعدالة الاجتماعية. كذلك عُرف بمساهماته في حقول ابداعية عديدة وان كان الغالب على إنتاجه الابداعي: الشعر، الذي كتبه بالعامية والفصحى[63].

63 أبو القاسم عصام، "غابة الأبنوس للشاعر الراحل صلاح أحمد إبراهيم في طبعة جديدة"، صحيفة الاتحاد، الإمارات، الاثنين 16 سبتمبر 2013.

غلاف الطبعة الجديدة لديوان "غابة الأبنوس" الصادرة بعد أربعة عقود من صدوره للمرة الأولى عام 1959

وفي العام 2000 وبمبادرة من اصدقاء للشاعر صدر له في أبوظبي ديوان "نحن والردى" بمقدمة كتبها الشاعر واللغوي السوداني عبد الله الطيب ويلفت في الديوان انه تضمن مقالات للراحل مثل "لكي لا ننسى" التي انتقد فيها علاقة الجنرال الراحل جعفر نميري بـ "الاخوان المسلمين"، وبعض المراثي النثرية. ويلاحظ أن من يقرأ مؤلفات صلاح أحمد ابراهيم يكتشف جرأته في التعامل مع اللغة العربية وذلك بالرغم من أنه مزجها بالعامية ولقد خصّ بشعره دائما سير المناضلين في العالم بداية من السودان وافريقيا مرورا بآسيا الي اوروبا، فقد كتب عن جوزيف قرنق، والشفيع احمد الشيخ، وثوار الجزائر، وعن جمال عبد الناصر، وسلفادور الليندي، ودولوريس ايباروري رئيسة الحزب الشيوعي الاسباني وغيرهم[64]!

صلاح أحمد ابراهيم بمقدار ما يبدو شرساً في نصوصه "بمختلف أجناسها" ضد الأنظمة السياسية القامعة، حيث يتحول الحرف في قلمه الى سلاح، بذات القدر تقطر شعريته بفيوض العذوبة والطلاوة حينما يقارب موضوعات الحب والجمال وهو ما يتجلى خصوصا في قصيدته "مرّيا" التي تحولت أغنية رائجة، كما يتجلى

64 المرجع السابق.

فيها أن صلاح أحمد إبراهيم كان من أكثر الشعراء العرب استخداما للميثولوجيا الإغريقية، يقول في القصيدة:

يامريّه:

ليت لي ازْميل (فدياس) وروحاً عبقرية

وأمامى تلّ مرمر

لنحت الفتنة الهوجاء في نفس مقاييسك

تمثالاً مُكبر

وجعلت الشعر كالشلال بعضٌ يلزم الكتف

وبعض يتبعثر

وعلى الأهداب ليلاً يتعثّر

وعلى الأجفان لغزاً لا يُفسر

وعلى الخدين نوراً يتكسر

وعلى الأسنان سُكّر

وفماً كالأسد الجوعان زمجر

يُرسل الهمس به لحناً معطّر

وينادى: شفةً عطشى وأخرى تتحسر

وعلى الصدر نوافير جحيم تتفجّر

وحزاماً، كلما قلتُ قصيرٌ هو

كان الخصر أصغر

يا مريه[65]:

وتدلّ أشعار هذه القصيدة "مريا" على معرفته الواسعة بالآداب الكلاسيكية، وكذلك إدراكه الواسع بحقيقة ان الأدب الكلاسيكي فيه جودة وامتياز. وقد قام

65 أحمد أبو سعد، "الشعر والشعراء في السودان"، دار المعارف، بيروت، 1959 ص 179-180.

صلاح أحمد إبراهيم بنقل معرفته بالآداب الكلاسيكية -الآداب اليونانية والرومانية في بحر التاريخ- إلى الآدب السوداني.

ونظرا إلى ما ذكرنا وإلى الأعمال الشعرية الهامة لكل من صلاح أحمد إبراهيم ومحمد عبد الحي يمكن لنا القول أن لكل منهما أهميته الفائقة كشاعر وكمثقف حينما يناقش التجربة الشعرية في النصف الأخير من القرن العشرين. ولأشعارهما أهمية بسبب إدراكهما حقيقة وجود ثقافات سودانية أخرى وإدراك كل واحد منهما على طريقته لحقيقة تركيب الإنتماءات الثقافية في السودان إلى جانب وعيهما لأهمية الثقافات غير العربية. وكان لصلاح أحمد إبراهيم الوعي بثقافات قبائل البجة في الشمال أو قبائل الدينكا في الجنوب. وكان لمحمد عبد الحي الإدراك بأهمية سنّار، من أهم الدول التقليدية السابقة لعهد الاستعمار.

وحقاً توجد الخصائص والمزايا التالية في إنتاجاتهما الشعرية التي مجّدت شاعريتهما:

- عمق فكري وثقافي
- وضوح وقوة وحدة إدراكهما الحسي
- اتسام أشعار كل واحد منهما بالتبصر وبالتفهم العاطفي
- مهمة كل واحد من الشاعرين تتمثل في أعباء فكرية وأدبية وأدى كل واحد منهما دور الشاعر المفكر أو المثقف
- خدمة الثقافة والأدب من الدرجة العالية
- تتميّز أشعار كل واحد منهما بالطلاقة والتدفق والتجويد والرشاقة والسلالة
- عمرت أشعار كل واحد من الشاعرين بالأفكار والصور الشعرية والأفكار الجاذبة للإنتباه والمثيرة للإعجاب

وقد حاولت ذكر بعض الخصائص والميزات المشتركة في النقاط المذكورة أعلاه لشعر صلاح أحمد إبراهيم وشعر محمد عبد الحي، فقد كان لكل واحد منهما همه الفكري الخاص به وكانت لشاعرية كل واحد منهما توجهات مختلفة فيما يتعلق بأشكال وسبل النظم وجماليات وموضوعات الشعر.

وهنا نختتم دراستنا هذه للشعر والشعراء في السودان والمراحل التي مر بها الشعر، لنتعرف على وضعه في السودان، ولندخل في أعمال عبد الله الطيب والشعرية وندرسها دراسة عميقة توضح لنا مدى إسهاماته وقيمتها الأدبية.

الفصل الثاني

الدواوين الشعرية لعبد الله الطيب

الفصل الثاني: الدراسة في الدواوين الشعرية لعبد الله الطيب

شاعرية عبد الله الطيب:

عبد الله الطيب هو شاعر سوداني وأحد رموز الشعر العربي، عاش حياة خصبة وعميقة، حياة مليئة بالعمل، حياة حافلة بالانتاجات الشعرية الرائعة، يعشقه الشعب السوداني قبل أسرته، ويعرفه الصغار قبل الكبار، والبعيد قبل القريب وعامة الناس قبل المثقفين. كان يدرّس ويؤلف ويبحث ويجرى قلمه في ضروب علوم اللغة وآدابها. وكان ذا عقل فسيح، وقلب كبير، وشخصية فريدة، كثيرة التنوع، شديدة التميز، قوية الجاذبية. أصبح أيقونةً ورمزاً يفتخر به الشعب السوداني أجمع. ومن يطلع على أشعاره ودواوينه من أمثال "أصداء النيل" و"بانات رامة" و"سقط الزند الجديد" و"أغاني الأصيل" وأمثالها يجد أن عبد الله الطيب هو من أبرز أعلام الشعر السوداني، وهذه الأعمال هي خير شاهد ودليل على شاعريته الفذة، وإنّ تصَفّح دواوينه يكشف لنا عن الجهد الذي بذله في سبيل إخراجها. وعلينا أن نكون على علم بأن عبد الله الطيب ليس بنفسه شاعرا فحسب وإنما هو سليل أسرة شاعرة، فوالده الطيب عبد الله بن الطيب كان شاعرا مُجيداً وابن عمه محمد المهدي المجذوب، الذي يُعدّ معلماً بارزاً في تاريخ الثقافة السودانية، غني عن التعريف والمجاذيب أسرة شعر شهيرة في السودان. وإلى جانب قرضه الأشعار في اللغة العربية ولونه بألوان جديدة من الأفكار والمعاني، والنهوض بالشعر العربي إلى عهود جزالته الأولى في العصور الذهبية، قام عبد الله الطيب بترجمة كثير من الأشعار التي كتبت في اللغة الانجليزية.

هذا وإن شاعرية عبد الله الطيب كانت موضع نقاش شديد، فمما لا شك فيه أنه كان شاعراً وشاعراً مجيدا، وإن كان قد تعرض لإنكار شاعريته مثل تعرض العقّاد حيث اتجه عدد من معارضيه في دراستهم إلى تجريد العقاد من الشاعرية قائلين

"إن العقاد كاتب لا شاعر"، أو "هو كاتب أكثر من شاعراً". ولكن من له أدنى اهتمام وإلمام بالأدب السوداني، يعرف أن لعبد الله الطيب دواوينا شعرية رائعة وقصائد جميلة البنية وعذوبة الموسيقى لا يملك المتذوق العربي إلا الإعجاب والإفتنان بها. ويقول الدكتور طه حسين، "إني أحب هذا الشعر وأستعذبه وارضى عنه ولكن كما أذوق شعر جزير وأستعذبه وأرضى عنه[66]". ويقول عبد الله الطيب في الحساد الذين ينكرون شاعريته:

شعرى عدوّ الجاهلين ومِقولى		صلتٌ وفي جنبيّ نشوةُ شاعر
وإذا أشاءُ أضأتُ ليلاً دامساً		بالبنور من ألقِ القريض الباهر

ولا يسهل فهم اللغة التي استخدمها عبد الله الطيب في بعض الأحيان إلا من له معرفة قوية باللغة العربية حديثها وقديمها، إذ أنه يستخدم اللغة القديمة ويسلك نهج القدماء من الشعراء حين يريد أن يعرب عن ذات نفسه إعرابا أو يصف الحضارة الحديثة التي عاش فيها، كما يقوله الدكتور طه حسين في كتابه (من أدبنا المعاصر) عند الحديث عن ديوان عبد الله الطيب المسمّى أصداء النيل، "وأعجب من هذا أنه طوّع الحضارة الحديثة للغته القديمة أو طوّع لغته القديمة لهذه الحضارة الحديثة، فلاءم بينهما ملاءمة لا تُحس فيها نبواً ولا اعوجاجاً. وأنت تقرؤه حين يصف مظاهر الحياة في بلاد الإنجليز فلا تجد في وصفه تكلّفاً ولا تعمّلاً، وإنما تراه يمضي مع طبعه الخصب في يسر وإسماح لا يشق عليه وصف ولا يعيبه تصوير، وإنما يشق عليك أنت في كثير من الأحيان أن تسايره أو تتبعه، لأنك تشعر بالحاجة إلى أن تقف لتفهم عنه أو لتبحث عن هذا اللفظ أو ذاك في معجم من معجمات اللغة"[67].

66 طه حسين، "من أدبنا المعاصر"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 ص89.

67 المرجع السابق.

وفي هذا الفصل الثاني ضمن دراستي لعبد الله الطيب وإسهاماته في الدراسات العربية، محاولات للتعرف على دواوينه الشعرية الكثيرة وما في طيها من ميزات وخصائص وما فيها من إبداع وجمال وتنوع في الأغراض.

منهج عبد الله الطيب في الشعر:

عبد الله الطيب الشاعر، يُعد أدبياً بأنه من أتباع المدرسة القديمة، وكان كثير العناية بالشعر العربي القديم؛ معجبا بالشعراء العرب القدماء، يتأثر ويحتذ بهم، ونرى أن الدكتور طه حسين يصف افتنانه بالقديم قائلاً: "وهو قد فُتن بالشعر العربي القديم فتنة لا حد لها ولا غاية"[68]. وكان علمه بشعر وأعمال عظماء العرب من الشعراء الجاهليين والقدماء والمحدثين غزيرا وشاملا، تسمع إلى محاضراته في السير والأخبار التي بثّها التلفزيون السوداني والموجودة على موقع "يوتيوب" للفيديوهات، تجده يذكرهم في المحاضرات بالإسم الأول إلى الجد الثاني والثالث أوالرابع، مما يدعوك إلى التفكير عما كان عبد الله الطيب معاصراً لهؤلاء الشعراء. وإلى جانب شديد إعجابه بالقديم من الشعر العربي كان يفضله على الشعر الانجليزي وغيره من الآداب العالمية الأخرى، وكان يعتقد أن شعراء الأفرنجة من أمثال وليام بليك ومارفيل ودانتي قد تأثروا كثيرا بالشعر العربي. وهذا ربما بسبب ما هو معروف أن عبد الله الطيب من غلاة المحبيين للإسلام والعروبة، فقد ذكر في مقدمة ديوانه الشهير أصداء النيل، "قد قلبت نظري في كثير من الدواوين العربية والانجليزية واستقر في نفسي بعد الموازنة أن الشعر العربي ليس كمثله شيء مما قرأته في الإنجليزية، حتى ولا شعر شكسبير".

وكان عبد الله الطيب يشعر بقلق شديد من بعض الشعراء العرب الجدد الذين يميلون لتقليد الشعراء الغرب بل كانوا يعظمونهم ويتشبهونهم ويقلدونهم تقليدا أعمى دون بصيرة بالتراث ولا علم باللغة. وكان يوجه انتقادات شديدة اللهجة إلى

68 المرجع السابق.

الشعراء الحداثيين وما كانوا يكتبونه من إنشاء يُعرف باسم "قصيدة النثر". وذلك بالرغم من أنه انطبع في المرحلة الأولى بشعر الحداثة عندما كان في أوائل العقد الثالث، ولكن بعد فترة قليلة بدأ يشعر بالنفرة من هذا النوع من الشعر، ويقول في هذا الصدد، "حاولت الشعر التارك للقوافي والمألوف الأوزان تحت تأثير ما كنا نقرأ في الشعر الانجليزي وأنا في أوائل العقد الثالث، ثم نفرت النفس عنه ذلك نفورا"، ويضيف قائلاً، "إن هذا ضوضاء وضجيج.. ذلك أنه مرتب على خلط بين اللغة والموسيقى".

وكان له موقف متحفظ جدا إذ كان هو يرفض الشعر الحر استنادا إلى أن قوانين الشعر الأوربي لا تلزم ولا يمكن أن تكون صالحة للشعر العربي.

وبدأ عبد الله الطيب ينظّم الشعر في اللغة العربية منذ باكورة حياته، حيث أن شعر "سقط الزند الجديد" يمثل أول شعره بالرغم من كونه أخر ديوان له طباعةً، وقد قال في هذا الصدد في مقدمة ديوانه "سقط الزند الجديد"، الذي اقتدى في تسميته بشيخ الأدب أحمد بن عبد الله بين سليمان المعري المعروف بـ "أبي العلاء المعري" (973-1057)، وذلك لأن المعري سمّى ديوان صباه (سقط الزند)، "نُظّم أكثر هذا الذي بين يديك وصاحبه بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين"[69].

وكان عبد الله الطيب ينظّم الشعر ويترنم به، ويعكف على ذلك عكوفا. وكان الشعر له أنسا وصاحبا وسلوى. ولقد رثى بالشعر أهله الذين تخطفتهم المنون، وشكى إليه ما أصابه من مضض وضنى وظلم. وجأر به إلى الله ومدح به الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم.

هذا وقد حاول عبد الله الطيب من صروف النظم أصنافا منها الشعر المرسل الذي لا يلتزم فيه بقافية واحدة، واشتهر في أوائل القرن العشرين ومن أشهر من نظموا

69 عبد الله الطيب، "سقط الزند الجديد"، الطبعة الأولى، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1976 ص 9.

الشعر المرسل أحمد زكي أبوشادي وباكثير والمازني وعبدالرحمن شكري، كما حاول الدراما والملحمة وجاوز الأوزان المألوفة إلى أشياء اصطنعها اصطناعاً، ثم بدا له أن هذا كله عبث، وبيئته العربية الفصيحة تسير على الطريق الذي نرى من أوزان الخليل، وتخير المطالع والمقاطع.

وحسبنا هذا المقدار من الحديث عن منهج عبد الله الطيب وتجربته في نظم الشعر، لكى نتطرق إلى الحديث عن أعماله الشعرية. و في رصيده عدّة كتب شعرية رائعة قوية في لغتها ورصينة في أسلوبها.

دراسة في دواوين عبد الله الطيب الشعرية:

- أصداء النيل
- بانات رامة
- سقط الزند الجديد
- أغاني الأصيل
- اللواء الظافر
- أربع دمعات على رجال السادات
- برق المدد بعدد وبلا عدد

أصداء النيل:

ديوان "أصداء النيل" لعبد الله الطيب، هو أول ديوان له طباعةً وليس شعراً، كما هو أحب الديوان إليه، يقول في ذلك، "هو من أحب ما نظم الىَّ وبعض مرد ذلك انه كتب في أوج نضج وشباب وصدر عن حدس صدق وشعور واحد عميق وعشق لفصاحة العربية وجزالة الشعر"[70]. وقد كتب الدكتور طه حسين كلمة طويلة عن الطبعة الأولى لهذا الديوان، نشرتها جريدة الجمهورية ثم ضمنت من بعد في كتابه

70 عبد الله الطيب، "أصداء النيل"، الطبعة الخامسة، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1992 ص 5.

"من أدبنا المعاصر". ولقى هذا الديوان الرائع رواجاً واسعاً وتناوله القراء باهتمام بالغ، مما أدى صاحبه إلى إعادة طباعته خمس مرات في أعوام 1957، 1960، 1969، و1989، 1992. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لا يداني ديوان أصداء النيل في عدد طبعاته الكثيرة في السودان إلا ديوان "إشراقة" للشاعر التجاني يوسف بشير. وطلعت الطبعات الخمسة بمقدمات جديدة عدا الطبعة الرابعة. وفي الطبعة الأولى، اختار عبد الله الطيب من شعره قطعا متنوعات ونشرها باسم "اصداء النيل" في مدينة الخرطوم، سنة 1957. وجاءت الطبعة الثانية من دار المعارف، القاهرة عام 1960. وقد حدد عبد الله الطيب بنفسه زمن نظم هذا الديوان قائلاً "فهو مختارات من الشعر الذي نظمته فيما بين أوائل الأربعينات وأواخر الخمسينات"[71].

وفيما يتعلق بحدوث أي تغيير في هذه الطبعات المختلفة، فثمة بعض التغييرات قد تطّلع عليها إذا وازنت بين المحتويات في الطبعة الأولى والطبعات اللاحقة، حيث أن عبد الله الطيب أسقط أربع قصائد كانت موجودة في الطبعة الأولى وهي قصائده "مكتبي" و"لندن 1945" و"الجابودي" و"صابر"، كما أنه قام بإضافة تسعا وخميس قصيدة للطبعات المنشورة بعدها.

صفحة الغلاف الخارجي لديوان "اصداء النيل" الصادر عن دار المعارف بمصر

71 عبد الله الطيب، "أصداء النيل"، الطبعة الرابعة، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1989 ص 5.

وقد غيّر عبد الله الطيب، إلى جانب إسقاط بعض القصائد وإضافة بعض أخرى، تركيب بعض أبيات القصيدة. فكانت هناك قصيدة بعنوان "الوطن الضائع" في الطبعة الأولى من الديوان، وفيها بيت كما يلي:

وإنى لأخشى أن أرى النيل في غدٍ	شريعة مصرٍ علّها وانتهالها

فإنه غير كلمة "شريعة مصر" إلى "شريعة قوم" في طبعة لاحقة، والسبب وراء هذا التغيير يعود إلى اعتراض عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين على عبد الله الطيب، ويقول صاحب ديوان "أصداء النيل" في مقدمة الطبعة الرابعة، "أخذ على الدكتور طه حسين ما في النص الأول من التعريض بمصر، وكانت هذه القصيدة قد نظمت عام 1945م، وكان الاتجاه نحو دعوة الاستقلال ذلك الزمن عاماً، وكنا نظن موضوع مياه النيل موضوع كرامة وطنية، ونحسب أن لمصر مطامع إستعمارية وما كنا ندرك أن قضيتنا وقضية مصر واحدة، هي قضية الإسلام والعربية.."[72].

فالسبب وراء تغيير عبد الله الطيب هذه الكلمة هو حدوث تغيير في النظرية السياسية.

ويقع هذا الديوان الذي تم نظمه بقواف مرتبطة على حروف الهجاء من البحر السريع، في 242 صفحة وفي قطع من الحجم المتوسط، وبلغ عدد قصائد ديوان "اصداء النيل" 160 قصيدة ومقطوعة شعرية، كما يتضمن الديوان أيضا مقدمة وخاتمة، وفي المقدمة تحدث عن اختياره لقطع متنوعة من أشعاره ونشرها باسم "أصداء النيل"، أما في الخاتمة فيذكر فيه أنه جرّد في الاختيارات من هجاء الأشخاص ومن ليّن الأشعار لكي لا يجتمع ذلك في موضع واحد مع مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

72 المرجع السابق.

ويتميّز "أصداء النيل" بتوثيقه للمناسبات التي نظّم الشاعر بسببها مختلف قصائده، أو الأعوام التي قال فيها، كما أن القصائد تتضمن في هوامشها شرحاً لمفردات صعبة وكذلك ذات الخصوصية في اللهجة السودانية، كما في الهوامش إشارات للمناطق والمواقع الواردة في القصائد المختلفة أو الشخصيات التي جاء ذكرهم فيها.

أما فيما يتعلق بموضوعات الديوان، فهي تدور حول شعر المدح والرثاء والحب والجمال والوصف والموضوعات القومية. ويحتوى ديوان عبد الله الطيب على قصائد عديدة نظمها في الطبيعة وحبه لمظاهر الطبع مما يشير بكل وضوح إلى أن الطبيعة في شعره كانت مجالاً لتأملاته الشعرية. وقد يتضح لك عند قراءة ديوانه، أن حب عبدالله الطيب لمظاهر الطبيعة يتجلى في مادة الخيال التي يعبر بها عن خلجات نفسه ومعانيه، حيث إنه يتخذ من الأزهار والأنهار والألحان والأنوار والغابات والصحاري وغير ذلك من محاسن الطبيعة مادة لخياله في كثير من الأحيان. وتتردد كلمة "النيل" في شعره، مما تنبئنا عما يختلج في صدره ويخطر بباله. فعشق عبد الله الطيب النيل لأنه صوت السودان، ولهذا إنه سمى تسعا من قصائده ومقطوعاته في ديوانه بعناوين فيها ذكر النيل مثلا هناك قصائد: "ذكرى النيل" و"ماء النيل" و"حبذا النيل" و"روض النيل" و"النيل" و "حنين إلى النيل" و"أوز النيل" و"إلى النيل".

هذا إلى جانب حديثه عن النيل في قصائد مختلفة ونذكر عناوين تلك القصائد فيما يلي:

الصابر، الربيع، ندم الشباب، البدر في مانشستر، إنجيلك شعر الثورة المصرية، الشتاء، زنجية جنوبية، ألاحبذا نهر، رنا قلبي، ذكرى، رسم الحادثات، ندم الشباب، البدر في مانشستر، السدود، المركب النهري، النيم، بخت الرضا، النخلة، يا سدرة بالتل، سفر الصداقة، خواطر مفيدة، أمس زرنا أم الدجاج، الدب والدولار، بدامر

الصدق، الربع المحيل، إلى الخرطوم، شكوى وعزاء، يا جارة البين غربة وذكرى، الوطن الضائع، وداع الخرطوم، هموم وفلسطين، ذكرى حافظ، صخر أسوان.فهذه القصائد الكثيرة التي تحتوى على ذكر النيل، تظهر لمتصفّح الديوان مدى تعلق عبد الله الطيب وحبه بالنيل، فيقول في قصيدته "إلى الخرطوم":

أحب النيل حين صفا وشعت		تهاويل الأصيل على الروابي
تهبّ به الشمال على شراع		كسالفة الإوزة ذي انسياب
ولولا النيل والذكرى وصبرى		وأنّى للمكاره ذو غلاب
أُحِبّ النيل ذا التيار يطمو		ويلطم جانبيه بالعباب
أحب النيل زمجر ثم لجّت		سواقيه الشجية في انتحاب[73]

ويقول في مقطوعة أخرى تظهر أن النيل عنده رمز من رموز الشوق والحنين والحب، وهو المأوى والمنزل:

وليس مسيرى في البلاد بمُبعدي		عن النيل إن النيل فيه دياري
وفيه الصبابات التي كتَمتُها		عن الناس إلا آهتي وجُواري
وشكواي للرحمن في خلك الدُجى		ما لا ينال العداة من أمنه

وفضلا عن ذكره نهر النيل والأزهار والأنوار والغابات في قصائده، قام عبد الله الطيب بذكر "لندن" بلاد الإنجليز التي عاش فيها أعواما وحصل من جامعتها على شهادة الدكتورة، فيصف مظاهر الحياة في لندن وصفاً لا تلاحظ فيه تكلُّفاً ولا تعمّلاً، ويرسم صورة مدينة لندن رسما دقيقاً، ويذكر الثلج الذي يغطى شوارعها وميادينها بالقول:

أم تر أن الشمس قد لاح قرنها		خلال السحاب السُحم ثم تغيب
وقد ملأ الثلج الفجاج كأنه		بدارك آلٌ ساطعٌ وكثيبُ
أنِستُ لقرب النار في برد لندن		وللقطر وقع لا يكُفّ رتيب[74]

73 عبد الله الطيب، "أصداء النيل"، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1989 ص 154

74 المرجع السابق ص 35.

وقوله أيضا:

رأيت النيل يلمع في خيالي		ترفّ عليه أزهار النجوم
بلندن إذ نديفُ الثلج حولي		وللنكباء لذعٌ في أديمي[75]

ولو تصفحت أبيات في الديوان، وجدت فيها أيضا نفور عبد الله الطيب من البيئة في لندن وحنينه إلى السودان الذي جاء منه، فيسترسل في وصف المظاهر التي ألفها في بلده على شاطئ النيل ولم يجدها في لندن مثل شجر النخل والسواقي والسيّال فيقول:

ويا حبذا تلك السواقي وقد غدت		بألحانِ عبرى ثرّة العين مثكال
ونخلٌ إذا ما البدر أشرق خلفه		أطلّ عى الرائين كالعُنق الحالي
وشوك السيال يلمع النور فوقه		طرائق مثل الذرّ يلمع في الآل[76]

وذكر عبد الله الطيب زوجته البريطانية السيدة غريزيليدا الطيب كثيرا في شعره، إذ للمرأة، كما تعلمون، مكانة كبيرة في نفس الرجل، وقد ارتبط هو بزوجته ارتباطا قويا، فيقول في قصيدة له:

مضى الزمان وقد عدنا إلى وطن		فلم نجد غير تثبيط وإيهان
وعقّنا النيل إذ يروي بسلسله		وغلُ العزيمة ذو زيف وبهتان
لولاك أنتِ لكان العيش أجمعه		سحابة من حميم آسنٍ آن
فكيف أجزيك إحساناً بكفران		هيهات حتى يضم القبر أكفاني
آويتنى حيث لا قربي ولا نسبٌ		إلا الوداد وحبٌّ ليس بالواني[77]

وعليك أن تلاحظ أبيات أخرى من هذا الديوان حيث يصف فيها عبد الله الطيب حنينه إلى مدينة لندن ويصور تصويرا رائعا للحياة فيها وينشد:

75 المرجع السابق ص 47.

76 المرجع السابق ص 37.

77 المرجع السابق ص 155.

أيا خلّي هل دمع		لك من لندن هطال
ففي نفسك من لند		ن يا إبن النيل أطلال
وكم شاقك في لند		ن أبكار وآصال
وإذ يستنّ نحو البص		أفراد وأرسال
وإذ يسمر في الحاذ		ة يوم السب عمّال
فدمع العين في الخرطو		م من جفنك همّال
غريب أنت في الخرطو		م لا أهل ولا ومال[78]

وإلى هنا ننهي حديثي عن ديوان "أصداء النيل" لعبد الله الطيب، بعدما طال الكلام حوله، والآن يجدر بنا أن نتطرق إلى دواوينه الأخرى.

بانات رامة:

أصدر عبد الله الطيب ديوانه الشعري "بانات رامة" عن الدار السودانية، الخرطوم في عام 1970م، وهو ديوان أضخم يكاد يكون أكبر ديوان له. وضمَ هذا الديوان الذي جاء في حوالي ثلاث مائة صفحة، ست وستين (66) قصيدة نظّم أكثر جزئها بعد عام 1956، وهي من طوال قصائده الناضحة. وكلمة "بانات" هي جمع "بانة" وهي شجرة، أما كلمة "رامة" فهي اسم موضع، ويكنى في الشعر بالمواضع عن عهود الوداد وبالشجر عن الحبيبات[79]. وهي كلمات تغنى بها الشعراء، قال الحماسي:

سلي البانة الغيناء بالأجرع الذي		به البان هل حييت أطلال دارك

وقال أبو تمام صاحب الحماسة:

أرامة كنت مألف كل ريم		لو استمتعت بالأمس القديم

78 المرجع السابق ص 66.

79 عبد الله الطيب، "بانات رامة"، الطبعة الأولى، الدار السودانية، الخرطوم، 1970 ص 7.

وقال عبد الله الطيب في مقدمة هذا الديوان، "وأكثر هذا الشعر نظّمته بعد عام 1956، ورجعت في بعضه إلى ذكريات من عهد الصبا الأول، وصاحب الشعر حين ينظّمه لا يتقيد بالوقت الحاضر ضربة لازم[80]". وقد أهدى المؤلف ديوانه إلى الشيخ محمد جلال الدين المجذوب والد الشاعر السوداني الكبير محمد المهدي المجذوب، الذي كان بمثابة الأب الثاني له وكان بينهما الحب العميق والصلاة الوطيدة. وها هي كلمة الإهداء، "إلى الوالد الأستاذ، الشاعر، العلامة، الفقيه، الندس، النجيب الأديب الشيخ محمد جلال الدين حفظه الله وأطال بقاءه".

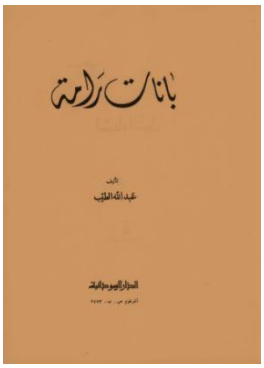

غلاف ديوان "بانات رامة" الصادر عن الدار السودانية، الخرطوم في عام 1970 م

وفي ديوان عبد الله الطيب قصائد متنوعة نذكر بعضا من العناوين الهامة للقصائد التي جاءت فيه، ليتجلى لنا قدرته الفائقة على الابتكار والإدهاش في شتى الأغراض الشعرية التي طرقها خلال مسيرته الطويلة والحافلة بالانتاجات الرائعة. ونظّم عبد الله الطيب قصائد بعناوين: "تهنئة" و"القمر المصنوع" و"صدى كربلاء" و"مهرجان الجمال" و"كأس العارفين" و"القلب المتهدف" و"الجبل العاري" و"شكوى الروح" و"عجب الأيام والدهر" و"رحيل ليلى" و"شاعر وأديب" و"وادي النيل البعيد" و"عرج على جوس" و"النيل الطامح" و"لقاء فتاة" و"إتحاد الأدب" و"تمثال لميس" و"نفس الشمال" و"ذات القدس" و"الغيث المنهمر" و "رثاء الأستاذ عبدالرحيم الأمين" و"أم سالم" و"نار المجاذيب" و"ما بال دمعك" وما إلى ذلك من القصائد.

80 المرجع السابق، ص 8..

وهذا يشير إلى التنوع في موضوعات الشعر التي اختارها عبد الله الطيب في هذا الديوان من أمثال شعر الحب والغزل والغربة والرثاء والتأبين والزهد والتصوف.
فمثلاً في قصيدة بعنوان "أم سالم" يقول:

رحلت أم سالم فوداعا		وكذا العيش فُرقةً واجتماعا
واجتباها للبين عنا زمانٌ		لوانا بالصالحات أطاعا[81]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أسماء النساء في شعر عبد الله الطيب أكثرها أسماء رمزية لا وجود لها في الواقع، خاصة تلك الواردة في قصائد الغزل، وهي كثيرة ومتكررة، ويجعلها أحيانا عناوين لقصائده كهذه القصيدة. ويُلاحظ أن عبد الله الطيب يجعل أحيانا عنوان قصائده علماً مضافاً إليه مثل قصيدة "تمثال لميس"، والتي بدأها بجملة فعلية فعلها ماض مبنى للمعلوم وفاعله علم مؤنث:

حيت لميس عليها عطرها الفادي		حيّيت من ذي بشاشات وإسعاد
حيت لميس وما كانت تحيتها		إلا مخايل خال لحن للصادي[82]

وأشار عبد الله الطيب في قصيدة عنوانها "وادي النيل البعيد" إلى مدينة عدن اليمنية والزيارة التي قام بها هو في الخمسينات عبر البحر، وزار فيها الأديب والفنان المعروف محمد عبده غانم صاحب الكتاب الأبرز في التوثيق للغناء اليمني "فن الغناء الصنعاني"، كما ذكر فيها نحن الهنود، يقول فيها:

ألا إن وادي النيل منك بعيد		فهل أنت لما أن نأيت سعيد
وفي عدن دار الأديب ابن غانم		وحيث وراء البحر عاش هنود
ركبت إليها زورقا وسباحة		وعطلة صيف والطريق كئود[83]

81 عبد الله الطيب، "بانات رامة"، الطبعة الأولى، الدار السودانية، الخرطوم، 1970 ص 23.
82 المرجع السابق: ص 109
83 المرجع السابق: ص 109.

ويستخدم عبد الله الطيب كثيرا من كلمات القرآن والسنة ويشير إلى الرموز التاريخية في العديد من قصائده فعلى سبيل المثال لاحظ أبياته في القصيدة التي عنوانها "القمر المصنوع":

هل أتاكمو الخبر أن سيبلغ القمر
هل ترون مسلماً يقول هذا قد كفر
فهلموا للكتاب نتدبّر السور
والنصوص البينات الواردات في الأثر
أيّها المرتاب إن الله علّام الغيوب
وله السر الخفيّ في ضمائر القلوب
وإليه نسلم الأمر جميعاً وننيب
إنّه خبّرنا الحق فلسنا نستريب[84]

ونظّم عبد الله الطيب في هذا الديوان قصيدة عنوانها "عرّج على جوس"، وهي قصيدة طويلة يتجاوز عدد أبياتها 175، أي هي أطول من معلقة طرفة بن العبد "لخولة أطلال ببرقة ثهمد"، وعدد أبياتها 105 بيتاً. وهذه القصدية الرائعة في الواقع تُعتبر سيرة ذاتية لحياة عبد الله الطيب، وكتبها عندما كان في نيجيريا، و"جوس" هي مدينة بإقليم الهضبة من شمال نيجيريا. ويمكن لقارئ القصيدة ملاحظة الحنين إلى الوطن، يقول:

عرّج على جوس وأذكر عندها الوطنا		إن الجبال بجوسٍ هجن لي شجنا
أذكرنني أركويتاً وفي نائيةٌ		والنيل ياليت أن النيل منك دنا[85]

وتلاحظ أنه يواصل الحنين والوجد في نفس القصيدة الطويلة وهو يقول منشداً:

84 المرجع السابق: ص 10.

85 المرجع السابق: ص 149.

وإن بالدامر الغربيّ منزلة		كانت لنا وغنينا عندها زمنا
لدى السيالة إذ جمع الصلاة بها		صبيحة العيد والطّبل الذي رطنا
نبئتها قد هوت من بعد ما سمقت		حيناً من الدهر لم نذمُم لها فننا[86]

وفي القصيدة صور شعرية مختلفة ورؤية فلسفية، يقول:

وإنّما هذه الدنيا كغانيةٍ		تزيّنت ولها طرف الغُرور رنا
والصالحون عباد الله إذ رغبوا		عنها إلى الله كانوا معشراً فطنا

وهناك قصيدة في هذا الديوان بعنوان "المنآة والمتعزل"، ولعلها أعنف قصيدة نظمها عبد الله الطيب، وهي القصيدة التي ودّع بها السودان:

ألا من لقلب بالغرام مُوكّلِ		وبالصدق إن الصدق حصنى وموئلي
أريدُ نصيراً فالمهيمن ناصري		وأشرف آفاق العروبة معقلي
يقولون لي هلّا تقيم لدى الحمى		حمى العلم إن العلم أكرم منزل
فقلت: وأين العلم ليست دياره		هنا ههنا الأرض أرض الخنا والتبذل[87]

وقد عجّ هذا الديوان للشاعر الفصيح الملهم بالقصائد الطوال خلال قصائد ديوانه "أصداء النيل" التي كانت قصيرة. يمكن مراجعة قصائد: "عجب الأيام والدهر"، و"المنآة والمتعزل" و"الوعد الذي جحدوا"، و"الدّمن الخوالي" و"يا دار مية" إلى جانب أطول القصيدة وعنوانها "عرّج على جوس".

سقط الزند الجديد:

يمثل ديوان "سقط الزند الجديد" الصادر عن دار الطباعة ودار التأليف والترجمة والنشر بجامعة الخرطوم سنة 1976، أول شعر لعبد الله الطيب، ولكنه الديوان

86 المرجع السابق: ص 151.

87 المرجع السابق ص 93.

الأخير الذي طُبع قبل "برق المدد بعدد وبلا عدد"، يقول صاحب الديوان في مقدمة الكتاب أنه نظّم شعر سقط الزند الجديد بين سن الخامسة عشرة والخامسة والعشرين، ولا يعتذر عن ركاكة في هذا أو ضعف- فقد كان القوم في الماضي يتصدون للمسئوليات في خمس عشرة وهي سن أجاز فيها الرسول صلى الله عليه وسلم أحد الصحابة فقاتل"[88]. وهذه هي أولى مراحله الشعرية، وقد قال أحد أبرز تلاميذ عبد الله الطيب الشاعر الدكتور محمد الواثق، عميد المعهد العالى للموسيقى والمسرح، ومدير معهد البروفيسور عبد الله الطيب للغة العربية بجامعة الخرطوم سابقاً، في مقال منشور على الموقع الالكتروني (سودان ايلايت)، "إن شعر سقط الزند الجديد يحمل سمات فترة الثلاثينات إلى قيام الحرب العالمية الثانية وكانت هذه الفترة تعشو للحداثة في شتى مناحيها من مسرح وموسيقى ورسم وتوغل في قراءة الأدب الغربي والانجليزي بصفة خاصة وقد ساير عبد الله الطيب الحداثة في هذا الديوان. تغيرت التراكيب الداخلية للشعر وتنوعت القوافي ومالت أوزانه الى الاوزان المجزوءة والقصيدة وساد بحر المديد ومخلع البسيط وجاءت القصيدة في شكل مقطوعة"[89].

رب شعر صابني غدقه

من سلاف الراح أغتبقه

كم سهرت الليل مرتقباً

فجره حتى بدى فلقه

وكذلك يمكن إلقاء النظر على قصائده "رحلة عاصم" و"سهمان" و"متسولة" و"سجى الليل"، فقد تماوج هنا شعره بالحداثة والعصرية التي نفّر منها في ديوانه

88 عبد الله الطيب، "سقط الزند الجديد"، الطبعة الأولى، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1976 ص 9.

89 الأستاذ محمد الواثق، وثائق محاضرات سنوية عبد الله الطيب، http://www.sudanelite.com/vb/showthread.php 2016/06/20.

"بانات رامة" و"أغاني الأصيل". ونهجه في هذا الديوان يضعه في منزلة شعر خليل مطران وعبدالرحمن شكرى والعقاد ومحمد أحمد المجذوب، ويبعد به جدا عن أمثال الرصافي والزهاوي والبنا.

وقد فات ديوان "سقط الزند الجديد" صراع ونقد زمانه، من أجل التأخير في طباعته إلى عام 1976، رغم نظمه في سن الخامسة عشرة والخامسة والعشرين، وتعرض لنقد بيئة جديدة لم يُوضع فيها، وانسحب عليه النقد الذي وجه لـ "أصداء النيل" و"بانات رامة". ويقع هذا الديوان الذي اقتدى في تسميته بأبي العلاء المعري إذ هو سمى ديوان صباه "سقط الزند" يعنى به أول ما يتساقط من نار الزناد، يكنى بذلك عن طبيعته غير البالغة حق الاستواء والنضج، في مائة صفحة. وقد كان عبد الله الطيب مولعا بديوان أبي العلاء المعري. وختاماً فإن هذا الديوان الشعري يعد ممتعا ومسلياً لمحبى الشعر السوداني وقرائه.

أغاني الأصيل:

ظهر ت الطبعة الأولى لديوان الشاعر السوداني عبد الله الطيب "أغاني الأصيل" عام 1976 عن دار جامعة الخرطوم للنشر في 170 صفحة، بعد حوالي 6 سنوات على صدور ديوانه "بانات رامة". والنسخة التي بين يديّ الآن، فهي الطبعة الثانية التي صدرت عن دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي – الخرطوم، عام 1425هـ الموافق 2004، تحت رقم الإيداع: 2004/261. ويحتوى نحو 170 قصيدة وقطعة شعرية في المدح النبوي والحب والرثاء، ولكن معظم الأشعار في الحب والغزل والجمال، حتى لا تخلو قصيدة من حديث عن المرأة ووصف للجمال واسترسال لذيذ مع الحب، إذ أن الحب عند عبد الله الطيب هو جزء من روحه وقطعة من حياته وحديث عميق بصدر من عاطفته ومشاعره الدفينة.

وقد أهدى عبد الله الطيب هذا الديوان إلى الأستاذ على بك الجارم والدكتور طه حسين وفاءً وتقديراُ، وأفضّل أن أسوق لكم كلمة الإهداء كما هي: "إلى اللذين كان يطربهما الشعر ويزدهيما ويحسنان إلقاءه على الناس، الأستاذ علي بك الجارم والدكتور طه حسين، رحمهما الله رحمة واسعة وجعل ثراهما من جنة المغفرة عنده والرضوان".

ولاحظ الشاعر أن في ديوان "بانات رامة" طولاً فتلافى ذلك في قصائد "أغاني الأصيل"، كما ذكر في مقدمة الديوان قائلاً: "هذا وقد كان في هذا الديوان طول، فاختصرناه، وعلّ خيرا ما صنعناه، ..... وأحسب أن عهدي طول الطويليات في "بانات رامة" هو الذي جرّأ على هذا الاختصار، والديوان بعد كبير في جملته، فليس مثل هذا الحذف بضائره ان شاء الله"[90].

وقد نظّم عبد الله الطيب أكثر أشعار هذا الديوان في عهد غير جدّ عندما كان في ريعان شبابه، إلا أن في الأشعار دفء وضوء وأصالة ونقاء، وشعور بالقديم. فكان عبد الله الطيب دائما يسعى لتعليم أشعار الأوائل ومختاراتهم الجياد وروائع فحولهم من أمثال أبي الطيب وأبي تمام وأبي عبادة والذين ساروا على منحجهم من بعد إلى عصر البارودوي وشوقي وحافظ إبراهيم. وكان يرى أن تصحيح الأذواق وإصلاحها يترتب تصحيح اللغة نفسها وفهمها والمحافظة عليها، وكان يعتبر اللغة العربية عنوان نهضة الأمة العربية وشاهد عزتها وكرامتها بلا أدني ريب. والتزم عبد الله الطيب، وفق ما ذكره في مقدمة هذا الديوان، بأوزان الأوائل حتى أنه لم يدع المديد ولا مخلّع البسيط كما في البيت:

وصاحب الفُرجة إلا تاوي بُحّ من صوته الحلوق

90 عبد الله الطيب، "الأغاني الأصيل"، الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2004 ص 9.

ويضم هذا الديوان بين طياته العديد من القصائد التي تختلف في أغراضها وموضوعاتها من الغزل والمدح والرثاء والوصف وما إلى ذلك من المواضيع. وها هي عناوين أهم القصائد الواردة في الديوان: "شباب الروح" و"الثلج واللبن" و"في كسلا" و"عن الحب" و"حنين الروح" و"خاتِم الحب" و"عذراء الشذى" و"دار الحبيب" و"ذكرى ورثاء" و"الشعر والنقاد". يقول في قصيدة "حنين الروح":

زار الحبيب وفي الفؤاد جروح		ولقد تحنّ إلى الحبيب الروح
وقد اشتهيتك يا جناة بقوة		وأريج نورك لا يزال يفوح
ولقد أود لقاء وجهك خالياً		وإليك بالسر الكبير أبوح[91]

وينشد في قصيدة عنوانها "عن الحب":

أعيذكِ من سقام يا شفاء		وحلّ بمن يعاديك الشقاء
أحبّك هل تحبيني أجبنى		مع الحب الصراحة والسخاء
ألحّ الحب بي ونمّت قواه		وغيرى بالهوى من قبل ناءوا[92]

كما أن عبد الله الطيب يذكر في بعض قصائده والده وأخاه ذكرا حسنا، ويذكر حجته ويلوذ بالرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك يستنجد بالأولياء، قد تلاحظ هذه الأمور عند قرائتك لقصائد " الشعر والنقاد" وكلوم الفؤاد". وتتعدد رحلاته في هذا الديوان لمواطن المسلمين الغابرة في الأندلس وفي سراييفو -عاصمة البوسنة والهرسك، وتمتزج الذكريات بالمأتم الشعري الذي أقامه لشقيقته في قصيدة عنوانها "رثاء الشقيقة":

بكيت على أختى الصالحة		وأرفع كفي بالفاتحة
بكيتُ عليها بدمع سخين		أحس له لذعة جارحة

91 المرجع السابق ص 73.

92 المرجع السابق ص 57.

تمنّيتُ لو مُدّ من عمرها		قليلاً وفارقتها البارحة[93]

وفي الديوان أيضا قصيدة طويلة جدا كتبها في رثاء الدكتور طه حسين كما أوردها أيضا في كتابه الشهير "القصيدة المادحة ومقالات أخر"، وتعدّ من أجود شعره، يقول:

شغفنا به في زمان الصبا		وذقنا التذوق من عذبه
قرأنا تصانيفه واستفدنا		بعب السلاقة من شربه
ونحن بها من تلاميذه		وأي أولى الفضل لم تسبه
وأحزنني الناس لما نعوه		الي، ومجدي من سيبه
فذاك عزاء وكل الورى		يسوقهم الموت في ركبه[94]

وهذه بعض القصائد من ديوانه، عرضتها هناك لتقديم مواضيعها المتنوعة وبنيتها وأساليبها. وبعد هذا الحديث الطويل، يمكن لنا أن نلخص في أن ديوان "أغاني الأصيل" لعبد الله الطيب جدير بالدراسة والتأمل، فجله شعر في الحب والجمال، ويتخذ الشاعر منه وسيلة للحديث عن حياته وذكرياته وآرائه.

اللواء الظافر:

هذا أصغر ديوان لعبد الله الطيب فيه شعر فاخر ويحتوى على أربع قصائد فقط: "الخميس الزاحف" و"العبقري الأوحد" و"دموع النوار" و"اللواء الظافر". يقول صاحب الديوان في تقديم له للكتاب، "فبين يدي القارئ أربع كلمات منظومات قد

93 المرجع السابق ص 152.

94 المرجع السابق ص 155-157.

نشرتها منذ قريب، وبدا لى أنه عسى أن يكون من تمام الفائدة للقارئ الكرام أن أصدرها في هذا الكتيب معاً مع شيء من الشرح الموجز[95]".

وقد سمّى ديوانه "اللواء الظافر" على قصيدة جاءت في الديوان الذي يتمثل في أربع قصائد: "الخميس الزاحف" و"العبقري الأوحد" و"دموع النوار" و"اللواء الظافر". وكانت "اللواء الظافر" أول رد فعل لإقصاء عبد الله الطيب عن منصب مدير الجامعة، بعدما تقدم للانتخابات لمنصب المدير فأقصاه المتآمرون وفيهم من كان يظنه أنهم من خاصة بطانته وصفيه ومؤانس له. فأصابته أزمة لهذه الحادثة وتأزم شعره ولحقته حدّة لم تكن معهودة فيه فسجّل غضبته الشديدة في هذا الديوان الشعري، يقول في القصيدة:

وقفت كما رُفع اللواء الظافر		وجبينها حدّ السنان الباهر
إما ترينى كالحسين مضرّجاً		بدم الشهيد فذاك فوز ظاهر
وحويتُ في صدري حزائن حكمةٍ		وصبرت إن العبقريّ لصابر
وأرى مصارعَ حاسديّ وربما		ألفى غداً وأنا الأمير القاهر
والقلب في الظلمات يُبصر نوره		روح الإله وكالنبي الشاعر[96]

ويصف عبد الله الطيب جهل المتآمرين وعديم ضميرهم ومكايدهم في هذه القصيدة التي بعض أبياتها شديدة الهجاء، لاحظ مثلاً:

وتزيده الأيام وهو يزيدني		حرصاً على نيل العلى وأثابر
ووجوه قومٍ قد رأيتُ كأنها		من قُبحها في التجربات مقابر
وتصدّر الجهل القبيح وحفّه		متكالبون على الحُطام أصاغر
جاءوك كيما يقتلوك نفوسهم		متعفّنات ما لهنّ ضمائر

95 عبد الله الطيب، "اللواء الظافر" ص 1.

96 المرجع السابق ص 8.

والناس أجمع ساكتون كأنهم		شهدوا الهدى إن الضلال لداعر[97]

وقد قامت صحيفة "الرأي العام" بنشر هذه القصيدة يوم 13 يوليو 1968م الموافق 17 ربيع الثاني 1388هـ .

ويتميّز هذا الديوان بتوثيقه للتواريخ التي نُشرت فيها هذه القصائد، وفي هوامشها شرح للكمات الصعبة التي وردت في القصائد، كما أن صاحب الديوان الشاعر عبد الله الطيب قام بإيراد الملحوظات والإشارات في الهوامش لتوضيح الإبهام أو ما قد يصعب على القارئ فهمه والوصول إليه.

أربع دمعات على رجال سادات:

لم أتمكن من الحصول على نسخة مطبوعة أو نسخة الكترونية لهذا الديوان الصغير الذي يحمل عنوان "أربع دمعات على رجال سادات" لعبد الله الطيب بالرغم من محاولاتي المكثفة ومساعي المتنوعة باختيار كل الوسائل المتاحة والسبل الممكنة بما فيها استخدام الوسائل الدبلوماسية، وتوجيه الرسائل الإلكترونية إلى الأشخاص والجهات التي قد تزودني بنسخة من هذا الديوان أو تسد حاجتي على الأقل بتوفير معلومات عن هذا الكتيب لأؤدّي واجب البحث وأشفي غليلتي. وهذا ما جعلني في وضع يصعب عليّ إيراد التفاصيل عن الكتاب بالخوض في دراسته ثم تقديم ما يحمل في طياته من أغراض الشعر ومواضيعه وخصائصه إلى جانب إيراد نماذج من الأبيات توضّح نهجه وأسلوبه ولغته.

هذا وعند إبحاري في عالم الشبكات الإللكترونية وجدت مقالاً، على موقع "التوثيق" بعنوان "أحزان العربية في السودان من عبد الله الطيب إلى مصطفى أبوشرف" للكاتب د. سليمان يوسف الخاطر، يتطرق إلى ذكر "أن ديوان أربع دمعات على

97 المرجع السابق ص 8-9.

رجال سادات يحتوى على أربع قصائد رائعة، فيها دموع سجام على رجال كرام، هم شيخه الجليل أستاذ الأجيال محمد مجذوب بن محمد بن أحمد بن جلال الدين بن عبد الله النقر بن حمد بن محمد المجذوب، واللواء عمر الحاج موسى، والأستاذ الدكتور مندور المهدي، وصديق عمره وابن عمه الشاعر المفلق محمد المهدي مجذوب،رحم الله الجميع رحمة واسعة"[98]. ووفقاً لموقع مكتبة الملك فهد الوطنية،فإن هذا الديوان يأتي ضمن شعر الرثاء، ويحتوى على 8 صفحات فقط، ويعود تاريخ نشره عام 1402هـ الموافق 1982م[99]. وهذا كل ما تمكنت من التحقيق حتى ا لآن حول هذا الديوان الذي لم أظفر به بالرغم من بحثى الطويل واستخدام معظم السبل الممكنة. وسأستمر في المزيد من البحث عنه مستقبلاً إنشاء الله مع اتساع الوقت والوسائل.

برق المدد بعدد وبلا عدد:

نظّم عبد الله الطيب آخر قصيدة في مدح الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم بعنوان "برق المدد بعدد وبلا عدد" في ديوان مستقل سماه باسم القصيدة، وقوافيها مرتبة على حروف الهجاء. وفي هذه القصيدة النبوية تعبير وتفكير في أحوال الإسلام والمسلمين والمجتمع والحضارة والتاريخ والعصر. ويقع الديوان في 46 صفحة، نُشر عن عن جامعة افريقيا العالمية في السودان، ثم قامت زوجته السيدة جرزلدا الطيب بإعادة نشره وغلفته بغلاف أنيق يحمل صورة عبد الله الطيب.

وأشار صاحب الديوان بالجزء الأول من اسم كتابه "برق المدد" إلى منظومتين جعلهما نموذجاً له وتأثر بروح أنغامها. وهاتان المنظومتان هما: "سر المدد والشهود" للشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين[100]، و"البراق" للسيد محمد عثمان الختم

98 http://www.tawtheegonline.com/vb/showthread.php?p=44909

99 http://ecat.kfnl.gov.sa:88/ipac20/ipac.jsp?session=146751V8759T6.350899&profile=akfnl&uri

100 مؤسس "الدامر" وشخصية شهيرة في التصوف في طريقة السادة الشاذلية.

الميرغني[101]. وكلتاهما من مجموعات مرتبة على الحروف الهجائية، كل مجموعة تشتمل على عدد من المقاطع، وفي كل قطعة منها خمسة أشطار، أربعة منها بقافية واحدة والشطر الخامس ملتزم في كل مجموعة حرفا من حروف الهجاء يجعله قافية. أما بالجزء الأخير من اسم كتابه "بعدد وبلا عدد" فقد أراد به أن مجموعات منظومته المكونة من تسع وعشرين مجموعة تلتزم في شطرها الخامس حرفاً هجائيا واحداً بدءاً بالهمزة وانتهاءً بالياء. ولكن لم يلتزم فيها في كل مجموعة بنفس العدد من القطع، فالبعض فيها سبع قطع، وفي البعض الآخر أكثر من ذلك ولكن ليس أقل من سبع قطع في المجموعة الواحدة. وهذا النظم على مجموعات خماسية أو تزيد اسمه التسميط فمثلاً يبدأ القصيدة بالقول:

مع الحمد باسم الله ذا النظم أفتتح
نصلى على الهادي نسلم نمتدح
رسولا به درب الهداية متضح
وليس بلا حب ديننا يصيح
ونحن به من كل سقم سنبرأ[102]

وقد تلاحظ أن شعراء التصوف وشعراء المديح النبوي أكثروا هذا النوع من النظم لحلاوته في النشيد والنغم. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أهل السودان ينشدون مختارات من قطع سر المدد والشهود للشيخ المجذوب في ليلة الجمعة وليلة الاثنين إلى جانب مناسبات أخرى لتعبدات الطريقة الشاذلية وأذكارها كقوله مثلاً:

جمالك يا طه جمال محير

101 مؤسس الطريقة الختمية الشهيرة في التصوف والمنتشرة في مصر والسودان، وينتمي إلى واحدة من أسر الأشراف بمكة المكرمة وهي أسرة الميرغني، والاسم الكامل لكاتبه هو النور البراق في مدح النبي المصداق.

102 عبد الله الطيب، "برق المدد بعدد وبلا عدد"، جامعة افريقيا العالمية، ص 1.

وكقوله:

وحاشا إله العالمين يردنا

وكقوله:

مقدم الجيش المرسلين رسولنا

وفيما يتعلق بمجموعة "البراق" بتشديد الراء، فقد ذكر عبد الله الطيب في مقدمة ديوانه هذا، أن أناشيد "البراق" معروفة في الطريقة الختمية. وإنه سمع أناشيد الختمية منذ صباه في مدينة كسلا وفي أيام المدرسة ببر الوسطى.

ويتميّز هذه القصيدة النبوية الرائعة مثل دواوينه الأخرى، بالهوامش التوضيحية التي أوردها صاحبه، فيشرح معاني المفردات الصعبة ويفصل الكلام في الأعلام والأماكن الواردة في القصيدة.

وبهذا وصلنا إلى أن لعبد الله الطيب دواوين شعرية عديدة، بعضها كبيرة في الحجم والقصائد حتى أن له قصيدة بعنوان "عرّج على جوس"، وهي قصيدة طويلة يتجاوز عدد أبياتها 175، أي هي أطول من معلقة طرفة بن العبد "لخولة أطلال ببرقة ثهمد"، وبعضها صغيرة جدا حتى أنها تشمل فقط على 8 صفحات. وقد نظّم في أكثر الأغراض القديمة مثل المدح والغزل والفخر والرثاء والهيجاء والوصف والحكمة وما إلى ذلك من الأغراض قديمها وحديثها.

والحمدلله وصلى الله على محمد

الفصل الثالث

الخصائص الجمالية في شعر عبد الله الطيب

الفصل الثالث: الخصائص الجمالية في شعر عبد الله الطيب

بداية:

بدأ عبد الله الطيب حياته تلميذاً ذكياً وبارعاً في الخلوة التي اشتهر بها السودان منذ دخول الإسلام أراضيه، ومضى يترسم خطاه بقراءة كتب السير والتراجم والشعر العربي القديم وكان منذ نعومة أظفاره شديده الوله بالكتب الأدبية. وبدأ ينظّم الشعر وهو في سن الخامسة عشرة، وفي القصائد التي نظّمها تبدوا بصمات الشعراء القدامى من الجاهليين والإسلاميين، كما قال الدكتور طه حسين في كتابه من أدبنا المعاصر، "إن عبد الله الطيب ذهب مذهب الجاهليين والإسلاميين غير مقلد ولا متكلف". وكان مفتونا بالشعر العربي القديم فتنةً لا حد لها ولا غاية. وقد كان عبد الله الطيب واسع الإطلاع على كتب اللغة والنحو ودواوين الشعراء، وموسوعي المعرفة بأسرار اللغة وغريبها ولهجاتها، وواسع العلم بمذاهب النحاة وشواهدهم. فقد كان مبرزا في مجال اللغة والأدب تجده يُكثر استشهاده بكلام العرب نظماً ونثراً ليس في مؤلفاته العلمية الأصيلة فحسب وإنما في دروسه الجامعية ومحاضراته الإذاعية والتلفزيونية المشبعة بروح العلم والمعرفة، وذلك معتمدا على ذاكرته القوية الحافظة، بلغة تمتاز في قوتها والتي تبدوا جلياً في ألفاظه الصلبة وتراكيبه المتينة. وكان من أبرز الشعراء في السودان تمكناً باللغة العربية وله مكانة سامية في نفوس السودانيين. وفي هذا الفصل نحاول الوقوف عند شعره لمعرفة الخصائص الجمالية الموجودة في شعره.

الخصائص الجمالية في شعر عبد الله الطيب:

إن الحديث عن الخصائص الجمالية في شعر عبد الله الطيب معناه البحث في القيم الجمالية الموجودة في شعره، والكشف عن خصائصه وصفاته البلاغية

وسماته الأسلوبية، إذ أن الجمال يُعتبر من أبرز صفات البلاغة ومن أظهر مميزاتها، كما أن البلاغة بصفتها أحد علوم اللغةالعربية اهتمت منذ نشأتها بالبحث عن الخصائص الجمالية والأسلوبية التي تميّزت بها النصوص الأدبية. وإذ أن عبد الله الطيب وضع كتاباً ضخماً من خمسة مجلدات في علم البلاغة من المعاني والبيان والبديع وعنوانه "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، أجد نفسي مرغماً على الكشف عن الخصائص والقيم والمعالم الجمالية في شعره.

هذا ويبدو أن عبد الله الطيب عرف كيف يجعل معرضا فنياً للجمال من شعره الذي يتحدث فيه عن طفولته في "كسلا" او مراحل دراسته الابتدائية في قريته الواقعة بالتميراب، أو حياته في لندن للحصول على التعليم العالي، أو يذكر عن رحلاته العلمية لدول العالم شرقاً وغرباً لابادان وطشقند وبغداد والقاهرة أو الرباط واليونان ويوغوسلافيا، أو حبه للجمال الذي كان همه الأكبر وشغله الشاغل. وفي الصفحات التالية أفسر الكلام للحديث عن هذه الخصائص والقيم الجمالية.

نماذج توضّح الخصائص الجمالية في قصائده:

والآن عندما نشرع في إتيان النماذج التوضيحية للخصائص الجمالية في شعره، لا بد أن نشير إلى أن مفردات عبد الله الطيب تميّزت بالفصاحة والجزالة والفخامة والوضوح في الدلالة، إنه جمع في كلامه بين جزالة البداوة وفصاحتها، ورقة الحضارة وعذوبتها، وستلاحظها في النماذج التالية:

يتحدث عبد الله الطيب عن طفولته في قصيدته الطويلة "أناشيد ذلفاء" وموطنه الأصلي "كسلا" واصفا الطبيعة والحياة هناك وصفا شعريا مؤثرا، يقول:

فاذكر أيامك الأولى إذ العيش رخاء
والحياة في كسلا خصب وأهلوك سواء

وعلى الآفاق غعصار وقد غام الفضاء
ومن السقف لصوت الرعد في العين هباء
ومن الخضرة حول البيت للارض كساء
وعزاء القلب ذلفا وما منها عزاء
وقديما يعشق الحسن العزيز الشعراء

ثم يتذكر والده وحبه له وآماله الكبيرة فيه، فيقول:

وتذكرت أبي كان أبي ضوء قبيلة
ولقد أمل أن أبلغ غايات جليلة
والمنايا تجعل الحازم والدنيا بخيلة
ولقد خصك اذ أعجبه منك المخيلة[103]
ومن الخضرة حول البيت للارض كساء
وأتى القاش وماء القاش طين فيه ماء
وعزاء القلب ذلفا وما منها عزاء
وقديما يعشق الحسن العزيز الشعراء[104]

ويذكر عبد الله الطيب جوانب من طفولته وحياته في قصيدة "الشعر والنقاد"، فيقول:

ومات أبي في الأربعين ولم يعش
أخي بعده واستقبل الدهر واحدي
تذكرت أيام الطفولة حينما

103 عبد الله الطيب، "أغاني الأصيل"، المرجع السابق ص 105.

104 المرجع السابق، ص 108.

يعلق بي آماله الغرّ والدي
وكان أبي يا عطر الله ذكره
فريدا وبين الناس جم المحامد
يعلمني علم المروءة ناشئا
وفي قلبه حبي وعرفان واعدي
وكنت صغيرا جاهلا غير آبه
لما خبأته من صروف مشاهدي
فأيقظنى مر السنين وذادني
عن الورد من كأس الحادثة زائدي
وأصبر للمكروه حتى أذيبه
وأعلم أن المرء ليس بخالد[105]

وكذلك تقرأ قصيدته "في كسلا" تجد فيها جمالا وتصويرا لمظاهر حياته إذ هو صبي صغير، ولسيت هذه القصيدة بل ديوانه "أغاني الأصيل" بأكمله مملوء بصور حياته في مختلف مراحل عمره، وهي صور كلها مشتقة من البيئة والأسرة والأمل والألم والطبيعة الحالمة في أودية النيل المعشوشبة الجميلات.

ذكرت إذ صبية صغار
نحن وذا كم مدىً سحيق
والقاش آفاقه رحاب
لكن تيّاره دفوق
وأنت يا هذه حبيبي

105 المرجع السابق ص 16-17.

والعمر في الحبّ لى طريق
تضحك بالسنّ أم حسّان
إن قلبي بها علوق
والجوف من حب أم حسان
فيه من حبها حريق[106]

كما أن مشاعر الدكتور عبد الله الطيب وروحه ثرية بحب الجمال والهيام به والتصوف فيه، وربما من أسباب تعلقه به، حياته التي قضاها في مدينة كسلا ثم في العاصمة الخرطوم، حيث مناظر الطبيعة ومشاهد الحياة والمرأة تثري القلب والعاطفة والوجدان. ويذكر عبد الله الطيب حياته في مدينة لندن البريطانية بكل أعماق مشاعره، فمثلا يقول في قصيدة "اناشيد ذلفاء":

ولقد تذكرت من لندن أياما جميلةً
وفتاة زودتنا وصلها عند الخميلة
وتفارقنا فعين الضب بالدمع كحيله
والتي هام بها القلب مُفداة نبيله[107]

ويصف في قصيدته "لندن وباريس" حياته في انجلترا بالقول:

وأنكرت لندن عن عهدها
كما أنكرتنى فقلبي آسف
وكنت بها قد قضيت الشباب

106 المرجع السابق ص 47-48.

107 المرجع السابق، ص 106.

إلى العلم في سوحها أختلف
تعلمت فيها علوم الحياة
ومن ثمرات الحجا اقتطف
وشاركت في حلقات النقاش
وأقرأ كل ضروب الصحف[108]

كما يذكر بالوفاء ايامه الحلوة والجميلة في لندن. وحياة عبد الله الطيب هذه في لندن ليست من أسباب هيامه بالجمال وحدها فقد قام برحلات طوال عديدة حول العالم من شرقه إلى وغربه ومن شماله إلى جنوبه، فهو حينا في طشقند، وحينا في بغداد، وحينا في ابادان، وحينا في مصر وآخر في الحجاز أو الرباط، ويوما في يوغسلافيا، وآخر في اليونان، وأدت هذه الجولات في مدن العالم المختلفة إلى إثراء العواطف والمشاعر والوجدان بكل ألوان الجمال ومشاهده، يقول:

اقلب نفسي بين البلاد
تقلبني الغربة الكادحة
كذا استمر ولا استقر
على الموج كاللوحة الطافحة

ويتحدث عبد الله الطيب عن رحلاته الكثيرة في العالم في قصيدته التي عنوانها "الحبيب يزار":

ولقد زُرت مصر والمغرب والأقصـ		ـي وبغداد فالرباع قفار
وشهدت الصراع في أرض نيجر		يا وللمسلمين عنه ازورار[109]

108 المرجع السابق، ص 166.

109 المرجع السابق، ص 144.

ويصف عبد الله الطيب حبه في قصيدة المعنونة "صهباء لميس" قائلاً:

هل تذكرن أخي أيام لندرة
إذ لذّة العيش وثب والهوى درج
واختار قلبك روعاء الشباة لها
صدق إليك وعزم فيك مندرج
تُبلى الليالي جديدات الوصال ولا
تبلى الحبال التي بالجد تُنسج[110]

ويقول عبد الله الطيب في مكان آخر:

وإني لمغرى بالجمال وإني
لعمرك قد خلدته عند خالد

كما أن عبد الله الطيب يمتزج الحب بالإيمان القوي والتصوف أو بالشاعرية الموهوبة والبيان الثري:

وأوتيت مقدرة في البيان
وتبهر بالأدب الرائع
وأنت إمرؤ عربي السليقة
تصفو بوردك للكارع
وتهوى الجمال وتبغي الكمال
ونخبة بالورع الخاشع

110 المرجع السابق، ص 44.

وتتلو الكتاب وترجو الثواب
وليس دعاءك بالمنائع
وطاع إلى القريض العصى
الذي ما لغيري بالطائع
وأبيات شعر رناتها
كصلصة الجرس القارع

والحب عند عبد الله الطيب أقوى من اللذة وأسمى من الجنس فلاحظ قوله:

فمن ظن أن الحب بادرة الهوى
من الجنس فليعلم بأن ليس ذا حبي

ويعتبر الحب أقوى سلاح في يد الشاعر يحارب به حتى أعدائه كما يقول في قصيدة له عنوانها "غرّد":

غرد بحبك يا متيم غرد
وعلى عدوك سيف حبك جرد
فالحب أقوى ما تقاتلهم به
إذ لا تبالي بالجموع الحشد[111]

وكان والد عبد الله الطيب أيضا يحب الجمال كثيرا، وقد ورث حبه للجمال عن أبيه، فقد قال:

وأبي كان عاشقا مثل عشق		ها، ويلفي صداه في مزماري
ونظمت القريض بالألق الخا		لص يه الضياء من أنواري
ولدى الشعاع من عالم الذ		ر، ونفسي بعيدة الأقطار

111 المرجع السابق، ص 93.

حبذا يا "لميس وأهوأ		ك وقد لاح في دجاك مناري
والتي تيمكت يا أيها الشا		عر حورية من الاغوار
وأحب الأنام طرا إلى قف		ي وما كان حبها من عار

وسترى أن الشاعر دائما يحيط الجمال بإجلاله وتقديره فيصفه بحربة حيث يقول:

والحسن حربة وأنت به
فاتنة للقلوب مفتونة

فالحب هوي النبع الأول والأهم والأكبر لشاعرية عبد الله الطيب، فينشد:

فيا أحباء فؤادي بكم
اشدو والحاني ملء الزمن

ويعبر عن هذه الحقيقة فيضيف بالقول:

وقد تعلمين باني لحبك سد		ت فكل فتى مادحي
وحبك فتك في البيان		وأورى بزندي للقادح
اجل حبك أهوى بلادي		على عنت الحاسد الكاشح

ويرى عبد الله الطيب أن الحب هو من أقوى حقائق الحياة، فيقول:

تحملين ا لأعباء مثلي من الحب
وكان الغرام أقوى حقيقة

وكان الحب لعبد الله الطيب شغله الشاغل عن كل شيء حتى عن السياسة وما إليها فيقول:

ولقد وقفت أراقب الأحداث والـ		أداث لا تالو إلى فنونا
ولقد نسيت من السياحة حولنا		اعصارها وجحيمها الملعونا
والغيب أسرار ونور حبيبتي		يمحو الظلام ويبرز المكنونا

والحب هو السعادة الكاملة التي اهتدت إليها نفس عبد الله وروحه وشوقه، ومنه كان الشعر والبيان والبلاغة التي عرفها الناس في شعر هذه الشخصية، فيقول في موقف لقاء وتسليم:

وقد عرفت نفس السعادة حينما		تهلل بالتسليم كف وساعد
وحن إليها طائر النفس انها		هي الدوحة الخضراء والظل بارد
وعيناك مصباح ميسر وعالم		كبير وإنساني بعينيك ماجد
الم تجدي اني اشتهيتك فوق ما		يكون اشتهاء الجنيس والجنس مارد
تعالي إلى ماواك لي وتأملي		بيانك عندي ان شعري خالد

وكذلك يصف سعادته في الحب قائلاً:

وأبصرت اقبال السعادة حينما
رأيتك يا ليلى وهب نسيمي

هذا وإن عند عبد الله الطيب عزاء عن الحب في شعره، فيقول:

طالما غنيت ياشا		عر والشعر عزاء

ومن هنا كان مزجه بين الشعر والحب، وبين الجمال والعبقرية حيث يقول:

وهي الجميلة لا نظير لحسنها
أبدا، وهذا الجيل أنت أديبة

ولذا ترى أن عبد الله الطيب يعجب من أنه كيف تمكن من مزج حياته بين الحب والتصوف، فيقول:

ألا ليت شعرى أي عفريت جنة		اتاحك هذا الحب يابن المساجد
وإنك ذو قلب تضمن ثورة		على كل شيء فيه تامور مارد
تكبلة هذي القيود ولم يزل		يحطمها بالعبقري المجالد
واشراق نفسي بالبيان كانه		على لبة الحسناء در القلائد

ويقترن عبد الله الطيب الشعور والعظمة بالحب ويذكر في أحاديثه عن الجمال والهوى، فيقول واصفا حبيته:

قالت أرى أنك العظيم وأخـ		شى الناس أن يجعلوك مفتونا
وأنت فخر البلاد والقائد الفكـ		ـر ومن ذخره سيغنينا

وكذلك يقول ناقلاً إلينا حديث حبيبته:

والغناء الرخيم في شعرك الخا		لد من وحي ربك القهار

ويتصور الشاعر انه بفكره وشعره قد ملك عرش الحياة، ولبس تاج المجد، فينشد:

ولي تاج أراه يضيء لما		كسا الآفاق اظلام الليالي
وأنت عميق غور الفكر ماض		على سنن العباقرة الأوالي

ويسترسل عبد الله الطيب في حديثه إلى حبيبته في قص ذكريات حبه العذاب، ووصف مشاعره بالسعادة في الحب، كل ذلك في عذرية بريئة وخيال مشوق، وبساطة شيقة وحلوة، ونقل وتحرك بين مشاهد من جمال الطبيعة ومفاتنها، فيقول:

صديقة قلبي وراحة نفسي		ومتعة روحي والمرتعا

وتفسح عمري حتى الزمان		يصير بإشراقها أوسعا
وحتى نكون معا واحدا		بشخص هاما ولن يقزعا
ألا حبذا جلسات لنا		مهذبة كوبها شعشعا
فإن كنت تجهل أمر الهوى		فعندي أسراره أجمعا

وفيما يتعلق بأن الحب يفسح عمر الشاعر فيقول عبد الله الطيب في عذرية صادقة:

وأشرقت الدنيا بنور أديمها
وعيشي بها رحب وعمري أفسح

فشعور الإنسان بالسعادة والطمأنية في الحب من شأنه أن يطيل في حياته ويزيل عنه همومه وغمومه ويبعد عنه آلامه وأسقامه. وليس هناك من وصف أجمل من الوصف الذي قام فيه عبد الله الطيب بتصوير حبيبته، حيث يقول:

وأبصرتها في النيل وهي عبابه		وأمواجه والريح تهدر هدرها
وأبصرتها قمراء ليل ترفعت		والبست الدنيا سناها وفخرها

ويقول أيضا:

لها بشر الياقوت والدر جلدها		صفاء وكانت تفضح الناس والكتبا

كما يقول:

حبذا أنت والجمال كساء		الله والحب عصمة ووقار

ويناجي عبد الله الطيب حبيبته في همس وسكون وخشوع فيقول في قصيدة عنوانها "لون ليلى:

لون ليلى أرجوان		وشبابي عنفوان
ولدى الكأس والعين		آن يا صاح دنان

أنا يا ذات الفراشا		ت أحاديثي حسان
جيدك الناعم للحب		أمان وآمان[112]

ويصف جمال خد حبيبته قائلاً:

تورد خدها فأضاء فيها
ربيع كان قبل له ذهاب

ويُعد عبد الله الطيب من الشعراء العذريين الذين يهيمون بالجمال من حيث هو الجمال، وليس من حيث متعة الجسم، ولذات البدن والجسد، فتقرأ قصيدته الرائعة "زودينا" وستلاحظه محبا صادق الحب، عذري النزعة، خالص الهوى، بعيدا عن اللهو والعبث والمتعة واللذة، يقول في هذه القصيدة:

زوّدينا تحية يا سعاد		وألمي فإنّ قربك زاد
واعلمي أننا على العهد باقون		ولا زال شوقنا يزداد
ولنا الذوق والتجلي وفينا		ما حبّته آباءنا الأوراد
ومرنا على الصيام عن الشهـ		ـهوة حتى كأننا زهّاد
وعرفنا معنى الفناء الذي لا		تطلب الوصال عنده الأجساد
وعشقنا العشق العظيم الذي تعـ		ـجز عن درك كنهه العباد
ما نسيناك مذ رأيناك يا ليـ		ـلى ولا زال منك يصبو الفؤاد
لا تضنى بالقرب يا أم حسـ		ـان كلانا إلى أخيه مراد
أنت حقا جميلة ومحيا		ك مضيء وعندك الأسعاد[113]

فيلمس القارئ في هذه القصيدة صفاء الحب وعذريته عند عبد الله الطيب، فهو قانع بالتحية، طالب للزيارة ومقيم على العهد وشوقه في ازدياد وهو يعيش كالزهاد،

112 المرجع السابق، ص 103

113 المرجع السابق، ص 128.

ويدرك الفناء في الحب، وعشقه عشق عظيم، حتى العباد لا يدركون كنهه؛ وهو لم ينس حبيبته، ولايزال فؤاده يصبو إليها ويشتاق لها. وهو يخاطبها في توسل طاهر ان لا تبخل عليه بالوصال، انها جميلة حقا، محياها مضيء، ولديها الاسعاد إلى غير ذلك من المعاني الثرية التي يصورها عبد الله الطيب في قصيدته. وهو يشمل في حبه كل شيء: ا لأهل والديار والنيل والوطن.

ويُندرج عبد الله الطيب في سلك الشعراء الكلاسيكيين الجدد من أمثال عزيز أباظة وأبي القاسم الشابي وعلي محمود طه، ومن إليهم، وهو يرى الشعر تجويدا وتهذيبا يقول:

والشعر انظر في تجويد اشطره
للناقدين، إذ التجويد من همي

ويقول أيضا:

وقد نظمت قريض الشعر، أحسنه
والدهر يعجب من صوتي وإنصاحي

ويصوغ عبد الله الطيب قوافيه نبيلة ومحكمة، حيث يقول:

يا رب نصرك فانصرني وإنك ان
لا تنصر لي فمن فصحاك يحميها
ومن يفسر آيات الكتاب وبالاعراب
معجزة القرآن يرويها

ويُلاحظ أن للمتنبي نصيب كبير من تأثره وتأثيره الفني والفكري في شعر الدكتور عبد الله الطيب فوراه بقوله كما قال أبو الطيب:

وجربت هذا الناس حتى سئمتهم		وصابرتهم حتى سئمت مخارجي

ويقول أيضا:

وجربت أصناف هذا الأنام		وكم كان فيهم لك، الحاسد

وقد تأثر عبد الله الطيب باثنين من المفكرين والأدباء: واحد في القديم وهو أبو عثمان الجاحظ والذي يذكره في قصائده، حتى تراه يقول في بعضها:

وقال أبو عثمان قد يذهب الهوى		وتبقى صدوع منه هيهات رأبها

والمفكر والأديب الآخر هو من المحدثين هو عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين الذي كتب مقدمة كتاب "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" لعبد الله الطيب، حيث يقول عنه:

وغرست الغرس الكريم من المجـ		ـد وللدهر حوله اعصار
وسعيت المسعى الذي أعجز الطا		لب أن الأصالة المضمار
ورأيت الرؤيا التي عميت عنها		القلوب الغلاظ والأبصار

ولعبد الله الطيب قصيدة غزلية بعنوان "فكر طه"، يقول فيها:

تذكرت سعداي القديم ودادها		وفي القلب مني حين بانت بلادها
وهش إلينا فكرة طه برأيه		ومنه خلاصات السنين نفادها
وأشعر حقاً أنت مما تظنه		يقول وباد من قواه ودادها

كما أنه كتب قصيدة في رثائه وتُعد من أجو شعره، يقول فيها:

شغفنا به في زمان الصبا		وذقنا التذوق من عذبه
قرأنا تصانيفه واستفدنا		بعب السلاقة من شربه
ونحن بها من تلاميذه		وأي أولى الفضل لم تسبه
وأحزنني الناس لما نعوه		الي، ومجدي من سيبه

فذاك عزاء وكل الورى		يسوقهم الموت في ركبه[114]

ومع ذلك كله فالشاعر يتأثر بالشعراء القدماء ويحتذ بهم، فنجد بعض قصائده تذهب مذاهب قصائد قديمة، فقصيدته "رقة وشكالة" هي مثلا "نواسية" المذهب، ومطلعها:

لعل الفتاة المشتهاة تزور		وإني إلى معروفها لفقير
وإن الفتاة المشتهاة حبيبة		إلى وقلب الشوق في كبير
وأثمل آفاقي تأمل فجرها		وللشمس ظبي في الظلام غرير
وإن لها وجها عليه نضارة		وفي طرفها طير الحياة أسير
وفي الشفتين رقة وشكاية		إليك وإعياء معا وحبور[115]

فهذه القصيدة على نهج رائية أبي نواس في مدح الخطيب والتي يقول فيها:

أجارة بيتنا أبوك غيور		وميسور ما يرجى لديك عسير

وربما لهذا السبب اعتقد بعض الدارسين أن نهج عبد الله الطيب في الشعر نهج قديم والشعر يذكر ذلك ويرد عليه في قصيدته التي عنوانها "الخيال الشعوبي"، فيقول:

ألا إن - لا تنظم ألا إن إنهم		يقولون هذا الشعر نهج قديم
وقد ملكتنا الأغبياء وسلطت		صنوف دعي بيننا وزنينم
وقد كان ريعان الشباب يمدني		بقوته والآثمون خصومي[116]

114 المرجع السابق ص 155-157.

115 المرجع السابق ص 24-25.

116 المرجع السابق ص 31.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن عبد الله الطيب يملك مواهب وعبقرية شاعرية ثرة، إلى جانب امتلاكه فكرا رائعا، وخيالا خصبا، ومقدرة لغوية عجيبة، لا يملكها أحد من معاصريه، وهو بحياته مع التراث وإشاراته إليه في شعره كثيرا، يرمي بأن نهجه نهج قديم، وما أروع النهج القديم إذا تحلى بالأصالة والشخصية والعبقرية، وليس عبد الله الطيب إلا واحدا من هؤلاء الشعراء من مدرسة الكلاسيكيين الجدد الذين أثروا نهضة الشعر العربي بكل جديد ورائع وعجيب، مع محافظتهم على الأصول اللغوية الموروثة .

وبعد فان شعر عبد الله الطيب جدير بالدراسة والتأمل، إذ أن كله أو جله في الحب والجمال، والشاعر يكتب قصيدة الحب، ويتخذ منها وسيلة للحديث عن حياته وذكرياته، وآرائه بأسلوب سهل جيد، وستجد في شعره تشبيهات كثيرة وجودتها تكاد تظن أنه ينافس أمراء التشبيه في الشعر العربي من أمثال امرئ القيس وذي الرمة وابن المعتز، وأغلب هذه التشبيهات أو كلها في شعر الحب والجمال كما ذكرت في الصفحات السابقة.

الباب الثالث

إسهامات عبد الله الطيب في النقد والأدب والبحث

الفصل الأول: إسهامات عبد الله الطيب النقدية

الفصل الثاني: إسهامات عبد الله الطيب الأدبية

الفصل الثالث: إسهامات عبد الله الطيب البحثية

الفصل الأول

إسهامات عبد الله الطيب النقدية

الفصل الأول

إسهامات عبد الله الطيب النقدية

بداية:

قد اتّضح من خلال الباب الأول عند الحديث الوجيز عن آثار عبد الله الطيب العلمية، أن هذا الكاتب النشط والباحث الجاد والمؤلف المتنوّع لم يترك مجالا في الدراسات العربية دون أن يكتب فيه كتاباً أو أكثر، ولم يرحل من الدنيا الفانية إلا بعد خدمة العربية ردحاً من الزمان دارساً ومؤلفاً ومعلّماً ومؤسساً ومديراً. ففي الصفحات التالية سأحاول الحديث عن مؤلفاته المتنوعة مع ما تحمل في طياتها من ناحية المواضيع التي ناقشها عبد الله الطيب.

مؤلفاته ومقالاته النقدية:

لعبد الله الطيب مؤلفات وبحوث ودراسات عديدة في مختلف المجالات بما فيها مجال النقد الأدبي، فإنه يسلك في سلك النقاد الشعراء أو الشعراء النقاد كابن المعتز وابن طباطبا في تراث النقد، وعباس العقاد وحمزة الملك طمبل وعلى أحمد سعيد "أدونيس" وكل هؤلاء تساوق أشعارهم نقدهم، وتؤازر دعواتهم وآرائهم[117]. ومن أهم وأشهر كتاب عبد الله الطيب في مجال النقد على الإطلاق هو كتابه "المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها" الذي نال عنه جائزة الملك فيصل للأدب عام 2000م، كما أن كتابه الذي في الأصل ورقة نقدية كتبها المؤلف في عام 1982 لمجلة "الدوحة" القطرية، بعنوان "الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي"، تسبب في مناقشة مكثفة فيما أثاره عبد الله الطيب عن آراء نقدية أدبية جريئة.

117 الدكتور صديق عمر الصديق، "ملامح من الاتجاهات النقدية عند عبدالله الطيب" التوثيق، السودان.

وظهرت نفس الورقة النقدية في شكل الكتاب فيما بعد بإسم "حتّام نحن مع الفتنة بإليوت".

المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها:

هذا الكتاب هو الموسوعة الأدبية النقدية التي تحمل كل بذور فكر عبد الله الطيب في قضية الشعر العربي، ويتكون من أربعة أجزاء من خمسة كتب حيث أن الجزء الرابع يقع في قسمين، ويُعدّ من أهم المصنفات في العصر الحديث ويمثل فكراً نقدياً جديداً كأنه مدرسة تقوم بنفسها بإزاء المدارس الأخرى كمدرسة طه حسين ومدرسة البيهقي. ومما يدلّ على موسوعية وجدية بحوث هذا الكتاب أنه استغرق تأليف أجزائه خمسة وثلاثين عاماً، وفي الكتاب ما يدل على أن المؤلف كان يعيد فيه النظر إلى آخر أيامه مؤكداً لبعض آرائه النقدية، ومعدّلاً للآخر منها بناءً على ما استجد له من مادة علمية عن طريق تعدد مصادر المعلومات في الآونة المتأخرة على نحو لم يكن متاحاً في الوقت الذي بدأ فيه تأليف الكتاب. ومما يؤكد ذلك أن التأليف في هذا الكتاب ظل مستمراً إلى بداية التسعينات، ويظهر ذلك بالمقارنة بين سنة الطبعة الأولى للجزء الرابع مع تاريخ الطبعة الأولى للجزء الأول.

وكذلك نجد أن أهمية هذا الكتاب تزداد حينما يطّلع القارئ على المقدمة التي كتبها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين عند طبعته الاولى في مصر عام 1955م. وهنا أذكر بعض فقرات المقدمة عن الكتاب حيث يقول طه حسين: "هذا كتاب ممتع الى أبعد غايات الامتاع، لا اعرف ان مثله أتيح لنا في هذا العصر الحديث. ولست أقول هذا متكثّراً أو غالياً، أو مؤثراً إرضاء صاحبه، وإنما أقوله عن ثقة وعن بيّنة[118].

118 عبد الله الطيب، "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، الطبعة الثالثة، مطبعة حكومة الكويت، 1989ج1 ص 8.

ثم يتحدث عن اعجابه الخاص بالمنهج القائم بالقول: "وأخص ما يعجبني في هذا الكتاب أنه لاءم بين المنهج الدقيق للدراسة العلمية الأدبية وبين الحرية الحرة التي يصطنعها الكتاب والشعراء حين ينشئون شعراً أو نثراً، فهذا الكتاب مزاج من العلم والأدب جميعاً، هو دقيق مستقصٍ حين يأخذ في العلم، كأحسن ما تكون الدقة والاستقصاء، وحر مسترسل حين يأخذ في الأدب، كأحسن ما تكون الحرية والاسترسال"[119].

واقترح الدكتور طه حسين ترشيح الكتاب لجائزة الدولة المصرية التي تقدمها الحكومة المصرية لخير ما يُصدِره الأدباء من كتب. وأشاد بالمؤلف الشاب بهذه الكلمات الرائعة: "أما بعد فإني أهنىء نفسي، وأهنىء قراء العربية بهذا الكتاب الرائع واهنىء أهل مصر والسودان بهذا الأديب الفذ، الذي ننتظر منه الكثير[120]".

فمن يعرف الدكتور طه حسين، قد يلاحظ من خلال الفقرتين أنه قلّ أن يزكّي طه حسين كاتباً أو أديباً بهذا الأسلوب، إلا أنه كان صائبا في رأيه وتقديره فقد أثرى عبد الله الطيب المكتبة العربية بالدراسات والكتب الأدبية والنقدية التي انتهج فيها أو في بعضها أسلوباً جديداً يعتمد على توارد الافكار والخواطر في الاستطراد كما في كتابه "بين النير والنور" او "التماسة عزاء بين الشعراء".

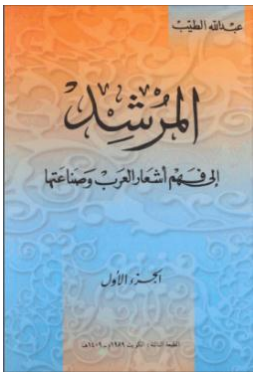

غلاف الطبعة الثالثة للكتاب الموجود عندي، وطبعته الأولى كانت من مصر في عام 1955 م

119 عبد الله الطيب، "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، الطبعة الثالثة، مطبعة حكومة الكويت، 1989ج1 ص 8.
120 المرجع السابق، ص 10.

ويتضمن الكتاب مختلف جوانب الشعر العربي وخصائصه منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث. وتتبدى أهمية هذا الكتاب فيما يشتمل عليه من نقل ونقد لكثير من علماء العربية، علاوة على ما أورده من نماذج شعرية عديدة من مختلف عصور الأدب بما فيها العصر الحديث، وهو يصدر فيه عن آراء جريئة في النقد، وذائقة أدبية تنمّ عن فهمٍ عميقٍ للشعر العربي ومعرفة راسخة لخصائصه الفنية والمعنوية، ومن أهم ما يميز هذا الكتاب أنه جمع بين المنهجية العلمية والأسلوب الأدبي الذي لا يحس معه القارئ بالملل.

وأثبت عبد الله الطيب في هذا الكتاب أن القصيدة الجاهلية القديمة ليست مشتتة الأغراض كما يبدو للمتعجّل وكذلك صلة الموسيقا والأوزان بالأغراض. وكذلك مسألة الجرس واتصالها بالقضية الكبرى في الفكر العربي: اللفظ والمعنى ورمزيات القصيدة القديمة والبرق الحمام إلى آخره.

هذا وإن كتابه لا يتوقف عند حدود الشعر العربي بل يقوم فيه عبد الله الطيب بعقد مقارنات تدخل في باب التأثير والتأثر حيث يتتبع أثر الشعر العربي في شعر بعض شعراء الإنجليز من أمثال الشاعر والناقد الأمريكي توماس إليوت، ويوجّه إليه نقداً قوياً وجرئياً، محذراً شعراء بنى جلدته بفتننة إليوت، حتى أنه كتب مقالا بعنوان "الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي"، نشرته مجلة الدوحة القطرية في ثلاث حلقات عام 1982، وكان الناقد المصرى الكبير رجاء النقاش آنذاك رئيساً لتحرير المجلة، الذي نشر هذه الدراسة الجريئة بهذا التعليق: "يسعد الدوحة أن تنشر هذا البحث الجديد للناقد الشاعر الباحث الدكتور عبد الله الطيب، حيث يهوى بقلمه على فكرة أساسية وجهت الشعر العربي منذ الأربعينات حتى اليوم، وهذه الفكرة هي التأثر والافتنان بالشاعر الإنجليزي الأمريكي الأصل "ت.س. اليوت"، فقد كان لهذا الشاعر الكبير تأثيره العميق الواسع على شعراء هذا الجيل من السياب إلى نازك الملائكة إلى البياتي وصلاح عبدالصبور وحجازي وغيرهم

من الشعراء اللامعين. حتى لقد أصبح "اليوت" حقيقة مسلمة بها في الحركة الشعرية العربية الجديدة من حيث تأثيره ونفوذه الأدبي"[121]. ويمضي "المرشد" حتى يبلغ العصر الحديث عصر البارودي وشوقي ومحمد سعيد العباسي وعباس مجمود العقاد والوحدانيين كإبراهيم ناجي علي محمود طه والشابي والتجاني يوسف بشير ومحمود حسن إسماعيل.

وفي هذا الكتاب فصل كامل للمديح النبوي في عصور ازدهاره عند البرعي والبوصيري ويجعل عبد الله الطيب له أربع أطوار ويناقش هذا الفن مناقشة دقيقة وذكر فيها آراء لم يسبق إليها.

حَتّامَ نحن مع الفتنة بإليوت:

كتب عبد الله الطيب بحثاً نقدياً شاملاً في مجلة الدوحة القطرية سنة 1982، تحت عنوان "الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي"، ونشرته المجلة في ثلاثة أجزاء إذ كان من الصعب نشره في عدد واحد لطوله. وكشف عبد الله الطيب في المقال عن الجوانب السلبية في الشاعر والناقد الأمريكي توماس إليوت، وكشف عن الجوانب السلبية في التأثر العربي الواسع بهذا الشاعر، ووجّه إليه نقداً قوياً وجرئياً، محذراً شعراء بنى جلدته بفتننته، حيث أن الفتنة بهذا الشاعر بين ادباء العرب المعاصرين له كانت كبيرة جدا، فقد تأثر به شعراء ذلك الجيل من السياب إلى نازك الملائكة والبياتي وصلاح عبدالصبور وغيرهم من الشعراء الحر ودعاة التجديد. ويحتوي الكتاب الذي يعتمد على المقالات المنشورة في مجلة الدوحة،على إحدى وسبعين صفحة من القطع الصغيرة، وطبع في مطابع المؤسسة العامة لمطابع التربية.

121 مجلة الدوحة، شهر فبراير 1982.

ويمثّل كتاب عبد الله الطيب "حَتّامَ نحن مع الفتنة بإليوت" رأي عبد الله الطيب في الشاعر الأمريكي توماس إليوت المولود عام 1888م والمتوفي سنة 1965م، الذي تردد إسمه في المجلات والصحف الأدبية المختلفة في أواسط القرن الماضي، خاصة لقصيدته التي اكتسبت له شهرته الدولية "The Waste Land". وخلاصة فكره النقدي في هذا الباب أنه يرى أن إليوت تأثر بالأدب العربي تأثرا كبيرا، ولا سيما في قصيدته (the west land) التي يترجمها بالأرض القفرة لأنه يذهب إلى تأكيد أثر معنى الإقفار الموجود في الشعر الجاهلي كقول لبيد:

عفت الديار محلها فمقامها

بمنى تأبد غولها فرجامها

وكذلك بشعر الشعراء الصعاليك وبالقرآن الكريم نفسه وفي هذا الكتاب تتبع جيد لصلة إليوت بالشرق وبالدراسات الشرقية وتتبع لما يراه تأثراً بالشعر العربي.

وقد قال الناقد المصرى الكبير رجاء النقاش في تعليق له على مقال عبد الله الطيب في "الدوحة" بصفته رئيساً للمجلة، "قد أثار الناقد عبد الله الطيب قضية تأثير الشاعر الإنجليزي الأمريكي الأصل "ت.س. إليوت" في الشعر العربي المعاصر... ودعا الناقد شعراء العرب إلى التخلص من أثر إليوت، لأن في هذا الأثر ضرراً عليهم وعلى مستقبل الشعر العربي....ويواصل الناقد شرح دعوته وتدعيمها بالحجج والأسانيد والأدلة"[122].

وقد حاول عبد الله الطيب في هذا الكتاب دراسة الشاعر ت. س. إليوت، متناولاً فيه العديد من القضايا الأدبية والنقدية والفكرية، وهنا في الصفحات التالية سأقوم بالإشارة إليها وبيان منهج المؤلف الناقد ذي الشمول والعمق، وكيف أنه استطاع أن يمازج بين تلك المناهج المعرفية ليظهر مدى احتفاء النقاد والأدباء العرب المعاصرين بالشاعر إليوت، والانبهار به، وهو الذي استمد من العرب

122 مجلة الدوحة، قطر، فبراير – مارس – أبريل 1982م.

والإسلام معارفه دون أن يشير إليهم. وقد قدّم صاحب الكتاب دراسة بحثه في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في فترة عضويته بالمجمع، التي قدّم أثناءها ستة وثلاثين بحثاً، كل واحد منها يؤصل ويجدد بطريقة غير مألوفة، وهذا هو لب منهج عبد الله الطيب[123]، الذي يمتاز كذلك بخاصية تداخل المناهج المعرفية، وهذه سمة بارزة في كتاباته ومحاوراته.

هذا وإن كتاب "حتام نحن مع الفتنية بإليوت" يتميز بموضوعه ومسايرته لروح العصر وإيقاعاته، فنحن اليوم نعيش عصراً لم يسبق له مثيل منذ نشأة البشرية من الانفتاح والتفاعل، وقد أخذت عناصر التواصل وتلاشى الحدود ومن ثم التداخل، تجلياتها في كل مناحي الحياة. ومنها بطبيعة الحال التجليات الإبداعية في الآداب والفنون[124] . وهو أمر قديم متجدد. ومن هنا تبرز أهمية الموضوع الذي صار قضية الساحة النقدية والأدبية بالدعوة إلى الموروث في ظل حالة الانفتاح والتواصل الذي يعيشه العالم بفضل الوسائط التقنية الحديثة.

وقام عبد الله الطيب باستخدام مناهج متعددة ومتداخلة في هذا الكتاب، حيث استخدم مناهج النقد العربي في دراسته للنصوص، واعتمد على نتائج منهج الأدب المقارن في مدرسته الحديثة والمعاصرة في تبنّيه لمفهوم التأثير والتأثر في الأدب وفق المفهوم المعاصر الذي يعتمد الذوق والجمال في نتائجه ومباحثه، كما يعتمد على الصلات التاريخية وعلاقاتها المعقدة والمتشابكة. ويمكن ملاحظة ذلك للقارئ في حديثه عن مصادر إليوت.

وتحدث المؤلف بشكل مفصّل عن الاستشراق مُحلّلاً له ومُبيّناً جذوره وقضاياه وهذا ما يدل على سعة علمه وعمق معرفته بقضايا الاستشراق. ولهذا لأمر دلالة

123 حسن بشير صديق: "عبد الله الطيب، قراءة لبحوثه في مجمع القاهرة"، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، الطبعة الأولى، 2009م، ص407.

124 نبيل حداد وآخرون: "تداخل الأنواع الأدبية"، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، جامعة اليرموك، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008م، المقدمة.

مهمة، إذ أن دراسة الاستشراق تعتبر أحد المصادر الرئيسة للأدب المقارن في بيان الصلات التاريخية من خلال التأثير والتأثر والتبادل المعرفي بين الآداب في لغاتها المختلفة. ولذا نرى أن عبد الله الطيب بيّن أثره الشخصي للمستشرقين في هذا الكتاب، وأهم ما يميّز بحثه هو قربه من بيئات الاستشراق ومعرفته بها، فيقول في مقال له حول تجارب تعليم العربية في إفريقيا: "وكان مما صحح العزم عندي على المضي في ما ساهمت به والدفاع الشديد عنه تجربتان سابقتان: التجربة الأولى كانت في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن حيث شهدتُ أساليب الاستشراق في تعليم العربية. وقد عملتُ محاضراً عام 1950م بالمعهد وشاركتُ في تدريس المنهج المبسط، الذي كان يُتاح لفئة من الدبلوماسيين و رجال الحربية والبريطانيين[125]".

وكذلك أشار عبد الله الطيب إلى أنه وجد نسخاً من ترجمة السير وليم جونز للمعلقات في مكتبة المتحف البريطاني، حيث قال: "رأيتها من قبل واعتمدت على نسخة صورت لي منها وفي كمبردج نسخة من مجموعة مؤلفات السير وليم وصورت لي نسخة من رسالته عن الشعر الشرقي[126]".

فدراسته عن الاستشراق تختلف عن كثيرين ممن تناولوا هذا الموضوع، فهو لم ينطلق من مواقف مسبقة أو من مصادر وأحكام شائعة، وإنما كان منصفاً في نظرته لكثير من المستشرقين لما قدموه للتراث العربي والإسلامي من خدمات، يقول عن السير وليم جونز معترفاً بفضله وعلمه ودقته: "فقد ترجم السير وليم جونز المعلقات السبع ترجمة حسنة ناصعة الأسلوب وجعل لكل معلقة مقدمة موجزة وافية تحدث فيها عن الوزن وما يقابله من أوزان الإنجليزية وطريقة نظمه، وأردف ذلك بكتابة الحرف اللاتيني بحسب النطق لكل ذلك مبالغة منه في

125 عبد الله الطيب: مجلة "حروف" من تجارب تعليم العربية في إفريقيا، العدد 3/2، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1990-1991م، ص16.

126 عبد الله الطيب: "الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي"، المؤسسة العامة لمطابع التربية، ص28.

التقريب[127]". وكان له مكاناً كبيرا لدى عبد الله الطييب ويعتبرها من قدماء الإستشراق وجهابذته الذي تعلم في "هارفارد" و"أكسفورد" وأتقن اللغات الكلاسيكية (أي اليونانية القديمة واللاتننية) مع الفرنسية ولغات أوروبية معاصرة أخرى ودرس العربية والفارسية والسنسكريتية. وتقدير عبد الله الطيب وإشادته بهذا المستشرق ليس إلا بسبب الأعمال الجليلة التي قام بها وليم جونز والتي جاءت نتيجة معرفته واتصاله بالشرق بعد أن ارتحل إليه بالفعل، فاكتسب معرفة فعالة عن الشرقيين.

ويرى عبد الله الطيب أن من أسباب إغفال إليوت لذكر العرب وما يمتّ إليهم كان مرجعه إلى الشعور الصليبي الموروث والتعصب الديني العنصري، وبعضه مرده إلى الزهو والغرور والاعتداد بالانتماء إلى حضارة اليونان وهارفارد وأكسفورد[128].

إليوت والأدب العربي:

في بداية كتابه "حَتّامَ نحن مع الفتنة بإليوت"، قام عبد الله الطيب بالتعريف بإليوت، حيث ذكر تاريخ حياته، مُسلّطاً الضوء على تعليمه، فقال إنه تلقى تعليمه الجامعي في هارفارد بأمريكا والسوربون في باريس، وأكسفورد بإنجلترا، وفي هذا دلالة مهمة لما لهذه الجامعات من صلات وثيقة بآداب الشرق ولغاتها منذ وقت طويل، فقد كان ملك صقلية فردريك الثاني يشتري المخطوطات العربية ويأمر بترجمتها إلى اللاتينية، وبعد أن يتم ذلك يرسل نُسخاً منها إلى جامعات إيطاليا وباريس وأكسفورد، وبهذه الطريقة تعرفت الجامعات التراث العربي.

يشرع المؤلف قبل الدخول في التفصيلات إلى بيان افتتان الأدباء والنقاد العرب المعاصرين بإليوت، ناسبين إليه كل تفوق ونبوغ، داعين إلى الاقتداء بمذهبه،

127 المصدر السابق ص 28.

128 المصدر السابق ص 14

يبغون من وراء ذلك النهوض بالشعر العربي الحديث وبثّ روح جديدة فيه، ويرى أن هذه الدعوة باطلة ولا أساس لها من الصحة. ومن ثم أخذ بيان أن ما فعله إليوت، إنما ذاك من تراث العربية والإسلام.

ويذكر عبد الله الطيب أن إليوت قد أفاد من الشعر العربي، إما من قراءة تراجم له، وإما من مشافهة معاصرين له، عارفين به. فقد أفاد من اطلاعه على ترجمة السير وليم جونز لمعلقة لبيد في قصيدته "The waste land"، أي "الأرض المقفرة"، دون أن يشير إلى ذلك، ويكمن ذلك في حذو إليوت أول معلقة لبيد بوجه خاص، ثم حذوه شكل القصيدة العربية بوجه عام. يقول المؤلف: قال الشاعر الجاهلي لبيد ابن أبي ربيعة:

عفت الديار محلّها ومقامها بمنىً تأبّد غولها ورجامها

فلاحظ هنا قوة الشبه بين تعبير "عفت الديار" وبين عنوان إليوت لمنظومته " The waste land" أي الأرض التي جعلت عافية، فأقوت وأقفرت وعَفَت وعفّتها السنون. ويمضي المؤلف شارحاً معاني مفردات إليوت لبيان رؤيته، فيقول في قاموس الدكتور صمويل جونسون: إن معنى waste الصفة المشتقة من الفعل أولاً يدل على تعفية المكان وجعله قفراً، وثانياً يدل على الخلو مثل خلو الصحراء والبرية التي لا ديار فيها، وكلا المعنيين متضمنان في عنوان إليوت " The waste land" أي الأرض التي أقفرت، أو الأرض المقفرة، أو قُل عفت الديار[129].

ثم جاء عبد الله الطيب بأمثلة ونماذج أخرى مشيراً إلى أن هناك شبية بأساليب القصائد العربية، حيث تبدأ القصيدة بذكر الأطلال وتعفية الديار، ثم ذكر دفن الرياح لها بما أهالته عليها من غبار، ثم مجئ رياح أخرى تزيل هذا الغبار ليعرفها الشاعر بعد أن يقف عليها متأملاً. يقول عبد الله الطيب في هذا الخصوص: "وقال لبيد بعد قوله "عفت الديار" الذي معناه كمعنى إليوت The waste land.

129 المصدر السابق، ص 17.

فمدافع الريان عرّي رسمها خلقاً كما ضمن الوحي سِلامها

أي كانت مدفونة فعرتها الرياح وعرتها السيول فأظهرتها وذلك قوله:

وجلا السيول عن الطلول كأنها زُبُر تجدّ متونها أقلامها

وموضع الاستشهاد هو البيت الأول الدالّ على مدافع الريان التي دفنتها الرياح، وهذا المعنى متضمن معروف، قد عريت فبدت ملساء عليها الآثار كالنقوش، إما عرتها رياح معاكسة التي دفنتها، وإما عرتها السيول[130]. إلا أن هذه الآراء قد لا تكون دليلاً على حذو إليوت طرائق العرب في أشعارهم إذ ربما تكون خواطر إنسانية عامة، مثل وصفنا للأسد ومشيته أو غير ذلك، وقد تنبه عبد الله الطيب إلى ذلك قائلاً: "وربّ قائل إن المعاني مشتركة والعواطف الإنسانية التي تلابس المعاني متقاربة، وخواطر البشر كثيراً ما تنفق، ولذلك قديماً قيل: قد يقع الخاطر على الخاطر، كما يقع الحافر على الحافر، ويرد على مثل هذا القائل بأن الصياغات والأشكال البيانية والرنات المعبرة المؤثرة هي التي يتفوق بها الشعراء والكتاب والخطباء، ويتميزون عن غيرهم، وهي التي يقع فيها التقليد والأخذ والتوليد والنظرة والإغارة والاختلاس"[131]. إذن الصياغة والأشكال البيانية هي التي تميز الأدباء الكُتّاب وهي التي يقع فيها الأخذ والاختلاس والتقليد، والإدراك لها يكون بتذوق جمالياتها. وقد تناول النقد الأدبي المقارن ذلك، فقد كانوا يعدون المتشابهات الجمالية والذوقية أساساً للبحث و وسيلة لاكتشاف العنصر المشترك على مستوى الإنسانية.

ويبدو أن عبد الله الطيب كان مطّلعاً على الأدب المقارن ومناهجه، إذ أن الأدب المقارن يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وعلاقاتها وصلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها وفي ماضيها، وما لها من تأثير أو تأثر، أيّاً كانت مظاهر

130 المصدر السابق، ص 19.

131 المصدر السابق، ص20.

ذلك التأثير أو التأثر سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية والتيارات الفكرية، أم اتصلت بطبيعة الموضوعات أو المواقف والأشخاص، وهي التي تعالج أو تحاكى في الأدب، أو كانت تمس مسائل الصياغة الفنية والأفكار الجزئية في العمل الأدبي[132].

وهذا بعض ما اتبعه عبد الله الطيب في كتابه، ومن ذلك سؤاله عن مدى اطلاع إليوت حقاً على ترجمة السير وليم جونز للمعلقات؟ فيجيب على ذلك ببيان صلة إليوت بالاستشراق وهي أحد مصادر التأثير والتأثر لصلاتها العديدة والمتشابكة كما يظهر، يقول: "إذا تذكرت أيها القارئ الكريم أن إليوت كان على جانب من الاستشراق، إذ قد درس لغة الهند القديمة سنتين بهارفارد، وفلسفة الهند مدى سنة وهو يعدّ للدكتوراة، ثم عدل عن ذلك لما وجد فيه من العسر، معترفاً بما أصابه فيها من مشقة تركته في حيرة، ومع ذلك كان يزعم أنه كان يتذوق الشعر السنسكريتي، وقد ترك في نفسه أثراً عظيماً، إذا أضفت أن إليوت اتصل بجماعة التصويريين وكانوا يدعون إلى محاكاة أشعار الشرق وأساليب أغاني العهد القديم... ألا ترجح معي حينئذ ألاّ يكون قد خفي عن مكان السير وليم جونز المستشرق في معرفته اللغة الشرقية والصينية والسنسكريتية وآدابها، وفلسفة الهند القديمة مما زعم أنه أثر فيه هل تظن أنه إذا فعل ذلك سيتجاهل كتاب وليم جونز الخفيف اللطيف الوافي الذي ترجم فيه المعلقات؟ وقد نبه السير وليم جونز إلى المعلقات وإلى امرئ القيس ولبيد في رسالته الفرنسية وأختها الإنجليزية عن الشعر الشرقي، وكانتا معروفتين عند المستشرقين[133].

132 محمد غنيمي هلال، "الأدب المقارن" نهضة مصر للطباعة والنشر، 1998م ص

133 عبد الله الطيب، "الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي"، المصدر السابق ص 15.

ويشتمل الكتاب أيضاً المقارنة بين إليوت وأبي تمام وفيها طرح عبد الله الطيب سؤالاً جديداً، بالقول: "هل اطلع إليوت على ترجمة ما لبعض شعر أبي تمام أو قصيدة له في وصف الربيع التي أولها:

رقّت حواشي الدهر فهي تمرمر وغدا الثرى في حليه يتكسر

وفيها قوله:

نزلت مقدمة المصيف حميدة ويد الشتاء جديدة لا تكفر

ويجيب على ذلك بأن إليوت استوحى ذلك قائلاً في معنى الشطر الأول Summer surprised us وترجمتها فأجانا الصيف، ويقول في ترجمة معنى الشطر الثاني winter kept us warm وترجمتها شكراً للشتاء. ويدلل على ذلك بأن إليوت لم يفد من اطلاعه على ترجمة جونز للمعلقات وحدها ولكن من كثير من الشعر العربي، إما من خلال تراجم له وإما من مشافهة معاصرين له عارفين به[134]. فإن المنهجية بهذه الكيفية جديرة لقيادة الفروض إلى نتائج منطقية بحيث تبرز مجالات التأثير والتأثر.

تناول المؤلف في دراسته إشارات إليوت من النص القرآني وقد تُرجم القرآن ترجمات عديدة، فالأخذ منه على ذلك أمر وارد، يقول عبد الله الطيب: "أحالنا إليوت على سِفر حزقيل أول الإصحاح الثاني ليؤكد أن موارده من قوله son of man أي يا ابن آدم أو يا أيها الإنسان هو معناه الذي في العهد القديم، لا معنى ابن الإنسان الذي عند النصارى ولا شيء يمنع ملابسة هذا المعنى المسيحي لكلامه هو، لأنه هو مسيحي الديانة.... وهذه الإحالة لما هو ظاهر من عدم الحاجة إليها لا تخلو من تعمية ما وتضليل.

134 المصدر السابق، ص 34.

فيمكن القول أن عبد الله الطيب في هذا الكتاب حاول إثبات تأثر إليوت بالشعر العربي مستشهداً بإقامة التقارن في الأبيات الكثيرة، وحذّر الشعراء العرب المعاصرين من فتنته كاشفاً عن الجوانب السلبية في التأثر العربي بهذا الشاعر.

آراء نقدية أخرى:

ولا يتوقف أعمال عبد الله الطيب النقدية إلى هذا الحد، فإن الاتجاهات النقدية عنده كثيرة، وقد يُؤخد على هذا الفصل قصوره عن استقصاء كل الاتجاهات التي قدّمها وعرضها إما في كتبه أو في محاضراته الإذاعية والتلفزيونية، وفي السطور التالية أحاول مناقشة آرائه البارزة دون الخوض في كتب مستقل. ومما يحسن الإشارة إليه أن عبد الله الطيب صاحب مشروع نقدي واسع، ومنهجه في النقد يختلط بالقيم التربوية أيضا، والذي يتجلى جلياً في كتابه الموسوعي "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، وكلمة "المرشد" هي من الإرشاد، وفي الجزء الأول منه مثلاً يقول في ضرب من الرمل: "وزنه فاعلاتن مكررة ست مرات"، وصدره غالبا ما يكون على "فاعلاتن فاعلاتن فاعلن" وهاك مثالا لوزن الرمل من عبث الكلام:

ضاربات سابحات عائمات راقصات لابسات عاريات

ومن مظاهر القيم التربوية في نقده اختياراته التي سماها "الحماسة الصغرى" فاختار الشعر المتنخل من العصور كلها لا يخفى أن غايته تعليمية، والفصول النقدية ين يدي الشعر المختار عمل نقدي محض.

كما أن عبد الله الطيب يجعل القصيدة قوام الشعر العربي كله الذي يجمع أصناف الشعر عند الإفرنج، وهي الملحمي والغنائي والمسرحي، فالقصيدة صوت فرد جهير، يقع موقعا بين جراءة البطولة وعمق الغناء، وحلاوة القصص، وصلابة

الخطابة وغموض السّحر ولا يخلو من المسرح ودعاواه[135]. ولكنه يجعل القصيدة الجاهلية نموذجاً عالياً يقاس عليه ويحتذى فهو يأسف على "أن حيوية الوصف الجاهلي وروحه البطولي كل ذلك قد عفا بعد عصور المحدثين أكثره وغلب عليه البديع"[136]، فقصيدة المديح ذات الأصل الصحراوي هي كعبة الشعر التي لا يستغنى الشاعر الحضري في العصر العباسي عن التوجه بفنه تلقاءها.

ويرى عبد الله الطيب أن البحترى جمع بين مناهج القدماء، وطرب المحدثين فاخترع أسلوبا جديداً في الغرابة والطر افة[137]. ومما يجب ملاحظته أن عبد الله الطيب بالرغم من ولعه بالشعر القديم الرصين لا يبخس أبا الطيب تجديده وما رفد به الشعر، فأبو الطيب قد وجد المتردم بعد المتردم، وفرض عبقريته فرضاً على اللغة العربية بما أضاف إليها من ثروة طائلة في محض أساليب البيان، مما لا تزال حيويته تنبض إلى اليوم.

ومن بين رائدي الشعر العربي الحديث فإن عبد الله الطيب يحتفي بالبارودي أيما احتفاء، ويعتبر شعره وثبة عظيمة من وثبات النهضة، وذلك لأن البارودي حاول العودة بالقصيدة إلى أصول الفصاحة الأولى. وهو عين الذي يزري به عند بعض النقاد المحدثين كعلى أحمد سعيد "أدونيس" الذي يقول: "أنه مهما أكدنا ربط مفهوم النهضة بالعودة إلى القديم فإننا لا نقدر أن ندخل في هذا المفهوم إحياء الأشكال القديمة..... ولا نستطيع أن نعتبر التجديد صناعة تقلد أصلاً سابقاً لأن التجديد موقف إبداعي جذري شامل. فالفرق بين الناقدين أن عبد الله الطيب يجعل لفن الشعر أصلاً قديما يُحتذى بأساليبه، وأن التجديد لا بد أن يكون ذا صلة بالأصل، بينما يرى الثاني أن التجديد لا يكون استعادة شكلية للتراث.

135 عبد الله الطيب، "الحماسة الصغرى"، الطبعة الثانية، الدار السودانية، الخرطوم، غير مذكور، ص 471.

136 الدكتور صديق عمر الصديق، "ملامح من الاتجاهات النقدية عند عبدالله الطيب" المرجع السابق.

137 عبد الله الطيب، "الحماسة الصغرى"، المرجع السابق ص 153.

ويقول عبد الله الطيب عن شاعرية النقاد في مسألة اتخاذ الصلة بالتراث العربي عياراً لتقويم الفن: "وقد كانت ديباجة العقاد دون ديباجة شوقي في الكثير الغالب، ولكنه كان أوضح مأخذا من المنهج الإفرنجي في الشعر"[138]، ولعل هذا هو بعينه سبب الدونية، بل أن إيغال العقاد في الأخذ من إبن الرومي طريقته في دقة الوصف تؤخره عن بلوغ مقام الأخذ من أبي تمام.

هذا وإن أعمال عبد الله النقدية في اهتماماه بقضية السرقات شبيه بعمل الخالدين في كتابهما "الأشباه والنظائر"، ويقوم مقام السرقة عنده نظر الشعراء إلى بعضهم وتأثرهم بمذاهب سابقيهم أو معاصريهم على نحو نظر ذي الرمة يقول: "قد نظر ذو الرمة نظرة قوية إلى فن جرير هذا، ووجد من نفسه قدرة عليه، لا بل على الريادة فيه، والافتنان افتناناً لم يأبه له جرير ولم يتفرغ له"[139].

ولا يقتصر مجال نقد عبد الله الطيب، الشعر العربي فحسب وإنما يتجاوز إلى الشعر الغربي أيضا، فدراسته للشعر الغربي على أساس مقارنته بالشعر العربي أمر نقدي مشهور، إلا أنه يتعلق بما ذكرنا سابقاً من مسألة القيم التربوية التي تستند بلا شك على أصول فكرية. فالنقد الذي وجهه عبد الله الطيب إلى الشاعر الإنجيزي ت.س. إليوت وإفتنان الشعراء العرب من أمثال بدر شاكر السياب وزملائهم من دعاة الشعر الحر والحداثة، قد شغل مجلة "الدوحة" نحو ثلاثة أشهر، وبرز لاحقاً في شكل كتاب تعرض لحديثي المطول في الصفحات الماضية. ولعلّ بكل ما ناقشنا هناك يقدّم أمامنا فهم مؤلفات وآراء عبد الله الطيب النقدية وعلاقته بالحداثة.

138 عبد الله الطيب، "القصيدة المادحة ومقالات أخر"، الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2005 ص 129.

139 عبد الله الطيب، "شرح أربع قصائد لذي الرمة"، الطبعة الأولى، الدار السودانية للكتب، 1998، ص 85

الفصل الثاني

إسهامات عبد الله الطيب الأدبية

الفصل الثاني

إسهامات عبد الله الطيب الأدبية

القسم الأول: المسرحيات الشعرية لعبدالله الطيب

بداية:

يحاول هذا القسم من الفصل إبراز القيمة الأدبية للإسهامات التي قدمها عبدالله الطيب في فن المسرحية الشعرية بوضع عدة كتب في هذا الجنس الأدبي الذي حقق في السودان طفرات مشجعة وتطورات لا تخلو من إيجابيات بعد بدأ الأنشطة المسرحية الكثيرة في المدارس والجامعات والأندية باعتبارها وسيلة للتعليم والإرشاد والتوعية. ويُعتبر المسرحيّ الشهير خالد أبو الروس صاحب مسرحية "تاجوج" من رواد الحركة المسرحية في هذا البلد الإفريقي. وبعد إنشاء المسرح القومي السوداني في أم درمان عام 1958، ظهر جيل جديد من المخرجين والممثلين ومن بينهم الطاهر شبيكة والفاضل سعيد ويسين عبد القادر والفكي عبد الرحمن، وحمدنا الله عبد القادر، وبلقيس عوض، وفايزة عمسيب، وتحية زروق، وغيرهم. ويتزامن عام إنشاء المسرح القومي السوداني مع نشر عبدالله الطيب مسرحيته الشعرية بعنوان "زواج السمر"، وهو الجزء الأول من ثلاثية مأساة نكبة البرامكة، وذلك في وقت كان فيه عبدالله الطيب يقوم بالإشراف على جمعيّة التمثيل بجامعة الخرطوم. وبعد هذه البداية البسيطة وبدافع من إعطاء خلفية للوضع المسرحي في السودان، أدخل في خضم الموضوع مباشرة، دون الإطلالة التاريخية للمسرح الذي من الفنون الوافدة إلى العرب من الغرب، للحديث عن رأيه في المسرحية الشعرية ودراسة ما كتبه في هذا المجال.

المسرحية الشعرية وعبد الله الطيب:

مرّت المسرحية الشعرية العربية بمراحل تطور منذ أن كتب رائد المسرح الشعري العربي أحمد شوقي مسرحياته حتى يومنا هذا، وقبل شوقي كانت المسرحيات النثرية تُكتب في العربية بعد مجيئ النهضة الحديثة واتصال الثقافة العربية بثقافة الغرب. وأول من أدخل هذا الفن في البلاد العربية هو مارون النقاش (1817-1855) اللبناني الأصل الذي قضى سنوات عديدة في إيطاليا واكتشف هناك هذا الفن وشغف به. فكانت أولى المسرحيات التي قدمها للجمهور في لبنان، مسرحية "البخيل" في عام 1848، وهي في الواقع تعريب لمسرحية الكاتب الفرنسي موليير، ثم أخرج النقاش مسرحيات أخرى من أمثال "أبو الحسن المغفل وهارون الرشيد" و"الحسود السليط"، يتجلى فيها تأثره بشكل كبير بموليير. وحقّق النقاش بعض النجاح كما تعرّض لاعتراضات المحافظين ورجال الدين. وبدأ هذا الفن الجديد يحظى بالاهتمام لدى الآخرين مثل يعقوب صنوع في مصر وأبو خليل القباني في دمشق الذي كتب مسرحياته باللغة العربية الفصحى المسجوعةعلى طريقة المقامات.

ثم جاء أمير الشعراء أحمد شوقي بك الذي قام بتأليف العديد من المسرحيات الشعرية خلال الفترة بين 1892-1920، ومن بينها "مصرع كليوبترا" و"مجنون ليلى" وقمبيز" و"على بك الكبير" و"أميرة الأندلس" و"الست هدى" و"البخيلة" وما إلى ذلك، إلا أنه غلبت المقطوعات الغنائية الطويلة على عناصر المسرحية من الصراع والحوار إلى جانب عدم الدقة الفنية. ويقول عبدالله الطيب في هذا الصدد: "قد نظرت في بعض ما نظمه الشاعر الجليل أحمد شوقي، رحمه الله، في هذا الفن. فبدا لي أنه، على رسوخ قدمه في صناعة القريض، قد عجز عن تذليل البيت الرصين تذليلاً يكون به الحوار الدرامي سلساً مناسباً"[140].

140 عبدالله الطيب، "زواج السمر" الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2005 ص 3.

هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن عبدالله الطيب أبدى رأيا حسنا لشعر سوقي في المناسبات الكثيرة التي عرض فيها في كتابه الموسوعي المعنون بـ "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" أو غيره من كتبه ومقالاته، مُظهرا تأثره وتأثر جيله العميق به. فمثلا يقول في مقال له أثناء الحديث عن شوقي: "وله المسرحيات التي لم يسبق إلى مثلها ولا بلغ المستوى الذي بلغته بعده في العربية أحد. وقد صنع فيها من أصناف تنويع الأوزان والقوافي، وجعل ذلك مساوقا للحوار ملائما له، ما تكون به من التجديد منزلة فذة لا ينبغى أن يغفل عن مرتبتها وجوانب إبداعها النقاد"[141].

وفيما يتعلق بالموضوعات في مسرحيات شوقي فإنها مستمدة من التاريخ والأساطير، يقول الدكتور محمد مندور: "اختار شوقي لمآسيه موضوعات تاريخية، سواء أكان التاريخ حقيقياً أم أسطورياً. وذلك على نحو ما فعل الكلاسيكيون الفرنسيون"[142].

وقد تلاحظ أن في هذا تأكيد لما جاء عند الدكتور شوقي ضيف: "وهذا كله يعنى أن شوقي أقبل على المأساة، وهو يعرف قواعدها. ويظهر أنه أعجب بالمسرح الفرنسي الكلاسيكي في أثناء القرن السابع عشر. إذ كان الشعراء من أمثال كورني وراسين يتخذون مسرحياتهم من التاريخ ومن أعمال البطولة..... وشوقي في ذلك كله مقلّد للمدرسة الفرنسية الكلاسيكية.... فهو يترك عصره إلى العصور القديمة، ويختار شخصياته من النجوم التاريخية اللامعة"[143].

ولم يتعرض شوقي لانتقادات عبدالله الطيب إلا في المرات القليلة حيث أشار إلى برود عواطفه وقلة الإيقاع العربي الأصيل الذي يلج إلى القلب بما فيه من استشعار للعزة والثقة. وهكذا كان عبدالله الطيب منصفاً في تحليل الشعر ونقده، وينبغى ألا يعتقد أحد أنه كان خصيماً مُبيناً لكل جديد مستحدث.

---

141 عبدالله الطيب، "الشعر عند حافظ وشوقي" مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد الثالث، العدد الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، يناير-مارس 1983م، ص 189.

142 محمد مندور،"مسرحيات شوقي"، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1956 ص 20..

143 شوقي ضيف، "شوقي شاعر العصر الحديث"، الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة، 1975 ص 176.

بداية المسرحية الشعرية عند عبد الله الطيب:

حاول عبدالله الطيب إثبات نفسه في الفن المسرحي أيضا، فكان يروض نفسه على التأليف في المسرحية الشعرية منذ عهد بعيد، إلا أن الشيء الأصعب والأشق عنده كان تذليل البيت العربي للحوار. وفي الحقيقة قام بدراسة عميقة للمسرحيات التي كتبها الشاعر الجليل أحمد شوقي بك، فاتضح له من خلال القراءة أنه بالرغم من رسوخ قدمه في صناعة القريض قد عجز عن تذليل البيت الرصين بطريقة يكون بها الحوار سلسا منسابا. فاستقر رأيه أن النظم العربي لا يلائم المسرحية الشعرية، وأصرف نفسه كل الصرف عن محاولة النظم المسرحي. ولكن عندما صار عبدالله الطيب إلى جامعة الخرطوم وأصبح محاضرا فيها عام 1954، شعر في نفسه ضعف أمر المسرح والتمثيل في السودان بشكل عام، وفي جامعة الخرطوم بشكل خاص، ووجد من طلابه مجموعة تشاركه هذا الشعور، فنظّم جماعة التمثيل الجامعية، وبدأ يبحث عن مسرحية تتميّز بالقصر والجودة معاً للتمثيل، وعندما لم يجد أي مسرحية تُرضيه قام بترجمة قصة "أندروكليس والأسد" لبرناردشو ومثّلتها جماعة التمثيل عام 1955، وحقّقت بها بعض النجاح، وفي العام المقبل اقترح بعض الطلبة تمثيل رواية "الملك أوديب" للاستاذ توفيق الحكيم، ولكنها كانت طويلة جدا، فبدا له أن يترجم بعض الروايات، كما ترجم بعض قطع الخواس في وزن راقه، فخطر بباله أمر البرامكة وبدأ ينشد:

يحيى وزير الرشيد

وزينة الأيام

وآل برمك طرا

همو نجوم الأنام

فوجده قد يصلح نشيداً لرواية أو قصة عن البرامكة، ولكن تذكر في نفس الوقت ما كان قد استقر في رأيه أن البيب العربي لا تستقيم عليه المسرحية الشعرية،

فعدل عن محاولةالنظم التمثيلي إلى ترجمة قطع من شكسبير. ثم اتفق له أن سافر هذا العام مع زوجته البريطانية الجنسية جرزلدا إلى "ستنفورد" موطن شكسبير، فشهد هناك الموسم الشكسبيري: أنطونيو وكليوبترى، تاجر البندقية، مهزلة الأخطاء وما إلى ذلك. ولاحظ الفرق الشاسع بين طريقة شكسبير في نظم القصيد المحكم وطريقته في نظم الدراما، وعاد إلى السودان مصمماً على كتابة مسرحية عن البرامكة ذات حوار منثور تتخلله أناشيد على طريقة الإغريق. وفعلاً كتب نصوص نكبة البرامكة الدرامية، وسمّاها "قصص حوارية شعرية". وعندما أبدت جمعية التمثيل الجامعية رغبتها للتمثيل، أشارت عليه زوجته أن يقسّمها على ثلاثة أقسام على طريقة التريلوجيا، ففعل ذلك، جاعلاً القسم الأول كأنه رواية قائمة بنفسها، وكذلك الثاني والثالث، وجعل الخاتمة فيها، خطوة تقرب من المأساة النهائية. فاتبع عبدالله الطيب نهج الدراما الثلاثية الأجزاء كما عند الإغريق[144]، ولذا تجد الأثر الإغريقي في مبنى النص الدرامي عنده، وذلك على غرار أحمد شوقي بك الذي لم يتأثر بالنظرية الإغريقية التي تفرض على الشاعر المسرحي الجاد أن يراعي عند تأليف المسرحية، تقسيمها الكمّي من حيث عدد الفصول. ويسهل ملاحظة هذا على كل من يلقى النظر على مسرحيات شوقي الثماني من هذه الناحية. فمسرحيات شوقي تتنوع في تقسيماتها من حيث عدد الفصول والمناظر والمشاهد، وإنه يخضع لمتطلبات المادة التي يعالجها ولا ينساق لقواعد مفروضة عليها من الخارج. فستلاحظ أن له أربع مسرحيات ذات الفصول الثلاثة، ومسرحيتين ذات الفصول الأربعة ومسرحيتين ذات الفصول الخمسة. وهو إجراء حر حديث.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن قصة البرامكة في هذه المسرحية الشعرية هي قصة خيالية ووهمية، وقام صاحب المسرحية بنسج الشبكة على الرأى الشائع عن البرامكة بين

144 مستفاد من مقدمة كتاب "زواج السمر"، عبدالله الطيب، المرجع السابق، ص 4-7.

عامة الناس في بلده، إذ يقول في مقدمة الجزء الأول من ثلاثيته الشهير باسم زواج السمر: "ويحسن بي أن أقول أني لم أرد التاريخ بهذه القصة التي أرويها، وإنما هي قصية خيالية تستمد شخصياتها من الأساطير والأخبار. وتتصرف في ذلك بحسب ما يقتضيه السرد والقصص لا البحث العلمي والاستقصاء. وقد بَنيتُ عقدتها على الرأي الشائع عن البرامكة بين عامة الناس في السودان من أنهم كانوا أهل بر وفضل ونبل..... وجعلت موضوع حديثي كله انساني الطابع بقدر ما استطعت. ذلك بأني أرى أن بحث الأسباب التاريخية انما تصلح له كتب العلم والتاريخ لا أقاصيص الشعراء وأغانيهم. وأن المأساة الدرامية ينبغى فيها أن تبنى على عقده انسانية الطابع"[145].

وقد ذكرت زوجته جرزلدا الطيب أثناء حلقة نقاشية أجراها معها الصحفي الأستاذ طاهر محمد علي طاهر، ومتوفرة على العديد من المواقع الالكترونية والمدونات تحت عنوان "إفادات الأستاذة جرزلدا الطيب لحلقات "أوراق العمر": أنا احب الشعر الانجليزي، ويشاركني في ذلك عبدالله الطيب ويفضل في الغالب ان اقرأ له. وعندما هو اصدر ديوانه أصداء النيل، وكانت اول مجازفة له مع النشر، كان يركب دراجته ويقوم بالتوزيع للمكتبات بنفسه.. ولم تقف مجهوداته عند هذا الحد فقد كان ينوي ان ينقل مسرحية "زواج السمر" لعرضها في المغرب ابان الموسم المسرحي هناك وبعد ان حصلى على موافقة وزير الثقافة تدخلت بعض الايدي ممثلة في بعض مسؤولي الثقافة لمنعها، وللاسف بحجج واهية. ومن المعلوم أنه شارك في هذه الحلقة النقاشية الدكتور عبدالله محمد أحمد رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الخرطوم، وهو أحد تلاميذ عبدالله الطيب، فإنه ذكر ضمن إفاداته عن عبدالله الطيب: "المزية السودانية فيه كبيرة، وارتباط البروفيسور (عبدالله الطيب) بالارض قوي جداً، فهو وجد الفرصة للانتشار خارج السودان، ووجد

145 عبدالله الطيب، "زواج السمر"، المرجع السابق ص 7-8.

الفرصة ليكون شخصية عالمية في مجال المسرح، وفي مجال الادب الانجليزي، وعدد من المجالات إلا انه رفضها ورفض إلا أن يجلس في السودان، ويكون عطاؤه وطول عمره في بلده فقط.

المسرحيات الشعرية لعبد الله الطيب:

يُعدّ عبدالله الطيب من أبرز الشخصيات السودانية والعربية، حيث أسهمت مؤلفاته الكثيرة والمتنوعة في إثراء المكتبة العربية والأدب العربي، فله كتب في النقد والشعر والمسرحية وبحوث كثيرة في مواضيع مختلفة، وبعض أعمال الترجمة للقصائد الجياد من الشعر الانجليزي. ولكن ستجد من خلال سبر أغوار عبدالله الطيب، أنه بالرغم من تأليفاته الكثيرة، لم يترك تراثاً كبيراً من مسرحياته الشعرية، إذ كان يعتقد في البداية أن البيت العربي لا تستقيم عليه الدراما الشعرية، ولكن بعد انضمامه إلى جامعة الخرطوم كمحاظر طرأت على رؤيته وأفكاره تغيرات جذرية بشأن الدراما الشعرية، فتجربته المسرحية جاءت مواكبة لهذه التغيرات. ومن أشهر مسرحياته زواج السمر والغرام المكنون وقيام الساعة، وحيث أن كل هذه المسرحيات تدور حول قصة واحدة أحاول إيراد تفصيل جميعها معاً في الصفحات التالية دون إقامة عناوين مختلفة لكل مسرحية.

وقد صدرت أول الأعمال المسرحية لعبدالله الطيب عام 1958. بعنوان "زواج السمر"، واستمد عنوانها ومضمونها من قصة نكبة البرامكة التي وقعت في عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد عام 175 هجرياً، إلا أنه لم يحاول إيراد التاريخ بل ذكر الرائ العام الشائع بين عامة الناس في السودان. وهذه المسرحية هي في الواقع القسم الأول من ثلاثيته التي تضم مسرحية "زواج السمر" 1958، ومسرحية "الغرام المكنون" 1958، ومسرحية "قيام الساعة" 1959، والأخير هي القسم الثالث، فطبعاً مسرحية "الغرام المكنون" ستكون القسم الثاني. وتشير هذه الأعوام

إلى تواريخ الطبع وليس تواريخ التاليف. وسمّى المؤلف نصوص نكبة البرامكة الدرامية "قصص حوارية شعرية" مما يعكس ارتباك المصطلح الدرامي في تلك الفترة فقد تواترت مصطلحات تياترو، ملعب، مسرح إلى أن استقرت عند مصطلح مسرح للمبنى، ثم مصطلح رواية وتمثيلية وقصة تمثيلية، وعند عبدالله الطيب قصة حوارية إلى أن استقر المصطلح عند المسرحية. وقد تم تمثيل هذه المسرحيات في جامعة الخرطوم من قبل جمعية التمثيل تحت رعاية صاحبها عبدالله الطيب، إذ هو كان المشرف على الجمعية وسأقوم بإيراد تفاصيل التمثيل فيما بعد في صفحات لاحقة.

ثم إن القارئ لمسرحيات عبدالله الطيب سيلاحظ الأثر الإغريقي في مبنى النص الدرامي عنده، كما أن الإشارات إلى شكسبير تعددت عند إرشاده لكيفية إخراج النص. وسلك عبدالله الطيب مسلك الإغريقيين باتباعه نهج الدراما الثلاثية الأقسام أو الأجزاء، يكون كل جزء منها مكتملاً في حدّ ذاته لكن تشتجر كل الأجزاء لتدفع إلى غاية مأسوية واحدة كما تلاحظ في مأساة أوديب مثلاً. فقد تكونت هذه من جزئيات: أوديب ملكاً، أنتجون، والسبعة ضد طيبة. ولم يتقيّد عبدالله الطيب في مسرحياته برباعية النص الذي يوجد عن الإغريق، حيث يتعين لدى الإغريق أن تكمل الثلاثية بنص رابع لا يكون له علاقة بالمأساة، ويكون مبتغى هذا النص الرابع عادةً، السخرية من الوضع السياسي القائم في أثينيا[146].

وكما قلت أن عبدالله الطيب لا يتقيّد برباعية النص، فإنه كذلك يساير المنهج الإغريقي دون كلل في النشيد الافتتاحي الذي يسبق كل منظر. في مسرحياته الثلاثة: زواج السمر" والغرام المكنون" و"قيام الساعة". ويربط النشيد الافتتاحي ما دار في المنظر الذي سبقه بنبوءة ما سيكون عليه المنظر التالي، وينعتق جميع هذا في

146 عاصمة اليونان وأكبر مدنها، وهو الإسم الإغريقي الذي يعود إلى إله الحكمة والقوة وإله الحرب وحامية المدينة. وتبرز المدينة في الميثولوجيا الإغريقية.

ضخامة وجسامة المصير الذي سيؤول إليه "جعفر البرمكي" الرجل العظيم. وقد ألزم صاحب ثلاثية البرامكة عبدالله الطيب نفسه بنشيد قبل كل منظر، على غرار الدراما الإغريقية التي تكتفي بالنشيدين: الافتتاحي والختامي.

وفيما يتعلق بظاهرة تفشي الغناء في الأقسام الثلاثة لقصة نكبة البرامكة، فقد يمكن أن عبدالله الطيب حذا في هذا الخصوص حذو وليام شكسبير الذي لجأ للغناء في أعماله العديدة مثل مسرحيته الكوميديه الشهيرة "حلم ليلة منتصف الصيف". كما أن هناك إمكانية أنه تأثر بالشاعر الساخر والأديب المسرحي المصري محمد بن دانيال أعظم المبرزين في خيال الظل على الغناء في نصوصه. ومن آثاره الشعرية الظلية، "طيف الخيال" الذي يشمل ثلاثا من تمثيلات عُرفت بالتمثيلات الدانيالية نسبةً إليه:. وهي "طيف الخيال" و "عجيب غريب" و"المتيم". وجدير بالذكر أن الغناء يُعتبر أبرز آثار الخيال عند المحدثين من أمثال النقاش وأحمد شوقي وجلال الخياط.

هذا وقد قامت جمعية التمثيل في جامعة الخرطوم بتمثيل الجزء الأول من الثلاثية "زواج السمر" عام 1957م، ثم أحجم عبدالله الطيب عن تقديم الجزء الثاني "الغرام المكنون" ، ونفذ مباشرة إلى الجزء الأخير "قيام الساعة"، لأنه كان يعتقد أنه من الصعب تقديم الجزء الثاني بسبب علاقة مكشوفة نشبت بين "مسرور" خادم الخليفة وسيافه و"ميسون" الساقطة التي أفشت سر العباسة وجعفر. وفي المنظر الأول والثاني من هذا الجزء الثاني، التقبيل والضم بين ميسون ومسرور. سأورد المقتطف لهذا المنظر فيما بعد عند تقديم النماذج من الثلاثية.

أما الجزء الثالث من المسرحية وعنوانه "قيام الساعة" فقد تم تمثيله أيضا من قبل الفرقة التمثيلية بالجامعة إلا أنه تم حذف بعض الأشياء منه واختصار بعض المناظر، كما ذكر عبدالله الطيب في تذييل الكتاب. يقول: "اجتزأنا بالمنظر الثامن وهو الذي فيه مقتل ميسون فما بعده واختصرنا المنظر بين ابن الربيع وهرون

فجعلناه من قوله "ماخاقان ما ذا قال خاقان" في ص 109. وحذفنا مناظر أبى نواس والمنظر الذي بين هرون وهرثمة. وحذفنا أيضا نحو قول هرون "لا يبيح النكاح" لأن السامع العصري في مجتمعنا لم يعتد سماع هذه الألفاظ مع فصاحتها وسلامة مقصدها. واختصرنا خطبة هرون الهمزية الطويلة"[147].

وقد تم تقديم الجزء الثاني "الغرام المكنون" بعد مشاهدة الإقبال الهائل والكبير على الجزء الأول "زواج السمر" والجزء الثالث "قيام الساعة"، الأمر الذي دفع وحثّ عبدالله الطيب على تمثيل هذا الجزء الذي أسقطها لما فيه من علاقة مكشوفة. وتم إيجاد حل أن يقوم طالب بدور ميسون، إذ يتعذر أن تقوم بهذا الدور بنت حينها. وفي الحقيقة هذا هو السبب وراء فقدان الترتيب في الثلاثية، إلا أن هذا الفقدان في الترتيب لم يتسبب في أي خلل حيث أن كل جزء من الثلاثية كانت مكتملة في ذاتها.

ومما يجدر ذكره هنا أو ما يمكن وصفه بالميزة التي تتميز بها ثلاثية عبدالله الطيب، هو أنه أورد في أواخر صفحات كل جزء من الثلاثية إضافة بعنوان "تذييل" وفيه شر ح وتعليق على بعض الألفاظ الواردة في الأناشيد والمناظر المختلفة، وذلك وفقاً لترتيب الأناشيد والمناظر. كما ألصق جدولاً يوضّح الخطأ والصواب.

مقتطفات من مسرحيات عبد الله الطيب:

وفيما يلي نودر بعض المقتطفات من ثلاثية عبدالله الطيب كنماذج، وفقاً لتواريخ التأليف وذلك في محاولة لتجنب فقدان الترتيب الذي حصل في تمثيل المسرحيات الثلاثة، وترتيب التأليف للثلاثية كما يلي:

زواج السمر

147 عبد الله الطيب، "قيام الساعة" الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2004 ص 157-158.

الغرام المكنون

قيام الساعة

ولكن قبله سيكون من الأنسب ذكر أشخاص المسرحية في الجزء الأول بحسب ظهورهم كي يكون لدينا إلمام بالشخصيات ونفهم النماذج جيداً. وها هي أشخاص الرواية بحسب ظهورهم:

أبو زكار : شاعر ومغن أعمى، شديد الولاء لجعفر البرمكي.

جعفر البرمكي : صديق الرشيد ووزيره.

فيروزة : مولاة جعفر، ومربيته

ميسون : جارية آواها جعفر.

مسرور : خادم الرشيد وسيافه.

الأصمعي : العالم المعروف

هرون الرشيد : أمير المؤمنين.

ابن الربيع : الفضل بن الربيع، مولى الرشيد ووزيره فيما بعد.

العباسة : بنت المهدي، أخت الرشيد.

يحي : سيد البرامكة ووزير الرشيد وأبوجعفر

الفضل بن يحيى : وزير الرشيد وأخو جعفر

هرثمة : أحد القواد.

همام : خادم.

عبدالملك بن صالح : من شيوخ العباسيين.

بندق : قهرمانة القصر العباسي.

زبيدة : ابنة جعفر وأم الأمين وزوج هرون الرشيد.

النشيد : ليس النشيد من أشخاص الرواية، كما هو النظام

الإغريقي، ولكنه مفسر وموضح، يعين السامعين على تتبع القصة ومحله إما وراء المسرح وإما أمامه.

وها هي بعض الأبيات من نشيد الافتتاح لمسرحية "زواج السمر":

يحيى وزير الرشيد		وزينة الأيام
وآل برمك طرا		همو نجوم الأيام
قصورهم شامخات		لهم عبيد وحشم
قد بلغوا الغايات		واشتهروا بالكرم
وكل حي يموت		وكل عز يزول[148]

والآن تقرأ بعضا من الحوار في المنظر الأول للجزء الأول من الثلاثية:

أبو زركار : يا سيدي هل أغنيك من قصيد كُثيّر

جعفر : إني أراه مجيدا ولست بالمتطيّر

فغننى بيتيه الحولين في الدالية

إذ يذكر الموت والموت من نصيب البرية.

أبو زركار : فلا تبعد فكل فتى سيأتي

عليه الموت يطرق أو يغادي

وكل ذخيرة لا بد يوماً

وإن عمرت تصير إلى نفاد

(يدخل مسرور، سياف الخليفة وحارسه)

مسرور : يا سيدى جعفرُ يدعوك أمير المؤمنين

أجب أمير المؤمنين

جعفر : لبّى أمير المؤمنين (يهم بالخروج حافياً) يخرج مسرور.

148 عبد الله الطيب، "زواج السمر"، المرجع السابق ص 10.

فيروزة : ألا تلبس نعليكا؟ ألا تصلح يا مولاي ثوبيكا؟

ألا تمسح ماء الورد شيئا فوق خديكا

وبعض الطيب، يا أفديك، فامسسه بكفيكا

جعفر : افعل يا فيرزوة

فيروزة : بُنّ نفديك بكل الأنفس العزيزة.

(تخرج فيروزة)

جعفر : (للنظارة، كأنه لا يعني بالحديث سوى نفسه)

إني إذا دعاني الرشيد قلبي يجيب

وتزدهيني نشوة لقربه وطرب

يسر نفسى أن أراه وإليه أرغب

وإنه عندي من لُجّ الفرات أهيب

طاعته إلى من حبل الوريد أقرب

وحقه لدى من كل الحقوق أوجب

لبّى أمير المومنين لباه قلبي ولساني

إني أجيب سيدي عجلان إن دعاني

ويستمر الحوار هكذا في المسرحية إلى أن تنتهي بنشيد وبدايته كما يلي:

وهكذا جعفر أجاب داعي الرشيد

وخالف الفضل رأي الفضل كان السديد

هل يا تُرى أمر هرون أم غرام دخيل

أعماه عن حزمه والحب يُعمي العقول

وقد درى أن دون الوصال سيفا صقيل

وأن لـــــــهو المنى عــمــا قـليل يزول

ولو تأملت في الحوار الذي ذكرته والنشيد الذي أوردت بدايته هنا، لتجد أن عبدالله الطيب تمكّن من إخضاع البيت العربي لتستقيم عليه المسرحية الشعرية، وأنه جعل النظم العري يلائم الدراما الشعرية. وقد كان بإمكاني الإتيان بمزيد من النماذج من هذا الجزء من الثلاثية لتوضيح الأمر أكثر ولكن أتجنبها خوفاً من الإطالة، فالكتاب موجود للمراجعة ويحتوى على 128 صفحة.

والآن أوجه حديثي إلى الجزء الثاني من الثلاثية وهو الغرام المكنون، فأولاً أذكر أشخاص المسرحية في هذاالجزء بحسب ظهورهم:

مسرور : سياف الخليفة

ميسون : الجارية

العباسة : أخت الرشيد

زبيدة : زوج الرشيد

أبو نواس : الشاعر

نوال : جارةالعباسة

فيروزة : مولاة جعفر

جعفر : وزير الرشيد

أبو زركار : الشاعر الأعمى

هرون : الخليفة هرون الرشيد

يحي : البرمكي أبو جعفر والوزير الأكبر

ابن بختيشوع : طبيب الرشيد (مسيحي)

حنين : تلميذ ابن بختيشوع

ابن الربيع : مولى الرشيد واسمه الفضل

(قيان – سكارى- العرافة في العرض الصامت)

بدأ عبدالله الطيب الجزء الثاني من مسرحية نكبةالبرامكة بالتحميد والصلاة على النبي، واضعاً أمله في أن يقع الكتاب موقعاً حسناً عندالقارئ، ثم أورد النشيد التالي:

يا أيها السامعون		لعلكم تذكرون
ذاك الزواج الذي		أبرمه هرون
إذ قال: هذا زواج		أريده للسمر
عبيستي فيه شمسي		وجعفر لي قمر[149]

يعيد هذا النشيد الافتتاحي للأذهان ما دار في الجزء الأول من المسرحية الثلاثية "زواج السمر"، ويُذكر أن جعفر البرمكي قد أخبر والده سراً أن هارون الرشيد طلب منه أن يتزوج العباسة زواجاً صورياً يستطيع أن يجمع بينهما في مجلس واحد فقد كان يحب كليهما. وقد كان الأمر شاقاً على خالد البرمكي حيث أنه توجس مما قد يترتب على هذا الزواج. وقد أنكر بعض السلف أن يكون الخليفة الرشيد أباح مثل هذا الزواج الصوري. و نذكر فيما يلي بعض الاقتباسات من هذا الجزء أيضا وفيها ذكر للعلاقة المكشوفةبين ميسون ومسرور:

مسرور : ويلك يا رقيعة!

ميسون : لا تغضبنّ عليّا يا أسدي الهصور

رقّ قليلا إليّا يا نمر النمور

أنت عندي أشبه الناس بمولاي أمير المؤمنين

وأنا ميسون ووجهي متعةٌ للناظرين

هل تضربنّ عنقي إذا أمرت بذلك!

149 عبد الله الطيب، "الغرام المكنونِ" الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2004 ص 7

مسرور : ولستُ أبالي بما أرى من جمالك!

ميسون : والله أنت فظيع، سيفك هذا يروع

دعني أقبل سيفك الباتر يا آحى عليك

مسرور : لا تفعلي لعله يجرح عفواً شفتيك

ميسون : لأبعدنّ عنه دعني أقبل فمك

مسرور : إني أحدّ منه

ميسون : والله ما أصرمك والله ما أحلمك

(تقبله)

والله ما أحلاك وما أخفّ دمك!

يا أشبه الناس جميعاً بأمير المؤمنين.

وليس يرضيني سوى سيف أمير المؤمنين

مسرور : يقبلها

عجب هذا عجاب؟ طاب هذا طاب طاب،

صدى السيف وذاب!

أشتهي هذا الرضاب! (يقبلها بعنف ثم يمسك فجأة

(تدخل العباسة ولم تكد تراهما)

وهكذا يستمر الحوار الذي يظهر قدرة عبدالله الطيب على تصوير كل الأشياء بأسلوب سهل وسلس وفي الشعر. وفي هذا الجزء المكون من 109 صفحة اتبع المؤلف أسلوب الجزء الأول حيث أورد في ختام المسرحية، النشيد الختامي، ثم صفحات تذييل يوضح فيها الكلمات الصعبة ويعلّق ويشرح على ما يقتضي التعليق والتشريح.

أما الجزء الثالث من الثلاثية وعنوانه "قيام الساعة" فهو أيضا يبدأه بالحمد والصلاة على النبي ثم النشيد الافتتاحي وأخيرا الختامي. ويحتوى هذا الكتاب الذي

صدر عن دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم عام 2004، على 163 صفحة. وقام عبدالله الطيب بإهداء ثلاثيته إلى محبي الفن والشعر والمسرح. وفيما يلى نص صفحة الإهداء.

"إلى محبي الفن والشعر والمسرح جميعاً وأخص تلاميذي من البنين والبنات- في سائر المدارس السودانية وأخص من بين هؤلاء جمعية التمثيل بجامعة الخرطوم إذ هي أول من عمد إلى إحياء هذه المسرحية بالتمثيل"[150].

وفي نهاية هذا الجزء انسلك عبدالله الطيب نهج الإغريق، فعندما يموت الرجل العظيم في المأساة الإغريقية تصطحب "ربات البيوت" حول الجناة وقد تدفع بهم إلى الجنون، فاقرأ النصوص التالية وستجد أن صاحب المسرحية يختار النهج الإغريقي في هذا المنظر الأخير حيث "إتلأبت الزبانية" على هارون الرشيد:

الزبانية : نحن جنود الندم: هيجنا هذا الدم

هارون : هل انتم شياطين إني أمير المؤمنين

الزبانية : لسنا شياطين ولكنا من الملائكة

قد بكت السماء مما حل بالبرامكة

نحن الزبانية الغضاب

جئنا إليك بالعذاب

يظهر بعد ذلك شبح البرمكي كما تظهر الأشباح في دراما شكسبير(راجع يوليوس قيصر مثلاً لذلك). ونهاية هذا الجزء الأخير كانت مؤثرة جدا عند ظهور الزبانية وشبح جعفر.

فخلاصة القول أن عبدالله الطيب كان طويل الباع في المسرحية الإغريقية، وقرأ روائع الأدب الإفرنجي وعنده مكان كبير لشكسبير، وقام بإصدار مسرحيات شعرية عديدة ناقشتها في الصفحات الماضية قدر مستطاعي، إذ أنه لم يُكتب عن أعماله

150 عبدالله الطيب، "قيام الساعة"، المرجع السابق، صفحة الإهداء.

حتى الآن شيأً سوى بعض المقالات في الصحف العربية ومعظمها حول كتابه الموسوعي المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ولا يتحدث عن أعماله في الشعر أو في المسرحية.

القسم الثاني: المؤلفات المتنوعة لعبدالله الطيب

سال قلم ومداد عبدالله الطيب في مجالات مختلفة ليضيف للمكتبة العربية كتباً هاما في موضوعات مختلفة، ففي الصفحات الماضية ناقشنا بشكل مفصل عن دواوينه الشعرية العديدة مثل "أصداء النيل" و"بانات رامة" و"أغاني الأصيل" و"أربع دمعات على رجال السادات" ثم مسرحياته الشعرية من أمثال "زواج السمر" و"الغرام المكنون" و"قيام الساعة"، والآن نخصّص الصفحات التالية للحديث عن مؤلفاته الأخرى المتنوعة والتي تدور حول كثير من مواضيع الأدب واللغة، وفيما يلي دراسة لأعماله المختلفة:

الحماسة الصغرى:

قام عبد الله الطيب بوضع هذا الكتاب إقتداءً بأبي تمام وسمّاه "الحماسة الصغرى"، ويقع الكتاب الذي حظي بطبعته الأولى "مطبعة أكسفورد" في جزئين. وللكتاب شرح إنجليزي قدّمه الأستاذ المستشرق جون عبد الرازق هنريك. وقامت الدار السودانية للكتب بطبعته الثانية، وقد وجدتُ نسخة من هذا الكتاب، إلا أن عام الطباعة عليه غير مذكور.

وفيما يتعلق بموضوع الكتاب والهدف من تأليفه فقد قال مؤلفه في المقدمة، "قد عملت في ميدان التدريس زماناً ورأيت الحاجة ماسة إلى ضروب من الاختيار في

الشعر والنثر كيما يلم بها البنون والبنات في المدارس الثانوية ويحفظوا نخباً منها.. فإن ذلك مما تستقيم به ملكاتهم في العربية وتتهذب أذواقهم[151]".

ويأمل عبد الله الطيب أن ينتفع بهذا الكتاب طلابه وزملائه. وقد جعل المؤلف هذا الكتاب قسمين، سمّى القسم الأول بالاختيار الأول والثاني بالاختيار الثاني، وراعي ما استطاع سن الطلبة المراد لها كلا الاختيارين. ولهذا ستجد عند قراءتك للكتاب أن المؤلف تجنب في الاختيار الأول ما عسى أن يثور الجدل حول فحواه الأخلاقية كأشعار أبي نواس ومعاصريه في الخمر والمجون وكنقائص جرير والأخطل والفرزدق المقذعات، واعتمد على وضع نماذج مختلفة من الأساليب أمام الناشئين، والربط لهم بين أحداث التاريخ وأطوار المجتمع وما عبر به الشعراء عنها. هذا وإن المؤلف آثر القطع القصار على الطوال واضعاً أمامه مستوى الناشئين ومزاجهم فيقول: "وقد آثرت القطع القصار على الطوال لأن الناشئ لم يبلغ بعد أن يقوى على التحليل النقدي المتكامل للقصيدة الطويلة، إلا أن يلقنه مدرسوه ذلك تلقيناً، وهذا ما ينبغى أن نتحاشاه، ولكنه قد يقوى على استحسان القطعة الصغيرة واستهجانها، وقد لا يجد مشقة في حفظها بعد أن يتضح عنده معناها[152]".

ومن مزايا هذا الكتاب، أن عبد الله الطيب جعل لكل باب مقدمة قصيرة وذيل القطع بشروح تكشف بعض نواحي الغموض، ثم أردف جميع ذلك بأسئلة ولا يراها تستوعب كل شيء، وإنما ذكرها كنموذج عسى أن يحذو المدرس على مثاله أو يبتدع هو أسئلة أخرى من عنده قد تكون أوفى بما يريده من أغراض.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مقدمات الأبواب الرئيسية في هذا الكتاب مثل مقدمة الشعر الجاهلي، وشعر المحدثين فيهن عسر على طالب المدرسة الثانوية، والسبب

151 عبد الله الطيب، "الحماسة الصغرى"، الطبعة الثانية، الدار السودانية، الخرطوم، غير مذكور، ص 9.

152 المرجع السابق ص 10-11.

في هذا يرجع إلى شدة الاختصار فيهن إلى جانب كون بعض الآراء غير جارية على المعهود في كتب تاريخ الأدب الحديثة. ولهذا السبب يطلب عبدالله الطيب في مقدمة الكتاب، من المدرسين أن يحاولوا تذليلها بالشرح.

أما في الاختيار الثاني فقد اتبع فيه عبد الله الطيب منهجا آخر، إلا أنه استمر في إيثار القطع على المطولات. والاختيار الثاني مراد لما بعد المرحلة الثانوية، ولذلك هو لم يلتزم فيه مراعاة تمثيل الأساليب المختلفة كما التزم اختيار ما يراه أهلا للاختيار من حيث جودته. وحاول فيه المؤلف أن يعرف الطالب شيئاً عن النقائض وعن غيرها مما تقوى على تقبلة ملكته الخلقية في هذه المرحلة. ولم يقم عبد الله الطيب بالاختيار من نظمه شيئاً، لأن الناقد حين يختار يحكم مقاييس النقد، من اعتماد للجودة إلى حرص على التنويع إلى غير ذلك من وجوه القياس. ولكن الناظم إنما ينظم بهواه وشهوته. ويبدو من مقدمات الكتاب أن هذا الكتاب هام جدا، ولذا نجد أنه يأتي ضمن المقررات الدراسية في مدارس السودان.

مع أبي الطيب:

كتاب يمثل فكر عبد الله الطيب في قضية المتنبي وما ثار فيها من جدل في القديم والحديث ويتكيء عبد الله الطيب في إيراد أخبار المتنبي على يتيمة الدهر للثعالبي ثم يخوض من بعد خوضاً يشبه التعليق على الخبر فيه إعمال لتذوقه الخاص وفيه مناقشة عارضه لآراء العلماء في هذه المسألة. من الكتاب نستشف أن المتنبي أثير عند عبد الله الطيب وليس هذا هو الموضع الوحيد الذي تحدث فيه عبد الله الطيب عن المتنبي فالإشارات إليه والمناقشات الواسعة تأتي أيضاً في كتابه الطبيعة في شعر المتنبي وفي مقال في كتابه كلمات من فاس وفي المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها وغير ذلك.

هذا الكتاب يكتشف عن رؤية نقدية جديدة في شعر أبي الطيب. بُني على فصول خمسة ومقدمة. يتميز هذا الكتاب بالطريقة النفيسة في النقد، فهي طريقة تدلّ على ذكاء لمّاح وذهن متّقد. ولذلك يتطلب هذا الكتاب فهم معانيه دقة وعلماً مسبقاً بأحوال كلّ من الشاعر والناقد[153].

وفي هذا الكتاب حقيقة نقدية جديدة، وقال عنها عبد الله الطيب: "وبعد فربما يصح أن يقال إن أكثر أسماء شعراء العرب دوراناً بينهم امرؤ القيس وزهير وأبو الطيب وعسى أن يكون معهم جرير"[154]. وهذا يعني عند عبد الله الطيب ترتيباً جديداً لطبقات الشعراء، وأدخل أبا الطيب مع بعض الشعراء الجاهليين. وكما نعلم أن امرء القيس وزهير يتعلقان بالطبقة الأولى من فحول شعراء الجاهلية، وأمّا جرير فهو رأس طبقات فحول الإسلام. وقد أدخل عبد الله أبا الطيب مع هذه الطبقات فكأنه يدعي أن أبا الطيب هو شاعر من الطبقة الأولى، وليس هو أقل من امرئ القيس وزهير وجرير.

وألقى عبد الله الطيب نظرة على شعر المديح من جديد فقال: "ولعله مما أفسد على الناس رأيهم في الحكم على شعر المدح عامّة وشعراء المديح قاطبة حسبانهم أنه من التسول وأن أصحابه متسولون. وهذا خطأ. إذ الشعر ديوان العرب كما الإذاعة والتلفزيون والصحافة وشتى طرق الإعلام والدعاية هن ديوان مجتمعنا الحاضر. والمدح والهجاء كانا من أساليب الإعلام والدعاية المشروعة كما هما في هذا العصر[155]. فالنظرة الجديدة هنا أن شعر المديح يشبه في ذلك كله أجهزة الإعلام و وزراء الإعلام، وأن الشاعر هو لسان هذه الوزارة الناطقة باسم الأمير أو الملك. وهكذا كان أبو الطيب عند الملك سيف الدولة، وقال عبد الله الطيب:

153 عبد الله الطيب، "مع أبي الطيب"، الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2005 ص 9

154 المرجع السابق ص 10.

155 المرجع السابق 6.

"وكان سيف الدولة من أكابر أمراء الطوائف في القرن الرابع وكانت أسرته بنو حمدان من كبريات الأسر المغامرة التي حظيت بالإمارة في ذلك العصر وكان أبو الطيب بعد إذ صار إليه كالموظف عنده:

أسير إلى إقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه

كان وزير دولته و وكيل وزارته للإعلام والدعاية"[156].

وقد أتى عبد الله الطيب بتشبيه آخر لشعراء المديح فقال: "وكان تنافس الأمراء إذ ذاك على الشعراء كتنافس ملوك أرُبّا وأمرائها على استقدام المصوّرين البارعين واستخدامهم وينبغي أن ننظر إلى قصيدة المدح لا على أنها تسولٌ، ولكن على أنها واجب أو عمل يطلب من الشاعر فينجزه كما قد كان المصوّرون في أوربا يؤدي أحدهم واجباً أو ينجز عملاً حين يطلب منه أن يرسم هذا الأمير أو تلك الأميرة. وكان من أعظم ما ينبغي في الرسم إبراز الأبّهة والجمال، وما كان كلّ أمير بذي أبّهة ولا كلّ أميرة بحسناء. فتأمل.

فهذا تشبيه آخر لشعراء المدائح حيث كأنهم المصورون الذين دأب أمراء أوروبا على استقدامهم ليؤدوا واجباً من نحو رسم صورة بديعة لأمير أو أميرة، فيقومون بهذا العمل ليس من باب الطلب للاسترزاق وإنما من باب أداء الواجب. وهكذا أبو الطيب –شاعر المديح- يؤدي عملاً يطلب منهم أداءه وليس الأمر تسولاً.

ومن النظرات الجديدة التي وجدت في هذا الكتاب هي الربط بين طبيعة شعر المديح الذي ينشئه الشاعر وبين طبيعة الممدوح المخاطب. وحاول عبد الله الطيب الإثبات في كتابه قاعدة تصلح لنقد الشعر عامة وذلك في قوله: "والصفاء والموسيقى والتجويد والإحكام، كلّ ذلك لا يرتفع بقدر الشعر كما ترتفع الحيوية".

156 المرجع السابق ص 7.

ثم يسترسل عبد الله الطيب فيبين معنى الحيوية. فيقول: "ومرادنا بالحيوية عنصر الشعر المنبي فيه عن صدق التجربة وعمق الانفعال معاً"[157].

هذا التعريف لمعنى الحيوية هو الذي يحتاجه شعراء اليوم، فالشعر في هذا العصر في معظمه باهت وذلك لخلوه حقاً من هذه الحيوية، والحياة عنصر مهمّ لكل كائن يؤثر ويتأثر، فإذا فقدها لا يبين كلامها. ولعل صدق التجربة وقوة الانفعال هما من أهم لوازم هذه الحيوية كما أشار عبد الله الطيب في هذا الكتاب.

وتطرق عبد الله الطيب في كتابه إلى الحديث عن أبي الطيب وعلاقته بمن كان معه من جيل الشعراء كأبي فراس مثلاً، فيبين أن أبا فراس كان كثير النظر في شعر أبي الطيب، غير أن أبا فراس وغيره وإن نظروا في شعر أبي الطيب إلا أنهم أخفقوا في محاكاته، يقول عبد الله الطيب: "وقد كان معاصرو أبي الطيب أول من فُتن به، وقد رام مماثلته بمحاكاته أو الأخذ عنه جماعة كأبي فراس والسري فعجزوا[158].

وهكذا فقد أتى كتاب "مع أبي الطيب" لعبد الله الطيب بكثير من الجديد في شأن شعر أبي الطيب، وكشف عن بعض جوانب ظلت طي الكتمان مستترة وعندي أن دراسة عبد الله الطيب لشعر أبي الطيب أعطت بُعداً جديداً له.

الأحاجي السودانية:

كتب عبد الله الطيب كتابه "الأحاجي السودانية" عام 1946 أثناء تحضيره رسالة الدكتورة في انجلترا، وكتبها من الذاكرة وصحّح بعضها بمراجعة بعض الكتب. ونُشرت حكايات هذا الكتاب في مجلة "الصبيان" السودانية عام 1948،

157 المرجع السابق ص 11.

158 المرجع السابق ص 13.

وقصاصات صغيرة من دار المعارف، ثم جمعها عبد الله الطيب بعد ذلك في زمن متأخر. وقام المؤلف بترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية مع زميليه مايكل ويست.

ويجمع الكتاب مجموعة من الأحاجي السودانية التي تعتبر جزءاً من الموروث الشعبي السوداني، والأحجية تعني تلك القصص التي ترويها الجدّات للصغار في المساء على ضوء القمر. وفي الواقع هذا كتاب تغلب عليه روح الدّعابة البارعة مع الأُسطورة والخيال، وقد قدّم له مؤلفه بأفصح الكلام المبسط فقال": كانت الجدات في زمان مضى يسلين أطفالنا بُعَيْدَ المساء بحكايات ومسائل في الأُنس يقال لها الحُجى، وأصل ذلك من الْحِجى بكسر الحاء وهو العقل والذكاء، وكانت هذه الحكايات تهدف إلى شحْذ الأذهان، وإدخال السرور في نفوس الصغار كي يغلب عليهم النعاس[159]". وفي ما يلي حكايات راعى المؤلف فيها الطريقة القديمة، وحرص على أن الاحتفاظ بكثير من عباراتها، من أسجاع وما أشبه، وقال، كما كانت تقول الجدات، والأمهات في الزمان القديم: "حجّيتكم ما بَجّيتكم، خيراً جانا وجاكم، أكل عشاكم، وجري وخلاكم. وكانت الجدات يقُلن للإعلان بنهاية كل قصة: «تَمَّت وختمت، وانحترت وانبترت في جحر الصغير فينا.

نماذج من حكايات الأحاجي السودانية:

حكاية "النيتو واللّعيب":

تحكي عن فتاة دميمة شينة المظهر تُدعى "النيتو" وقد احتال والدها على "محمد الشاطر" كي يزوجه إياها مُوهماً إياه بأنها باهرةُ الجمال مما حدا بالشاكر أنْ يدفع مهراً قدره قنطاراً من الذهب، وبعد أن تورط محمد الشاطر في هذه (الخطبة... المأزق) سمع أقاويل الناس عن قبح ودمامة خطيبته (النيتو) فأرسل خادمه بشارة

159 عبد الله الطيب، "الأحاجي السودانية"، الطبعة الثالثة، دار الأصالة للصحافة والنشر، الخرطوم، 2004ص 7.

ليتلصص ويرى (النيتو) بعينه ليعود ويصفها له. نجح بشارة في مهمته، وها هو هذا الحوار الطريف الذي دار بين محمد الشاطر وخادمه بشارة:

محمد الشاطر: كيف وش النيتو؟.

بشارة: كدوسك المصيتو.

محمد الشاطر: كيف عيون النيتو؟.

بشارة: كديسك الزازيتو.

محمد الشاطر: كيف خشم النيتو؟.

بشارة: كنتوش ملاحك التكيتو.

محمد الشاطر: كيف شعر النيتو؟.

بشارة: صوف كديسك البليتو.

محمد الشاطر: كيف إيد النيتو؟.

بشارة: مغيزلك التريتو.

محمد الشاطر: كيف بطن النيتو؟.

بشارة: كرتوبك الوسط الديار رميتو.

محمد الشاطر: كيف ضهر النيتو؟.

بشارة: قوسك الحنيتو.

محمد الشاطر: كيف كفل النيتو؟.

بشارة: طارك الدقيتو.

محمد الشاطر: شن يحلي من النيتو؟.

بشارة: جَمَلك إن شديتو، ومَالك إن خليتو.

محمد الشاطر: ما أفصحك وما أوجزك يا بشارة.

ما أدقّ وصفك يا بشارة، فما تركت للنيتو المسكينة شيئاً واحداً تختال به، وهكذا شدّ محمد الشاطر جمله وترك ماله وهرب تاركاً النيتو تندب حظها ولم يتزوجها160.

حاولت دراسة وفهم الحكايات المذكورة في هذا الكتاب، ولكني لم أستطع فهم الكثير من الكلمات. ولكن يبدو أن الحكايات ليست للتسلية فقط، وإنما فيها تربية وغرس لقيم ومبادئ.

القصيدة المادحة ومقالات أخر:

هذا الكتاب لعبد الله الطيب في الواقع قطع متفرقات، بعضها أصاب النشر في الصحف والمجلات وبعضها محاضرات قد أخرجها المؤلف في ذيل كتابه "مع أبي الطيب"، كما أن بعض المقالات عمل مستأنف لم يسبق نشره[161]. ويقع الكتاب في مئتين واثنين صفحة من القطع العادي، ويشتمل على مقدمة تحتوى على بعضِ ما في الكتاب، وفي الختام رثاء له في الدكتور طه حسين.

وقد سمّيت مجموعة هذه المقالات النقدية باسم أول مقال في الكتاب وهو القصيدة المادحة لأهمية المديح في نظر عبد الله الطيب، بعيداً عن النظر السائد الذي يجعل المديح غرضاً وضعياً ينحو نحو التكسب الرخيص. فعبد الله الطيب يجعل المديح أصلاً والأغراض الأخرى تبعاً له، لأن قصيدة المديح هي قصيدة البناء الفخم من جهة الفن، والمديح لما يحدثه من نشوة وإرتياح من أجدى وسائل الدعوة إلى الخير والفضائل[162]. وقد بلغ المتنبي في القصيدة المادحة الذروة الرفيعة، فأعاد للشعر العربي فحولته متغنيا بمثله وفضائله[163].

160 عبد الله الطيب، "الأحاجي السودانية"، الطبعة الثالثة، دار الأصالة للصحافة والنشر، الخرطوم، 2004ص 45.

161 عبد الله الطيب، "القصيدة المادحة ومقالات أخر"، الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2005 ص5.

162 المرجع السابق، ص 9.

163 المرجع السابق، ص 23.

غلاف الطبعة الثانية لكتاب القصيدة المادحة الموجود عندي، وطبعته الأولى كانت من مصر في عام

ويحتوى الكتاب أيضاً على مقال عن المطالع ومداخل النسيب في الشعر العربي ومقال عن نظرات في إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ومقال عن درعيات أبي العلاء وهو جزء من فكره في مسألة أبي العلاء التي خصص لها دراسته للدكتوراه في جامعة لندن سنة 1950م وفيه نظر جديد لهذا لم يسبق إليه وقد عرض هذا البحث نفسه بمجمع القاهرة أوان اختياره عضواً سنة إحدى وستين (1961م) وقد علق الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد مقرظاً فكر عبد الله الطيب في هذا الأمر في كتابه (أشتات مجتمعات).

وهناك مقالات أُخَر تمثل جانباً من الفكر التربوي عند عبد الله الطيب وفيه شرح أرجوزتين لرؤبة وهناك مقال عن العقاد الشاعر وفي آخره تأبين للدكتور طه حسين نثراً وشعراً.

وإلى جانب هذه المقالات هناك مقال ينم عن اهتمامه الخاص بقضيةاللغة العربية، وعنوانه "اللغة العربية الفصحى واللهجات العامية وأثرهما في قومية الثقافة العربية ومحليتها". وقد تحدث فيه عن اللغة العربية وكونها لسان الحضارة الانسانية الكبرى قائلاً: "قد نزل القرآن باللسان الفصيح المختار وصارت اللغة العربية الفصحى لسان حضارة الانسانية الكبرى في ذلك الزمان واستوعبت علوم الأمم، وأتيح للعرب حينئذ من طرق التعليم ما تفوقوا به على جيرانهم من الأمم التي ما كان تفوقهم عليها بالسيف والعقيدة فحسب[164]". كما أنه أشار فيه إلى

164 المرجع السابق ص 68.

النهضة الحدثية في آداب العربية واصفاً إياها بالبداية الحسنة الواعدة بأمثال البارودي وأحمد شوقي ومعاصريهما في مصر وغيرها. كما أن فيه مقال بعنوان "رحم الله الدكتور طه حسين"، كتبه في رثاء عميد الأدب العربي فأولاً ذكر فيه أول عهده به وعكوفه على كتبه ومحاكاته أسلوبه في الإنشاء، ثم قصة تقديم طه حسين لكتابه "المرشد" وأخيرا الرثاء وها هنا أذكر بعض أبياته:

ثوى الحبر طه لدى ربه		وخلده الله في حزبه
وكان لعمرى عديم النظير		وأين الذي من كان من ضربه
وكان شجاعا وكان جريئاً		وكان ذكياً وأعظم به
وأسلوبه يسحر القارئين		ويخلص للمرء في لبه[165]

الطبيعة عند المتنبي:

هذا الكتاب الرائع لعبد الله الطيب في أصله ورقة قدمها عبد الله الطيب في الاحتفال الألفي بالمتنبي المعقود في العاصمة العراقية بغداد نوفمبر (تشرين الثاني) 1977م. ويحتوى هذا الكتاب الذي صدر عن دار الحرية للطباعة في عام 1397 الموافق 1977، على 85 صفحة. ونشرت وزارة الإعلام للجمهورية العراقية هذا الكتاب بمناسبة مهرجان المتنبي.

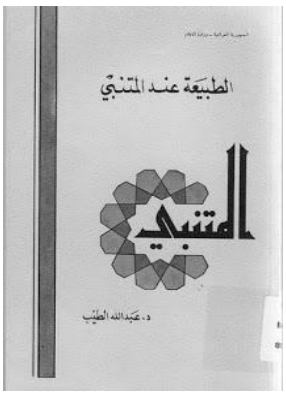

صفحة الغلاف لكتاب "الطبيعة عند المتنبي"، مكتوب عليه منشورات وزارة الاعلام-الجمهورية العراقية

165 المرجع السابق ص 201

ويحلل عبد الله الطيب في "الطبيعة عند المتنبي" الطريقة الأدائية للمتنبي في تسجيل انطباعه عن البيانات التي ألفها أو رآها على اختلافها وتنوعها وصلة كل ذلك بهذا الفن في الأدب العربي والآداب العالمية. وهو يخبرنا عن أخذ الافرنج من أشعار العربية وميراث آدابها ذي الكنوز دون اعتراف إما جهلا أو عامدين. وهو يسترعى انتباهنا إلى أشعار الانجليز الرومانتيكيين ومن إليهم بوجه خاص قصيدة كيتس عن البلبل، فقد استهلها بذكر الهم والخرم على النحو الذي كان يصنع شعراء العرب في مطالع النسيب القديم وقصيدة وليام بلاك يذكر النمر.

Tiger, tiger, burning brigt

In the forests of the night

ثم وصف وليم بلاك خطا النمر وذراعيه وجبروته، فلا شك أن وليم بليك على ما يُنسب إليه من الأصالة والرومانسية القذة قد اطّلع على ترجمة من كلمة أبي الطيب النادرة[166]:

ورد إذا ورد البحيرة شاربا		ورد الفرات زئيره والنيلا
ما قُوبلت عيناه إلا ظنُّنا		تحت الدجى نار الفريق حلولا
يطأ الثرى مترفقاً من تيهه		فكأنه آس يجس عليلا

ويسجل عبد الله الطيب، انطباعه عن الشعراء الإنجليز الأخرى في هذا الكتاب.

التماسة عزاء بين الشعراء:

صدر هذا الكتاب في الدار السودانية للكتب، ويقع في 248 صفحة، دون تاريخ ودجون الإشارة إلى مكان الطبع، ولكن في نهاية الكتاب كتب عبداله الطيب "كان الفراغ منه يوم 24 من المحرم 1391 الهجري"، وبتحويل هذا التاريخ إلى العام

166 عبد الله الطيب، "الطبيعة عند المتنبي" دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ص 10-11.

الميلادي عبر برنامج التحويل الالكتروني، يبدو أن عبد الله الطيب انتهي من تأليفه يوم 22 مارس 1971. ويحتوى الكتاب على 16 فصلا، يقول عبد الله الطيب في مقدمة هذا الكتاب: فقد كتبت هذه الخواطر والنفس منقبضة ونوائب الدهر ماينين، وفي الطرس تقرأ أو تكتب عزاء... ووجدتني أستريح إلى الشعر وحديث الشعراء حتى تناول خاطري منهم عدداً واقترح علي بعض الإخوان أن أجعل ذلك بحثاً جاداً لكي يهتم به طلاب الأدب فوقع الاختيار عندي موقعاً وبدأت بأبي تمام وهلمّ جرا وبعد أن سودت أوراقاً عدداً بدا أن السفر الذي كنت قد أتممته وهو خواطر أجدر أن يترك كما هو.... لأنه منبىء عما كانت عليه حال النفس من التماس العزاء.... وعسى أن يكون به عزاء وهذا حين أبداً والله المستعان[167].

وقد تناول عبد الله الطيب في هذا الكتاب مواضيع مختلفة ومتنوعة، فقد يتضح لك بمجرد النظر إلى قائمة المحتويات، أنه في فصل يتحدث عن المعري وعن الشيخ محمدالمجذوب، وفي فصل آخر عن وزن الشعر وإليوت والمعاصرون من أمثال بدر شاركر السياب. وفي مكان يكتب حول شعر صباه ومذكراته عن الدرس وكلية غورون، وفي مكان آخر يناقش معلقة عنرة وبائية امرئ القيس. فخلاصة القول أن هذا الكتاب مجموعة مواضيع كانت تخطر ببال عبد الله الطيب.

الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان:

هذا الكتاب في أصله محاضرات أعدها عبد الله الطيب لطلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية في القاهرة، جامعة الدول العربية. وقد طبع الكتاب بمطبعة نهضة مصر في عام 1959م، ويشتمل على ستة أقسام: "تمهيد" و"من النثر الصوفي إلى الصحافة" و"النثر في المهدية" و"النثر المعاصر"

167 عبد الله الطيب، "التماسة عزاء بين الشعراء"، الدار السودانية للكتب، ص 5.

و"المحجوب ومحمد عشري" و"محمد عشري". ويقع الكتاب في 97 صفحة من القطع الكبير.

ويتتبع عبد الله الطيب في هذا الكتاب، النثر الفني في الحقب المتعاقبة في السودان من عصر الفونج والتركية والمهدية إلى العصر الحديث الذي نظر فيه إلى نثر أهل الفجر كمحمد أحمد المحجوب[168] ومحمد عشري الصديق[169] محللاً طرائقهم تحليلاً فنياً عميقاً يحث في ثناياه عن وجود الأصالة التي تمت إلى الأدب العربي بسبب. وحيث أن الكتاب فريد من ناحية إعطائه خلفية شاملة لما كان عليه النثر العربي في السودان، سأفصّل الكلام حول هذا الكتاب.

ويرى عبد الله الطيب أن نثر السودان العربي الحديث، بدأ أوّل أمره دينياً صوفياً، وبلغ ذروته عند الشيخ محمد المجذوب وأبناء اخيه من بعده، وفضلهم على من سماهم مدونو الأخبار أمثال ولد ضيف الله صاحب الطبقات، لأنهم وفق صاحب الكتاب، "قصروا حديثهم على الكرامات وما أشبهها ولو كان نثر الطبقات عربياً فصيحاً كله لبدأ به ولكنه أقرب إلى العامية في جملته"[170].

ويذكر في القسم الثاني المعنون "من النثر الصوفي إلى الصحافة" استحسانه لنثر الشيخ المجذوب بالقول: "مذهب سائر علماء العربية في عصره والعصور التي خلت من إيثار النثر الفني الخالص بألوان من الصناعة والتسجيع وإرسال النثر العلمي إرسالاً، لما كان يحتاج إليه صاحبه من التبسّط في العبارة[171]" وحسب رأي عبد الله

168 هو الأديب السوداني الشهير الذي لا يخذله قلمه وشاعر لا يشق له غبار ومفكر عميق الفكر وهو احد قلائل المثقفين الذين وصلوا الي منصب رئيس الوزراء في زمانه كتب في الكثير من المجلات والصحف و بدأ الكتابة في "حضارة السودان" في 1927م و"النهضة " في 1931م ثم صارت كتاباته أكثر تنوعا ونضوجا في مجلة الفجر بين عامي 32 . 1937م ومن مؤلفاته كتاب "الحكومة المحلية في السودان" و "الحركة الفكرية في السودان الى اين تتجه" وله أشعار كثيرة ومؤلفات ادبية مثل ديوان "الفردوس المفقود" و"قصة قلب".

169 ولد محمد عشرى صديق في عام 1907، وهو من الأدباء السودانيين الذين احتضنت الصحافة المصرية كتاباتهم، ومن أبرز كتاب مجلتي "النهضة" و"الفجر" ولكنه ترك الصحافة ليعمل ضابطاً في الجيش.

170 عبد الله الطيب، "الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان"، الطبعة الأولى، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1959، ص 16.

171 المرجع السابق، ص 22.

الطيب للمجذوب ضربين من النثر الصوفي، أحدهما مسجوع وآخر غير مسجوع. وقد ذكر أمثلة عديدة للنوعين من النثر الصوفي، مبيناً اعجابه به خاصة بالاستعارات الموجودة، فقال "يعجبني من هذا الفصل بخاصة استعارته عند قوله "ونرفع أطباق الفقر لنيل مالك من الفضل والكرم". إذ تشبيه الأيدي المرفوعة بالدعاء بأطباق السائل غاية في الجودة ولا أحسبني أغلو إن زعمت أن مثل هذا النثر قد كان في جملته سابقاً لزمانه، لما كان طاغياً إذ ذاك من هجنة الأساليب وركاكتها"[172].

ويرى عبد الله الطيب القسم الثالث الذي عنوانه "النثر في المهدية" بمثابة المقدِّمة أو التمهيد لأسلوب الصحافة الذي جاء في العصر الحديث، وقد تمثّل ذلك النثر في أسلوب المناشير الذي ابتدره الإمام محمد أحمد المهدي[173]، وبه كما يقول عبد الله الطيب: "روح قوي يعبّر عن ذروة ما بلغه النثر الصوفي الدفعي في السودان من حيث الفكرة والعقيدة"[174]. ثم ينتقل إلى نثر الشيخ الحسين الزهرا[175]، والذي يراه معقداً ومتكلِّفاً "وليس فيه من الحماسة والتدفق ما في أسلوب المهدي، ولا فيه من الوضوح العامي البحت، ما في رسائل الخليفة عبد الله وعماله". ومن منشوره الطويل في مدح المهدي الذي اورده عبد الله الطيب: "الحمد لله الوالي الكريم، والصلاة على سيدنا محمد مع التسليم، أما بعد فلما نادت به ألسن الأكوان بظهور المهدي المنتظر، وتقرر ما نادت به عند ذي كل لب خلا عن الفتن ما بطن منها وما ظهر".

وفي القسم الرابع من الكتاب يخبر المؤلف النثر المعاصر الذي بدأ عقب إنشاء الحكم الثنائي لصحافته الرسمية "جريدة السودان" التي كان يشرف عليها قلم

172 المرجع السابق، ص 24.

173 شخصية دينية كبيرة في السودان سلك الطريقة الصوفية.

174 عبد الله الطيب، "الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان"، المرجع السابق ص 26

175 شاعر سوداني كبير ومن دعاة الثورة المهدية وجعل من شعره لسانا للثورة.

المخابرات، وكان محرروها الأوائل من المهاجرين المستوطنين في مصر، وبعد إختفاء جريدة السودان خلفتها جرائد اخرى شبه رسمية كالحضارة وملتقى النهرين، اللتين كان يحررهما من السودانيين حسين شريف واحمد عثمان القاضي، من خريجي كلية غردون التي احدثت بعض التغيير في الفكر السوداني، بما كانت تخرجه كل عام من جيل مثقف جديد. وقد وصف عبد الله الطيب ما كتبه ذلك الجيل، انه في جملته سليماً حسناً لا يخرج عن التقليد لما كان في الصحف المصرية آنئذ[176]. ويتابع يقول عن التحاق نجباء من الطلبة السودانيين منهم حافظو القرآن، والذين باشروا بدورهم بعد ذلك التدريس في كلية غردون أمثال الشيخ محمد المجذوب جلال الدين والشيخ البناء والشيخ عبد الله عبد الرحمن الذي اخبر عن كتاب له اسمه "العربية في السودان" وصفه المؤلّف بالحسن، وفيه كثير من عادات السودان وموازنة بين الكثير من الألفاظ الدارجة وأصولها. وقال عبد الله الطيب إنه كان ينظر في أول امره إلى هؤلاء كمحاكين لما قرأوه في الصحافة المصرية، ومؤلفات كتابها المحدثين، الذين لم يكونوا هم بدورهم إلا محاكين لنماذج من أدب الغرب ويتابع كاتباً: "وخيل لي أنهم ما عمدوا إلى هذه المحاكاة إلا التماساً للعزاء من دنيا اليأس التي كانت تحيط بهم، أو طلباً للظهور في دنيا جيلهم الصغير. وكان يرجح هذا الظن عندي ما هو معروف من أعراضهم عن الكتابة الادبية الخالصة بعد قيام السياسة والأحزاب. وقلت عسى كان قلقهم كله، وتطلعهم كله، نفثة من نفثات الجهاد الوطني في ذلك الزمان".. الى ان يعود ويكتب: "ولكن بعد طول النظر استقر عندي انهم ربما ألموا بأطراف جميع ذلك، غير انهم كانوا في جوهرهم اولى مثل عليا، شجعاناً حقاً، لهم حظ عظيم من الأصالة، أرادوا البيان عن ذوات انفسهم، وعن آمال بلادهم فالتمسوه في الأدب، ووفقوا فيه الى شيء من الاجادة، ثم التمسوه في السياسة، فشغلتهم شواغلها، ووفّق كثير منهم توفيقاً عظيماً فيها.

176 عبد الله الطيب، "الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان"، المرجع السابق ص 47.

وقد كان منهم من يحاول الرجعة الى الادب احياناً. ولكن هؤلاء لم يستقم لهم منه في الكرة الآخرة ما كان استقام أول الامر"[177]. ويرى عبد الله الطيب أن خيرة كتاب ذلك الجيل هم محمد احمد المحجوب، واحمد يوسف هاشم، ومحمد عشري واخوه عبد الله عشري، ومن بينهم محجوب ومحمد عشري اديبان كبيران لا ريب، لعلهما كانا من أصل أدباء زمانهما في الشرق العربي كله. وقد أقام عبد الله الطيب قسمين مستقلين (الخامس والسادس) عن محجوب ومحمد عشري، ولكن قبل ذلك تحدث عن عرفات محمد عبد الله، إذ كان محرر الفجر، وكان يكتب من قبل في النهضة، واشتهر في جيله بالأدب والبيان، ولا يزال كثيرون يقدمونه على محجوب وعشري وغيرهما. وقال "وقد أطلت النظر في افتتاحياته، في الفجر وما كتبه في النهضة، فثبت عندي أنه ليس كالذي اشتهر من ذكره وأن فضيلته حقاً أنه كان رجلاً مثابراً، بذل جهداً كريماً عظيماً في إخراج الفجر..... وكثيراً ما كان عرفات ينحو منحى الخطابة في نقده الاجتماعي فيبالغ في اللفظ ويغفل عن المعنى غفلة تامة[178].

ويبتدر المؤلف في القسم الخامس "المحجوب ومحمد عشري" بالقول: "لو جمع ما كتبه المحجوب ومحمد عشري في الفجر والنهضة كله ما عدا كتاباً واحداً من الحجم المتوسط، ومع ذلك أزعم أن بعض كتابتهما من جيد ما عرفه عصرهما في الشرق العربي، ولا شك أنها أجود ما عرفه السودان من الأدب الحديث حتى فجر الاستقلال[179]".

وفي القسم السادس والأخير من هذا الكتاب، قال عبد الله الطيب عن محمد عشري: "إن لمحمد عشري رؤية وعناية بما يكتبه، ولكن ليس له اندفاع محجوب

177 المرجع السابق، ص 56.

178 المرجع السابق، ص 68.

179 المرجع السابق، ص 79.

ولا حرارته وبريقه[180]". وتابع آراءه حول عشري من خلال تقديم نقده لمقالة عشري حول المازني.

وفي ختام الكتاب، تحدث عبد الله الطيب عن معاوية نور وقال : "كنت أود أيضاً أن ألم بأدب المرحوم معاوية محمد نور، فقد كان معاصراً لجيل الفجر وأقام زماناً بمصر يكتب في صحفها، وانتمى إلى بعض المدارس الأدبية ثم عاد إلى وطنه فتجّهم له العيش ثم أنهكه المرض ومات... ونثره في جودة الذين كان يساجلهم ويشاركهم في المذهب بمصر، ومما يجدر أن يوقف عنده"[181].

من نافذة القطار:

هذا كتابٌ في السيرة الذاتية والمذكرات والذكريات، وصدر خلال النصف الأول من ستينيات القرن الماضي. ركز عبد الله الطيب فيه بصفة أساسية على ذكريات رحلته بالقطار والباخرة إلى لندن مروراً بالقاهرة، مبتعثاً من قبل حكومة السودان، أو معهد التربية ببخت الرضا على وجه التحديد، للدراسات العالية في الأدب العربي بجامعة لندن خلال النصف الثاني من أربعينيات القرن العشرين، تلك الرحلة التي آب في نهايتها مظفراً، بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة لندن في عام 1950م، كأول شهادة من نوعها في السودان في هذا التخصص.

ويشتمل هذا الكتاب أيضاً على ذكريات الطفولة الباكرة للمؤلف عبد الله الطيب برفقة أسرته في مدينة كسلا بشرق السودان في أواخر عشرينيات القرن الماضي، وذكرياته عن رحلة له بالقطار من كسلا إلى ديار عشيرتهم بالدامر، ومشاهد تلك الرحلة المسحورة من خلال نافذة القطار، التي أوحت له بدورها بعنوان هذا

180 المرجع السابق ص 84.

181 المرجع السابق ص 94.

الكتاب، بالإضافة إلى لمع من ذكريات طفولته أيضاً في جزيرة "مقرات" من ديار "الرباطاب" بشمال السودان، حيث كان يعمل والده مدرِّسًا. وهنا يذكر المؤلف حادثة صراعه مع حدأة أرادت أن تخطف منه اللحم الذي كُلف إيصاله من السوق إلى منزلهم، وكيف أنه قد قاوم الحدأة، وصد ضربات أجنحتها القوية، فانتصر عليها في نهاية المطاف، وأوصل اللحم سالماً إلى البيت[182].

ويعتقد أن هذا الكتاب للبروفيسور عبد الله الطيب يقع دون "المرشد لفهم أشعار العرب وصناعتها" بمجلداته الأربعة، والذي بسط فيه عبد الله الطيب أركان نظريته ومواقفه النقدية بإزاء مجمل التراث الشعري العربي منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث، فإن كتاب "من نافذة القطار"، وهو أيضاً من مؤلفات عبد الله الطيب الباكرة نسبياً، قد تضمن هو الآخر جملة صالحة من الآراء والأفكار الجريئة والمبتكرة والطريفة في عدة مسائل في الأدب واللغة والنقد والتاريخ والأنثروبولوجيا والاجتماع وغيرها من المعارف والعلوم الإنسانية، بل إنّ جزأ كبيرا من الأعمال والاجتراحات المعرفية والفكرية التي توسع فيها عبد الله الطيب، وأصدرها لاحقاً، يوجد متبعثرا ومنثورا بالفعل بين صفحات هذا الكتاب.

يتوسّع عبد الله الطيب في صفحة 85 من كتابه، في بيان الطبيعة والوظيفة الطقسية والأنثربولوجية لشعْر الإنسان، وذلك في معرض محاولته لتفسير عادة "الزيانة " أو حلق شعور المواليد الصغار بالسودان لدى ولي بعينه، والذي يرى المؤلف أنه عمل يرمز به إلى التضحية والقربان، فيقول:

"بل يبدو أن الشَّعر قد جُعل مكان النفس أحياناً. مما يدل على ذلك، أن قدماء المصريين في دهرهم السحيق، كانوا يضحون ذوي الشعور الحمر للقمح حين حصاده. فتكون تضحية الشعر نفسه حلّت مكان قتل صاحبه. وأحسب جز النواصي عند العرب إذا ظفروا بأسير وعفوا عنه أصله من هذا. يجعلون شعره

182 عبدالله الطيب، "من نافذة القطار"، الطبعة الثانية، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، ص 9.

مكان رقبته ... وإن صحَّ كل هذا الحدس، فتكون موضع الزيانة كأنها قد تُورثتْ منذ عهد كوش والفراعنة ..."[183].

وفي هذا مقاربة علمية أنثربولوجية رصينة، لعادة حلق شعور الأطفال عند ضرائح الأولياء بالسودان، تذكر المرء بأساليب العلماء الأفذاذ في هذا المجال.

ثم يمضي عبد الله الطيب فيقول في ذات الصفحة: "والحلق من عادات الساميين القديمة. ولعل الفراعنة وكوشاً والعنج أخذوه من أصل سامي. ولعل العنج من أصل عربي، ثم خالطوا أصولاً زنجية ونوبية[184]".

وهنا تستوقفنا فرضية المؤلف أن يكون "العَنَج" هذا الجنس الغامض الهوية، الذي ازدهر على أرض السودان، وحكم معظم أجزائها من سواحل البحر الأحمر وحتى أطراف كردفان خلال بضعة القرون التي سبقت قيام سلطنة الفونج في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، من أصل عربي في الأساس.

والواقع أن الروايات الشفهية حول العنج، تميل إلى تعزيز فرضية عبد الله الطيب الآنف ذكرها. يدلك على ذلك أن الذاكرة الجمعية المتواترة بين أهل السودان، تشير إلى أن العنج قد كانوا من حيث الخصائص الفيزيقية قريبين من العرب.

وفي السياق ذاته المتعلق بقدم الوجود العربي البشري في أرض السودان، والذي يعود في اعتقاد البعض إلى ما قبل ميلاد المسيح، يقول عبد الله الطيب في كتابه: "وفي تاريخ هيرودوتس أن عرباً من الأراضي الواقعة جنوب مصر كانوا في جيش كسرى بن دارا الأول في الحرب الإغريقية الفارسية الثانية قبل زمان المسيح بقرون. وما الأراضي الواقعة جنوب مصر إلاّ السودان[185]".

والحق هو أن الموضوعية والمنطق، وحقائق الجغرافيا والتاريخ أيضاً، لا تمنع جميعها البتة انتقال مجموعات بشرية من الجزيرة العربية إلى أرض السودان أو

183 المرجع السابق، ص 85.

184 المرجع السابق، ص 85.

185 المرجع السابق، ص 86.

العكس، إذ لا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر الذي لا يتجاوز عرضه المائتي ميل، كما أن البلدين قد ظلا موصولين مباشرة براً أيضاً عبر شبه جزيرة سيناء.

ويحق للمرء أن يعجب من استبعاد البعض حدوث تبادل هجرات بشرية بين ساحلي البحر الأحمر الآسيوي والإفريقي على قرب المسافة بينهما ويسر اجتيازها كما أوضحنا، في الوقت الذي يقرون فيه مثلاً بأن مهاجرين من جنوب شرقي آسيا قد قطعوا منذ آلاف السنين آلاف الكيلومترات بحراً، لكي يستقروا في جزيرة مدغشقر بجنوب شرق إفريقيا ويعمروها. ثم إن الكتاب يحدثنا أيضاً عن وجود "عرب تحت طاعة الكوشيين" منذ عهد كتابة التوراة، فلعلهم يكونون أيضاً نفس العرب الذين عناهم هيرودوتس أو أسلافهم.

لقد كان عبد الله الطيب على علم تام، وقناعة راسخة بكل هذه المعطيات، وهي ذاتها التي حدت به بكل تأكيد، إلى بلورة رأيه وفرضيته القائلة بأولية وجود اللغة العربية داخل أرض السودان كلغة أصيلة من لغات سكانه الأقدمين، حتى قبل مجيء الإسلام وما صحبه من قدوم بعض المجموعات العربية إلى ربوعه، منذ انبلاج فجر الدعوة الإسلامية في القرن السابع الميلادي، وخلال القرون التي تلته.

ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك لكي يضع في ذات الصفحة، النواة الأولية، أو الخطوط العريضة لواحدة من أهم فرضياته البحثية المدويّة، فيما يتعلق بهجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة وصلتها بأرض السودان فيقول: "وأحسب أن هجرة جعفر بن أبي طالب والصحابة رضوان الله عنهم، إنما كانت إلى سواكن فأرض النيل. جاء في السيرة أن سيدنا الزبير رضي الله عنه نفخ قربة وعبر بها النيل. هكذا في السيرة، ولا أظن أن في حبشة غندار وأكسوم نيلاً يُعبر بقربة منفوخة، وإنما هي مهاوٍ ومدافع. وما أشبه أن يكون المعبور نيلنا الأتبراوي أو الأزرق العدلاناوي، أي النيل الكبير[186].

186 المرجع السابق: ص 159.

والمعروف هو أن المؤلف قد توسّع في بيان هذه الفرضية، وقدمها في ورقة علمية في ندوة عن السيرة النبوية نظمت بالمملكة العربية السعودية في مطلع ثمانينيات القرن الماضي، وقد جاءت تلك الورقة تحت عنوان: "هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ". ثم إنه عمد إلى تلك الورقة فنشرها بعد ذلك في كتيب. بمعنى أن ذلك قد تم بعد مضي نحو عقدين من صدور كتاب "من نافذة القطار".

عناصر السخرية في كتاب "من نافذة القطار":

والآن بعد الحديث عن كتاب "من نافذة القطار" أحاول الكشف عن وجه جديد لشخصية عبد الله الطيب، وذلك من خلال قراءة نصوص كتبه واستخلاص ما فيها من أدب ساخر. وقد توصل الباحث الى أنَّ عبد الله الطيب كان ساخراً سخرية لاذعة، غير أنَّ سخريته تختلف عن سخرية الأدباء والكُتّاب الآخرين، إذ لم تكن سخرية للضحك والتسلية – وإن لم تخلُ من ذلك – وإنَّما كانت تهدف إلى معالجة بعض القضايا الاجتماعية والسياسية والأدبية. واتسمت سخرية عبد الله الطيب بالطابع الجاد المتعالي عن المجانة والسقوط والإساءة إلى الآخرين، فضلاً أنَّها جاءت بأسلوب فصيح ممزوج بشيء من العامية المشروحة بألفاظ فصيحة وكانت أيضاً سخرية عميقة المعانى بعيدة الدلالات.

مفهوم السّخريّة ومقوّماتها:

ليس من السهل تحديد بداية السخرية في الأجناس الأدبيّة، ولكن ممّا هو يُقال بداياتها ارتبطت بالفلسفة اليونانيّة، عندما كان يستعين بها سقراط في جدله الفلسفي مع مناظريه، استدراجاً إلى إقناعهم[187]، وكان يشكّل محاوراته بصياغة الأسئلة البسيطة الساذجة المصطنعة، وإخفاء المعرفة في داخلها. ولكن لا

187 جبور عبد النور، "المعجم الأدبي"، بيروت، دار القلم للملايين، الطبعة الأولى، 1979م، ص 138.

يستطيع أحد أن يجزم أنّ تلك هي البداية الحقيقيّة للسخريّة؛ لأنّ الخطاب الساخر في حقيقته لا يرتبط بأمّة دون أمّة، ولا يختصّ بزمان دون آخر.

وإذا قلّبنا في المعاجم العربيّة نجد هذه اللفظة متداولة في الخطاب العربيّ؛ وقد وردت مادتها في لسان العرب: "سَخِرَ منه وبه سَخْراً وسَخَراً ومسْخَراً وسُخْراً بالضمّ، وسُخْرَةً وسِخْرِيّاً وسُخْرِيَّةً: هزئ به"، كما أن هذه المادة ودرت في القرآن الكريم في أماكن مختلفة، مثلاً "لا يسخر قوم من قوم...."، وقوله تعالى: "فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم".

وتُعدّ السخرية عند الأدباء والكتاب إبداعاً لا يجيده إلا الحاذق، وهي عندهم "نوعٌ من الهزء قوامه الامتناع عن إسباغ المعنى الواقعي أو المعنى كلّه على الكلمات والإيحاء عن طريق الأسلوب، وإلقاء الكلام بعكس ما يقال"[188]، وغرض الساخر...تصوير الإنسان تصويراً مضحكاً، إمّا بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التشويه الذي لا يصل إلى حدّ الإيلام أو تكبير العيوب الجسميّة أو العضويّة أو الحركة أو العقليّة..." وبذلك فالسخرية وسيلة أدبيّة شائقة وفنّ لا يجيده إلا الأديب الذكي الحاذق الفطن الذي وُهِبَ ملكة في تحوير الخطاب، وتوجيهه على خلاف ظاهره؛ لينال من خصمه في مكر ودهاء وخبث؛ فمن ثمّ لا يحسنها إلا من أوتي حظّاً من بيان، وسعة من خيال، وملكة في عقل ذي ذكاء ثاقب.

هذا وإن السخريّة تمتزج عند كثير من الدّارسين بروح الفكاهة للتّداخل الكبير الذي بينهما، فأوائل الذين ألّفوا في السّخرية أدرجوها ضمن الفكاهة، وعدّوها جزءاً منها، من أولئك الدارسين شوقي ضيف في كتابه الموسوم بـ"الفكاهة في مصر"، حيث قال: "كلمة الفكاهة من الكلمات التي حار الباحثون في وضع تعريف

188 جبور عبد النور، "المعجم الأدبي"، ص138

دقيق لها، والسبب في ذلك كثرة الأنواع التي تتضمنها واختلافها فيما بينها[189]، ولكن لا يمكن حصر السخرية في الفكاهة أو في الضحك، وإنّما هي تهدف إلى ما هو أعظم من ذلك بكثير، وأقلّ ما يمكن أن يقال في أمرها: أنّها فنّ يهدف إلى نقض المخالفات ونقد المتناقضات غير المألوفة للساخر، وقد تحمل عرَضاً في طيّاتها ما يحقق فكاهة ويثير ضحكاً، ولكن دونما يكون ذلك هدفاً أصيلاً يرمي إليه كثير من الدارسين.

أسباب السخرية وتعدّد موضوعاتها في كتاب"من نافذة القطار":

هناك جملة من الأسباب والدوافع التي تقف وراء السخرية عند الأدباء والكتاب، وفي مقدّمتها حساسية الأديب الناقد الذي يحسّ نقائص المجتمع، ثمّ يكون ذا روح مرح ضاحك يتناول العالم وما فيه تناولاً بأساليب السّخرية المختلفة، يقصد من وراء ذلك الإصلاح، وفي طيّات ذلك الإضحاك، أو يقصد معالجة هذه الحساسيّة.

وفيما يتعلق بالموضوعات التي سخر منها عبد الله الطيب في هذا الكتاب فإنها تعدّدت بين أفراد ومجتمعات وأمكنة وأخبار وفنون، وأفعال وسلوك وحضارات، وغير ذلك من الموضوعات، وفيما يلي نورد بعض أمثلة من سخرياته من نفسه وأصدقائه وزملائه حيث أن السّخرية كما عرّفها أحد الأدباء المحدثين: "هي أن تسخر من عيوبك في عيوب الناس الآخرين"، فنجد أن عبد الله الطيب عند سخرياته من أصدقائه وزملائه كثيراً ما يدخل ذاته فيهم، فمثلاً لاحظ قوله: "وذهبنا إلى مقهى ليلي بالقاهرة ووُضِعَ لنا صف واحد من "الطربيزات" في وسط المقهى وكنّا صفّاً واحداً دُكْنا إذ كان كلّ الحاضرين شُقراً أو هكذا لاحوا لنا. وقال لنا أحد الوجهين (أحسبهم بلغوا الآن ثلاثة أو أربعة): سترون نِمَر "جمع نِمْرَة أي

189 شوقي ضيف ، "الفكاهة في مصر"، القاهرة ، دار الهلال، 1958م، ص13.

رقم"، وما فهمنا، ثمّ بدأت النِّمَر، بنات شبه عاريات أحياناً. وبنت تغني ولا نقدر أن نتبيَّن جمال وجهٍ من قبحه. ولكنّا كنّا مشدوهين ونعلم إنّا نشاهد صميم المدنية".

فهنا يصف عبد الله الطيب نفسه وأصدقاءه هذا الوصف الساخر، بأنّهم كانوا سوداً سواداً داكناً، أمام بيض شقر، وكانوا قبيحين ساذجين أمام وجهين مَتحضِّرين، وقد جلسوا صفّاً أشبه بصفوف المدرسة، وتلك جلسة لا تشبه المكان الذي هم فيه، مكان "النِّمَر"، فهُم إمّا أنّهم ضلّوا طريقهم، أو ساقهم فضولهم القرويّ إليه. كما أنّهم صاروا ينظرون إلى هؤلاء "الراقصات" نظرات ساذجة أيضاً، ولكن لا عليهم؛ فإنّهم قادمون من أعماق الريف المتخلّف إلى صميم المدنيّة، إن كانت هذه هي المدنية التي لها شأن آخر مع عبد الله الطيب في سخرياته، سيَرِدّ في مظانّها من هذه الدراسة. ولعل عبارة "أو هكذا لاحوا لنا" إمعان في سخريته من أنفسهم؛ إذ لم يجزم بشقرة الحاضرين؛ لأنّهم من المحتمل ألَّا يكونوا في الحقيقة كذلك، ولكن إحساس عبد الله الطيب ومن معه بدكنة لونهم وشدّة سوادهم جعلهم يشعرون بشدة بيضاء أولئك، "والضدّ يظهر حسنه الضدّ".

وفي مكان آخر يتهكّم بنفسه وزملائه، حينما رأوا، في لحظاتهم الأولى عند وصولهم إنكلترا، إنجليزياً يوقد ناراً على قدر من القار، ولكنّا لم نعلم ذلك (القار أي الزفت): شوفوا، إنجليزي بسوّي له في شاي. أي انظروا ذلك إنجليزي يصنع شاياً، حَسِبَ المسكين أنّ الإنجليز يصنعون بالكفتيرات والحطب كما نفعل في السودان وراعه أن يراهم يصنعون، فعبد الله الطيب وزملاؤه قرويّون ساذجون لا عهد لهم بالمدنيّة ومظاهرها، فما يرونه فيها يفسّرونه بما في أذهانهم من مشاهداتهم الريفيّة البسيطة الساذجة تفسيراً يستخفّ بصاحبه قبل أن يستخفّ به الآخرون. وليت صاحبه أو شخصه - أيّاً كان المقصود في الحكاية- وقفت سذاجته

عند التفكير البسيط عندما حسب ما حسب في أمر الإنجليزي، ولكنّما أمعن عبد الله الطيب أكثر في تصوير بدواته وتخلّفه عندما قال: "وراعه أن يراهم يصنعون"، ولعلّ السبب أنّهم لم يروا الإنجليز في بلادهم المحتلة إلا سادة وأشرافاً مخدومين، فكيف لا يروعوهم أن رأوهم على حقيقتهم؛ يعملون ويَخدِمون كما أنّهم هناك يُخدَمون؟

وتارة يخصّ ذاته وحدها بالتهكّم والسخرية، دون أن يجد حرجاً في ذلك أو حياء؛ ومن صور عبد الله الطيب الساخرة من ذاته في هذا الكتاب ما ذكره عن اضطرابه وتلعثمه في الإجابة عن سؤال إحدى الحِسان الإنجليزيّات حينما سألته عمّا يقال عن إتقانه قواعد الإنجليزية. قال مُتهكِّماً بنفسه: "كان كاضطرابه إذ قُدِّم الفانوس السحري فطُلِبَ منه وهو صغير قصير أن يبين أسماء بعض الصور- هذا أذكى تلميذ عندنا- وخرج ونظر فلم ير شيئاً وذكر القصة التي يدخل فيها الولد جحراً فيجد فانوساً سحرياً، دا الجحر. كَسْفَة! لقد خيّب أمل أستاذه كما خيّب أملها..." وكدأبه في سخرياته يربط الحاضر بالماضي، ويجمع بين القريب البعيد، ويجمل الكلام؛ وذلك لما له من حضور بديهة وقوّة ذاكرة. فهو في هذه الحكاية يعود بنا القهقرى إلى طفولته وصباه، وحينئذٍ كان -كما وصف نفسه- "أذكى تلميذ"، ولكنّه على الرغم من ذلك لم يستطع إحسان الأمر كما ينبغي له، مثلما أنّه لم يُفلح في أمره مع هذه الفتاة التي ألجمه جَمالها، وأخرسه حُسنها، ففي الموقفين يتهكّم بذاته الخجولة الحييّة التي أضعفته أمام الآخرين على الرغم من تفوّقه عليهم ذكاء وعِلماً.

ومن صوره الساخرة من زملائه صورة في زملائه المُعلِّمين، يقول عنهم: "إنّ المُدَّرسين أسوأ ما يكونون حين يتحدّثون عن التَّدريس...وكان سائر الذين نلاقيهم في السمنارات بالنسبة إلينا لا يعلمون شيئاً. إلا سمنارات الأساتذة فقد كانوا

مجرّبين بلا عقول"[190] فهذا تهكّم لاذع بهؤلاء المدرسين؛ إذ هم مجرّبون بلا عقول، وهم بذلك أشبه بالحمير التي تتعلّم من التكرار؛ إذ لا عقول لها، ومن القول المأثور: كثرة التكرار تعلّم الحمار.

ومن المظاهر التي سخر منها أيضاً ما رآه فَوْرَ وصولهم إنجلترا من نساء يعملن في حمل الحقائب وأغراض المسافرين، فقال عن نفسه: " لن والله يطلب من إحداهنّ أن تحمل شنطته فيسمع أهلُه الشوسُ بالسودان أنّه استأجَر عتّالة "ستا" لتشيل له شنطته يا للعار وكان يصطنع المروءة ويدّعي التمسّك بفضائل القرويين السودانيين وهذه خلّة ينتحلها كثير من الناس وقد أفسدهم لين التَّحضر حتى لم يبق لهم من فضائل القرية إلا الجلافة"، فالمعيار الذي يقيس به الأمور كلّها معيار أهله الشوس المحافظين الذين يحترمون المرأة، ويرحمون ضعفها، ولا يستغلّون حاجتها وعوزها. ويخرج عبد الله الطيب من هذه المفارقة التي شاهدها هناك ولا تشبه مروءته السودانية بسخرية عامّة هي السخرية من وضع كلّ شيء في غير موضعه، ومن ذلك إشراك النساء في أعمال الرجال، كما شاهد من هؤلاء "العتّالات" الحمَّالات، ومنه حضري يدّعي البداوة "وشرّ شيء حضري ليّن يتجالف".

ومن النماذج التي سبق تثبت أن عبدالله الطيب كان واحداً من الكتاب الساخرين، إلا أن الهدف من السخرية لم يكن الضحك فقط عنده، وإن لم تخل منه، وإنّما خطاب أدبيّ اختاره ليؤدي به رسالة واضحة المعالم، فهي القناع الذي استتر خلفه؛ ليواجه ما لم يستطع مواجهته في العلن، كما كان الحال في مواجهة الاحتلال الإنكليزي. كما أن السخرية في هذا الكتاب تظهر لنا أن عبد الله الطيب ليس ناقد كتب "المرشد إلى فهم أشعار العرب" أو شاعر صاحب دواوين كثيرة، فحسب، وإنما أديب نال من كل فن قدراً وبلغ من كل علم شأناً وشأواً.

190 عبدالله الطيب، "من نافذة القطار" المرجع السابق، ص 48.

الفصل الثالث

إسهامات عبد الله الطيب البحثية

الفصل الثالث

إسهامات عبد الله الطيب البحثية

العادات المتغيرة في السودان:

هذا الكتاب في الأصل مجموعة لأربع مقالات كتبها عبد الله الطيب باللغة الإنجليزية في أشهر وأعرق المجلات العلمية التي تهتم بنشر أكثر الأبحاث والمقالات رصانةً ومصداقية في الدراسات السودانية "السودان في رسائل ومدونات" في الأعوام التي تمتد قرابة نصف قرن ما بين عامي 1955 وحتى عام 1998. فعندما عاد للسودان بعد تلقيه شهادة الدكتورة في أوائل الخمسينات من القرن الماضي لم يبدأ نشاطه بالاهتمام بالأدب المكتوب بل توجه صوب الثقافة التقليدية أو الفلكور، لهذا لم يتردد في البحث بدأب ومثابرة في الكثير من مظاهر الحياة ولا شك أنه قام بعمل ميداني جمع فيه الكثير من الروايات والإفادات من أفواه الرواة لتوثيق أنماط الثقافة المحلية وذلك قبل أن يجرفها طوفان التغيير.

وبذات الثقة والجرأة حرص عبد الله الطيب وهو في شبابه على نشر بعض من دراساته وأبحاثه في مجلة السودان في رسائل ومدونات Sudan Notes and Record ولم يكن النشر في هذه المجلة الرصينة بالأمر السهل إذ كانت – إلى حد ما – حكراً لأفذاذ الباحثين والإداريين الأوربيين، لكن المجلة أتاحت الفرصة لعبد الله الطيب الذي عمل قلمه وشحذ قدراته في مجال غير التخصص الذي عُرف عنه ألا وهو اللغة العربية. ونشرت المجلة الجزء الأول من دراسته في العدد السادس والثلاثين من المجلة الصادر عام 1955م، والثاني في السابع والثلاثين عام 1956م. ثم وقف النشر لزمان ليس بالقصير، ونشر الجزء الثالث في عام 1964م في العدد الخامس والأربعين، بينما نشر الجزء الرابع والأخير بعد ثلاثين عاماً في المجلد الثاني من المجلة عام 1998م. ويُلاحظ أن الأجزاء الأربعة التي نُشرت تحت عنوان واحد هو

"Changing Customs of the Riverain Sudan"، تشكل مجتمعة دراسة متعمقة وجادة عن عادات النيلية وتقاليدها. وقد سجل عبد الله الطيب في هذه الدراسة بثاقب بصيرته الحياة السودانية في وسط السودان بكل ملامحها. وانتهى إلى دراسة فولكورية تتميز بالموسوعية والرصانة[191].

وقد أوضح عبد الله الطيب هدفه من الدراسة وهو حرصه على توثيق الثقافة التقليدية التي تمر بفترة تحول قد تقضي على بعضها على بعضها تماماً، يقول عبد الله الطيب "وأنا أكتب الآن، والكثيرون منا يدركون التغيرات المتسارعة التي تُحدث تحولات في الحياة السودانية من الشكل الذي قامت عليه في مجتمع القرون الوسطي المتجذر في التقليد، إلى شكل أمة إفريقية عربية تنهض بتأثير الحضارة الإفريقية[192]". وفيما بعد يعود يخاطب طلاب العلوم الإنسانية للتصدي لمهمتهم في جمع الثقافة التقليدية وتوثيقها، وذلك قوله: إنه من واجب طلاب علم الاجتماع والإنثربولوجيا والتاريخ العمل على تسجيل هذه الثقافات، قبل انهيار الأنماط القديمة وسيادة أنماط جديدة على وسائل العيش والسلوك"[193].

يدرس الجزء الأول من الدراسات عادات دورة الحياة وتقاليدها بالتركيز على الولادة ومرحلة البلوغ ويتتبع عبد الله الطيب كل الطقوس التي تقام خلال هذه المراحل للأم ووليدها، فمثلا يبدأ بالمشاهرة ويورد الكثير من التفاصيل، مثل الحجاب والسحر والعين وكل ما يحدث أثناء فترة الحمل، ثم يتوقف عند الولادة فيصف بعمق وإسهاب الأسلوب الذي كان يتبع عند توليد النساء، وهو ولادة الحبل. ثم يتوقف أمام الطقوس التي تقام للمرأة بعد الولادة ويصف التعامل مع المولود إذا كان ذكرا أو أنثى. ويستطرد في وصف طقس "السماية"، ومن الذي يحق له تسمية

191 الدكتور خالد محمد فرح، "العادات المتغيرة في السودان النيلي لعبد الله الطيب وترجمته إلى العربية"، صحيفة "سودانيل"، يوم 2 يناير 2013م.

192 عبد الله الطيب، "العادات المتغيرة في السودان"، الطبعة الأولى، معهد البروفيسور عبد الله الطيب، جامعة الخرطوم، 2012 ص 7.

193 المرجع السابق ص 7.

المولود والأسماء المفضلة للغلبة من الناس. وهنا ينتبه لأمر هام وهو استخدام أسماء نمطية في حالات ويقول: "عندما يرزق الأبوان طفلا بعد وفاة الطفل السابق له، فعادة ما يسمى الطفل (العوض) أما إذا كانت بنت فتسمى (عطية) وفي حالة وفاة الوالد يعطى اسمه لابنه"[194]. ويقول عبد الله إن أغلب الأسماء هى تلك التي تحمد أو تعبد كما جاء في الحديث. وينتهي هذا الجزء بإشارة إلى خروج المرأة بعد أربعين يوما من بيتها، وزيارة النيل قبل غروب الشمس. ثم يشير إلى اختيار هذا الوقت لأمرين: أولهما تحسن الجو وتحوله إلى البرودة والأمر الثاني قوله: "من المحتمل وجود علاقة دينية بين النيل وغروب الشمس"[195]. وبعد هذا الطقس لا تعد المرأة نفساء بل مرأة عادية تمارس حياتها اليومية.

ويواصل عبد الله الطيب في الجزء الثاني توثيق طقوس ودورة الحياة، ويتحدث فيه عن نظرة المجتمع النيلي للطفل وأسلوب تنشئتة ورعايته فيبدأ الجزء بالحديث عن الرضاعة والفطام، ويتوقف أمام بعض عادات الأطفال عند فقدان أسنان اللبن والشلوخ التي يقول عنها: "هناك نوعان من الشلوخ، الأول طبي يتعلق بحماية البصر أما الثاني فهو جمالي، تسمى الأولى نضارات وهي شلوخ صغيرة في الصدغين"[196]. ويشير عبد الله الطيب إلى الشلوخ الجمالية خاصة بالنسبة للنساء. ويخصّص الجزء المتبقي من الدراسة لألعاب الأطفال الشعبية التي يصفها ويورد أسماء الألعاب والأدوات مثل ألعاب "الفيل" و"الشطارة" و"البطان" و"الغراب" و"الميز"، و"الثعلب"، وكل ما يقال أثناء اللعب، وكيف ومتى تؤدى هذه الألعاب ويستطرد كذلك في الألعاب الخاصة بالبنات اللاتي لا يشاركن عادة في ألعاب الذكور، يقول عبد الله الطيب: "للبنات ألعابهن الخاصة بهن باعتبارهن إناثا إضافة

194 المرجع السابق ص 27.

195 المرجع السابق ص 29.

196 المرجع السابق ص 33.

للرقص والغناء الجماعي الذي يمسى الحردقة"[197]. وقد لاحظ الباحث من دراسة هذا الكتاب أن كثيرا من الألعاب السودانية تشابة بالألعاب التي نحن نلعب في قرانا الهندية خاصة لعبة "الثعلب.

ومن الحكايات الشعبية أورد عبد الله الطيب نموذجين في الجزء الثاني، والحكايتان هما "العم البخيل" و"ظلوط" وقد أوردهما في كتابه "الأحاجي السودانية". وعن الثقافة المادية نجد الإشارة للعمارة الشعبية كما في وصف الخلوة وقد أسهب عبد الله الطيب في وصف القرآنية وهي الغرفة الداخلية التي تستعمل فصلاً أثناء الشتاء. كما وصف الزي الشعبي في علاقة بطقوس دورة الحياة ويصف أدوات الجرتق مثل العنقريب والبرش والكُجرة، ويصف كذلك أدوات الزينة بالنسبة للنساء، مثل السوميت والكحل وكل ما يتعلق بالدلكة والدخان، وقطعة من الفضة تسمي فرج الله. وتحدث عن الاعتقاد الشعبي وتوسع في وصف الحجاب مشيراً إلى أن ثمة ثلاثة أنواع من الحجاب: "البخرة" وهي ورقة عليها كتابة وتغلف بالجلد. والثالثة فهي "المحاية"، وهي الآيات القرآنية التي تكتب بقلم البوص على اللوح الخشبي، وتذاب هذه الآيات وتشرب المرأة الحامل السائل.

أما الجزء الثالث فقد خصصه للحديث عن التعليم التقليدي في السودان، ويبرز عبد الله الطيب هذا التركيز على التعليم قائلا: إن موضوع التعليم يحتاج لوسائل الزراعة والصيد والرعي والقتال والصناعة التقليدية، وتحدث عن الدور التعليمي للفلوكلور وضرب مثالا بالكراسات التي أسماها قصص الأولياء وقال إنها تحتوي على الكثير من تعاليم الإسلام الأساسية مثل رؤية المتصوفة للسيرة النبوية والكثير من الإرشادات اللحديث النبوي، ثم يصف الخلوة ووسائل التعليم كاللوح والقلم

197 المرجع السابق ص 46.

الذي عادة يصنع من قصب السكر، وإذا توفر بديل جيد فلا بأس، وعندما يشحذ هذا القلم فهو يُربي لدى التلميذ موهبة عظيمة في الكتابة[198].

وبعد الحديث عن التعليم بدأ عبد الله الطيب يصف ختان الذكور بوصفه واحداً من الطقوس الذي يقوم به إما المعالج التقليدي أو البصير. وينتهي هذا الجزء بعد الحديث عن الطعام، وفي هذا الجزء معلومات هامة لا غنى عنها لدارس الثقافة السودانية، وقد درج الدارسون في مختلف تخصصاتهم على إهمال دراسة ثقافة الطعام، لكن عبد الله الطيب توقف أمام ثقافة الطعام باعتبارها واحدة من أهم مقومات الثقافة التقليدية. ولم يتوقف عند وصف الإدام والكسرة فحسب، وإنما ذهب إلى حد وصف الأطعمة التي تستعمل للتحلية، وتحدّث عن أنواع من الفواكه التي يتم استخراجها من بعض الأشجار كالنبق والدوم والحُمبُك، كما أنه أشار إلى أنواع أخرى من أنواع التحلية مثل العسل والبلح وذكر أن ثمة حلويات حديثة قد أدخلت في مجتمع الأغنياء مثل الشعيرة والأرز باللبن اللذين دخلا مع الحكم الثنائي. وينتهي هذا الجزء بالحديث عن أسلوب تقديم الطعام والأواني التي يوضع فيها وذكر الدَبكَر والطبق وأشار الكاتب كذلك إلى أسلوب تناول الطعام حيث يأكل الرجال أولاً ثم النساء وأخيراً الأطفال"[199].

أما الجزء الرابع فيُخصّصه عبد الله الطيب للحديث عن الزواج باعتباره واحداً من أهم طقوس العبور، ويلاحظ أن عبد الله الطيب يتحدّث هنا عن السودان الشمالي وليس عن الجماعات النيلية، كما كان يفعل سابقاً، ويقصد بالسودان الشمالي الجزء الذي يتطابق مع مملكة مروي وكوش، إضافة إلى إثيوبيا التي ذكرت في الإنجيل. ويتطرق عبد الله الطيب إلى أن بعض الممارسات ظلت موجودة في ثقافة

198 المرجع السابق ص 60-65.

199 المرجع السابق ص 87-88.

السودان الشمالي منذ حضارة مروي، إلى زمان قريب، ويضرب أمثلة لذلك بالشلوخ على الوجه، وزيارة العروسين إلى النيل في اليوم السابع للزواج.

ويبدأ حديثه عن الزواج بالإشارة إلى الخطوبة والشروط التي يجب توفرها في عريس أو عروس المستقبل، وتتبع التغيرات التي طرأت على هذه الشروط استجابة للتغيير الاجتماعي والاقتصادي الذي لحق بالمجتمع واعتمد في كل هذا على أغاني البنات التي تكشف أشواق البنات وأحلامهن لعريس المستقبل، منذ أن كان أقصى طموح البنت الزواج من ابن عمها الثري وتحول هذا الطموح إلى الأفندي ثم خريج جامعة الخرطوم. وتتبع عبد الله الطيب الطقوس الأخرى التي تلي الخطوبة، مثل سد المال ثم العقد والدخلة ودق الريحة وأخيراً طقوس قطع الرحط والجرتق. وذكر من ضمن الحديث عن الزواج بعض الكلمات التي تعلمها المؤلف من جدته لوالدته بشأن الزواج هي:

بنت العشرين من الحور العين

بنت الثلاثين تسر الناظرين

بنت الأربعين بنات وبنين

بنت الخمسين يشاورها العارفين

بنت الستين عجوز في الغابرين

بت السعين أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[200]

ويختم هذا الجزء الرابع بنماذج لبعض الأغاني التي تصاحب طقوس العرس وخاصة أغاني البنت ومنها:

العريس من جامعةالخرطوم

درس تلاته علوم

العريس من جامعة بغداد

200 المرجع السابق ص 93.

درس تلات لغات[201]

وبهذا وصلنا إلى ختام دراستنا لهذا الكتاب المكوّن من اربعة أجزاء، والذي استخدم فيه عبد الله الطيب منهجاً وصفياً تحليلياً. وبالطبع لا تقف فائدة الدراسة عند هدفها الأساسي الذي أشار إليه عبد الله الطيب، وهو توثيق ثقافات مجتمعات شمال السودان أو المجتمعات التراثية، ولكنها تتجاوز كل هذا بما توفره من رصيد غنى من الجنس الفولكوري الذي يرد بدقة وبذات الأسلوب الذي سمعه عبد الله الطيب من أفواه الرواة. يمكن القول إجمالاً إن الكتاب يحتوى على الكثير من نماذج الجنس الفولكوري المعروفة في وسط السودان، فنجد الإبداع الثقافي بأجناسه المختلفة من شعر وغناء وحكاية شعبية، وكذلك نجد أجناس الثقافة المادية مثل العمارة الملبس والطعام وكما نجد العديد من نماذج الطب الشعبي بأنماطه المتعددة.

201 المرجع السابق ص 101.

الباب الرابع

إسهامات عبد الله الطيب في الأدب العربي

عبر الدروس الإذاعية والتلفزيونية

الفصل الأول: دور التلفزيون والراديو في البناء الثقافي والاجتماعي عند عبد الله الطيب

الفصل الثاني: محاضرات عبد الله الطيب الإذاعية والتلفزيونية

الفصل الثالث: محاضرات عبد الله الطيب في الجامعات والمجامع والنوادي حول قضايا اللغة العربية وفيما عاشته

الفصل الأول

دور التلفزيون والراديو في البناء الثقافي

والاجتماعي عند عبد الله الطيب

الفصل الأول: دور التلفزيون والراديو في البناء الثقافي والاجتماعي عند عبد الله الطيب

بداية:

عاش عبد الله الطيب في النصف الأخير من القرن العشرين حياة خصبة مليئة بالأعمال العلمية الأصيلة، ولفظ أنفاسه الأخيرة في بداية القرن الواحد والعشرين، قرن العلوم والتكنولوجيا، قرن تبادل الثقافات والحضارات، قرن استخدام الوسائل الحديثة من المرئية والمسموعة التي تعد مصدراً هاماً ومؤثراً لتثقيف أي مجتمع بل لخلق وعي ثقافي واجتماعي يوازي حجم الوعي الذي يقدمه الكتب العلمية والتوجيهية والإرشادية. فلهذه الوسائل الحديثة وبالأخص المرئية تأثير كبير في نفوس جماهير المتلقين الذين عندهم تنوع وتباين في رغباتهم واهتمامهم وتوجهاتهم ومستوياتهم الفكرية والعلمية والإجتماعية. وفي الواقع يرتبط هذا التأثير الكبير على الأفراد والمجتمعات بعدد من العوامل الداخلية والخارجية، ولا يلتقط الإنسان، في كثير من الأحيان، ما يصل إليه ولا يتشرب كل ما يقدّم عليه من الآراء والأفكار عبر هذه الوسائل.

هذا وإنه يمكن لنا التفاعل مع فكر عبد الله الطيب وآرائه التربوية والتعلمية في الصفحات التالية من خلال محاضراته العلمية الكثيرة التي تم بثها على التلفزيون السوداني تحت شعارات مختلفة من أمثال "سير وأخبار" و"شذارت من الثقافة" أو

تفسيره للقرآن الكريم كاملاً من الإذاعة السودانية بأم درمان، بلغة مبسطة يسرت فهم مقاصده ومعانيه لعموم أهل السودان، حيث أن عبد الله الطيب اعتبر هذه الوسائل الحديثة ضرورة من ضرورات العصر وأهمية التعليم والتربية والتنوير وأخضعها لتثقيف شعبه خاصة والأمة العربية والإسلامية عامة ومناقشة قضايا اللغة العربية وما إلى ذلك من القضايا الهامة للأدب العربي. فالحق أن عبد الله الطيب كان عنواناً للعبارة الشهيرة التي تقول: "وراء كل تربية عظيمة معلّم متميّز" بسبب اعتقاده القوي وإيمانه الراسخ بمقولة شهيرة حول الاهتمام بالتعليم والتربية "وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة".

وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وتأثيرها على ثقافة المجتمع:

بدأ الإعلام في هذا القرن يشكّل عصب الحياة وقوامها، ولا يمكن لأحد إنكار مدى الانتشار الواسع للبث الإعلامي من الإذاعة والتلفزيون أو حتى المواقع الالكترونية ولا يبقى تأثير الإعلام على حدود خاصة لمدينة أو دولة بل يتجاوز جميع الحدود ويتخطى أبعد المسافات ليصل أثره بشكل واضح إلى جميع أنحاء العالم من المتلقين والمتابعين. ولذا نرى أن وسائل الاعلام والاتصال قد تطورت وتعدّدت في السنوات الأخيرة تطوراً هائلا، وبدأ الجمهور في دول العالم يلجأ إلى هذه الوسائل لاستقاء المعلومات عن القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية أو المواضيع الأخرى، فهي تشكل المصدر الرئيسي للمعلومات والتعلم في عصر العولمة والتقدم التكنولوجي.

كما أن هذه الوسائل الحديثة لديها القدرة الفائقة على مخاطبة القسم الأعظم من التكوين البشرى، لا يمكن مخاطبة ذلك القدر الكبير بالكتب أو الرسائل أو ما إلى ذلك من وسائل التعليم والثثقيف وخلق الوعي الاجتماعي في هذا الوقت الذي قلّ فيه اهتمام الجيل الناشئ بالكتب والمواد الدراسية والوسائل التقليدية مثل الجرائد والمجلات والدوريات والمنشورات للتعليم والثثقيف.

وفيما يتعلق بالإعلام فإنه لغةً يعنى الإفادة والإبلاغ أي الإيصال، يقال: بلغت القوم بلاغا أي أوصلتهم الشيء المطلوب، والبلاغ ما بلغك أي وصلك، وقد جاء في الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية"، أي أوصلوها غيركم وأعلموا الآخرين، كما جاء في حديث آخر: "فليبلغ الشاهد الغائب" أي فليعلم الشاهد الغائب. ويُعرّف الإعلام إصطلاحاً بأنه: "النقل الحر والموضوعي للأخبار والمعلومات والوقائع بصورة صحيحة بإحدى وسائل الإعلام مستهدفاً العقل، و لا يهدف لأ ي غرض سوى الإعلام ذاته لغرض التميز بينه وبين الدعاية"[202].

وهناك من يعرّف الإعلام بأنه "العملية التي يترتب عليها نشر الأخبار والمعلومات الدقيقة التي تركز علي الصدق والصراحة، ومخاطبة عقول الجماهير، وعواطفهم السامية، والارتقاء بهم من خلال تنويرهم، وتثقيفهم لا تخديرهم وخداعهم". بينما

202 تركي مصطفي، "وسائل الإعلام وأثرها في شخصية الغزو"، مجلة الفكر ج 14، وزارة ا لإعلام الكويتية 1984، ص 4.

يُعرّف الباحث الألماني الشهير "اوتوجروت" الإعلام بأنه هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه"[203].

ويُقصد بوسائل الإعلام جميع الأدوات والوسائل التي تنقل إلى الجماهير المتلقية ما يجرى من حولها عن طريقة السمع والبصر[204]. وثمة من يرى أن وسائل الإعلام هي التي تتجسّد في الراديو والتلفزيون والصحف والمجلات والكتب والسينما، والإعلان. وهي من أهم المؤسسات المرجعية التي تؤثر في شخصية وقيم وأفكار وممارسات الشباب على مستوى الأمد البعيد[205].

أما الإذاعة فهي في اللغة تعنى الظهور والإشاعة والانتشار، وجاء في القرآن "وإذا جاء أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به[206]"، والمراد أظهروه وأفشوا به في الناس. ويصف العرب الرجل الذي لا يكتم السر بأنه رجل مذياع، ومنه قول أبي الأسود:

أذاعوا به الناس حتى كأنه
بِعلياء نارٌ أُوقدت بثقوب

أما الإذاعة في الإصطلاح، فيعرّفه الإعلاميون بأنه إحدى وسائل الاتصال الجماهيري التي تعتمد على نقل البرامج و الأخبار والمعلومات الأخرى من محطات الإرسال عبر الموجات الكهرومغناطيسية. وتقوم الفكرة على نقل الأصوات بعد

203 محمد بن عبد الله السلامة، "الإعلام الإسلامي ومتغيرات العصر" الطبعة الأولى، مكتبة التوبة، الرياض، 2003، ص 21.

204 إبراهيم وآخرون، "معجم العلوم الاجتماعية"، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1985، ص 65.

205 إحسان محمد الحسن، "تأثير الغزو الثقافي على سلوك الشباب العربي"، أكاديمية نايف العربية للعلوم الإسلامية، الرياض، 1998. ص 100.

206 القرآن الكريم سورة النساء، رقم الآية: 83.

تحويلها إلى موجات عن طريق محطات الإذاعة حيث يتم الاستماع إلها عن طريق أجهزة الاستقبال.

كما يمكن تعريفها بأنها الانتشار المنظم والمقصود بواسطة الراديو لمواد إخبارية وثقافية وتعليمة وتجارية وغيرها من البرامج، ليلتقطها في وقت واحد المستمعون المنتشرون في شتى أنحاء العالم- فرادى وجماعات- باستخدام أجهزة الاستقبال المناسبة[207].

وتختلف البرامج التي يتم بثها على الإذاعة من بلد إلى آخر، إلا أنها توفّر بشكل التسلية والعلم والمعرفة. وتشكل البرامج الدينية في الإذاعات العربية نسبة كبيرة بين برامجها المختلفة. وهي تتضمن تلاوة القرآن الكريم وتفسيره وتقديم برامج إسلامية متنوعة.

ويُعدّ التلفزيون احد وسائل الاتصال الأكثر تأثيرا على الجمهور بفضل المزايا التي يتميّز بها ويتفرد بها عن باقي وسائل الاتصال التي سبقته في الظهور. ويمتلك التفزيون الواقعية من خلال نقلها لمشاهد حية تجمع بين الصوت والصورة والحركة، وبذلك يستطيع السيطرة على حاستي السمع والبصر . ولهذا السبب يحظى التلفزيون بمصداقية أكبر، ويأتي في مقدمة وسائل الاتصال من حيث التأثير في الجماهير، وكذلك ينقل المعلومات الجديدة داخلية أو خارجية بأسلوب سهل وجذاب، ويوصل رسالته للمُشاهد مع الراحة التامة، فهو لا يكلفه عناء الخروج

207 إبراهيم إمام، "الإعلام الإذاعي والتلفزيوني"، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، 1985م، ص256

من المنزل للمشاهدة أو تلقي المعلومات. فخلاصة القول أن التلفزيون بدأ يسيطر على حياة المجتمعات وقلّب نظام الحياة في العالم بشكل عام وفي المجتمع الإسلامي بشكل خاص.

ونظراً لأهمية هذه الوسائل الحديثة، قام عبد الله الطيب بتوجيه اهتماماته إليها، فلم يستفد من هذه الوسائل الحديثة وأجهزتها فحسب وإنما أخضعها ووظّفها لنشر لغة القرآن وإصلاح أساليب تدريسها وتفسير كتاب الله وتوضيح معانيه، ومناقشة قضايا اللغة العربية من قديمها وحديثها، وتقديم محاضراتها الرائعة حول المشاكل في اللغات والآداب وذكر أسباب الضعف ووسائل العلاج، ومحاولته للتثقيف في السلوكيات والعلاقات.

أهمية وسائل الإعلام في تربية وتثقيف الشباب بمنطور عبد الله الطيب:

لا يخفى على أحد أن الشباب في جميع البلدان أسرع سكان العالم نمواً، وهم لا يمثلون المتسقبل فحسب، بل يمثلون الحاضر أيضا. وازداد التواصل بين شباب اليوم كثيراً عن ذي قبل، نتيجة للدور الحيوي الذي تلعبه وسائل الاعلام بسبب التقدم التكنولوجي المعاصر وثورة المعلومات، وبدأ صوتهم يؤثر على نحو أكبر إذ أنهم يشكلون شريحة سكانية لم تستغل بعد لتحقيق التقدم والتنمية والتغيير. وتشير الدارسات العديدة التي أجرتها المنظمات والهيآت الحكومية وغير الحكومية في مختلف دول العالم بشأن الأنشطة التي يمارسها الشباب، إلى أن مشاهدة

التلفزيلون والاستماع إلى الإذاعات من أكثر الأنشطة ممارسة من قبل شباب اليوم، حتى أن الالتقاء بالأصدقاء والمعارف احتل في المرتبة الثانية.

إلى جانب هذا هناك دراسات تشير إلى انخفاض نسب توجه الشباب إلى المراكز الثقافية والأندية الاجتماعية والرياضية وما إلى ذلك من الأندية المختلفة التي كانت تنمّى موهبة الشباب وقدراتهم. كما أن أجهزة الكمبيوتر والإنترنت وشبكات المعلومات والاتصالات الأخرى أصحبت في متناول أيدي الشباب في سهولة ويسر. فكل هذا يكشف لنا مدى عزوفهم عن المشاركة النشطة في الفصول الدراسية أو الالتحاق بالمراكز الثقافية أو قضاء أوقاتهم في الأندية الاجتماعية والرياضية، إلى جانب ابتعادهم عن النشاطات السياسية والحياة العامة. ونظراً إلى هذه الثورات المعلوماتية تولّد عند عبد الله الطيب شعور أعمق بمسئولية التربية والتعليم بأهمية وضرورة التعايش مع متطلبات العصر وتقديم المعلومات والأفكار والسلوكيات عبر الإذاعة والتلفزيون، ولذا ستلاحظ أنه له برامج إذاعية وتلفازية كثيرة في التاريخ الإسلامي والأدب العربي والتراث الإسلامي وغيرها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه الآن عندما يقوم الشباب بقضاء معظم أوقاتهم مشاهدةً التلفزيون أو استماعاً إلى الراديو أو متصفحاً الانترنت، فكان عبد الله الطيب يرى ألا تقتصر مسئولية وسائل الاعلام على تقديم البرامج الترفيهية فقط، بل تتولى مسئولية أكثر عمقاً مثل توجيه الشباب إلى أسس التفكير السليم، والتعميق في الدراسة وكيفية البحث عن المعلومات، وطرق إجادة اللغة وما إلى

ذلك من البرامج التي تنقل المعارف والعلوم والمفاهيم والقيم وتساهم في تثقيف الشباب وتنويرهم. كما أنه ينبغى أن تسعى وسائل الإعلام إلى إثارة قضايا علمية لإجراء النقاش مع المحاورين المتخصصين في مختلف المجالات، ليتضح الأمر أمام المتلقين من المشاهدين أو السامعين، وتحاول لإنتاج العمل التعليمي السمعي أو البصري بحشد أفضل الكفاءات في المادة التعليمية وتوظيف مختلف الوسائل التعليمية من رسوم وصور. وبهذا لن يكون دورها مقصورا على نطاق ضيّق لنقل الأخبار والآراء السياسية بل يتجاوز نطاقها ويبرز دورها كأداة تعليمية في تأكيد الاتجاهات التربوية الحديثة على التعلم الذاتي[208].

208 مستفاد من مختلف الأخبار والمقالات المعبرة عن أحزان وتأثرات محبي عبد الله الطيب ومعارفيه وتلاميذه التي نشرتها الصحف والمجلات السودانية بعد وفاته بتاريخ 19 يونيو 2003م، وقد غطت أجهزة الأعلام السودانية وفاته تغطية واسعة.

الفصل الثاني

محاضرات عبد الله الطيب الإذاعية والتلفزيونية

الفصل الثاني

محاضرات عبد الله الطيب الإذاعية والتلفزيونية

محاضراته في علوم القرآن:

قام عبد الله الطيب بتوظيف الإذاعة والتلفزيون ووسائل الأعلام الحديثة لتفسير القرآن وخدمة اللغة العربية الفصحى التي هي لسان مشترك بين سائر العرب في مختلف أقاليهم وعلى مختلف عصورهم، على غرار اللغة العامية التي هي شيء إقليمي. ومن بين محاضراته الكثيرة في المواضيع والمجالات المتنوعة، محاضرات قرآنية قدّمها على الإذاعة السوادنية تحت عنوان "محاضرة الأسبوع"، إذ كانت الإذاعة حينها من أقوى الوسائل المؤثرة في مختلف شرائح المجتمع حيث كان الإنسان يقضي العديد من الساعات مستمعاً إلى الإذاعة في كافة الأماكن سواء في المنزل أو كان في المكتب أو في السيارة أو ما إلى ذلك من الأماكن. وبالرغم من أن الاذاعة بدأت تواجه بشكل عام تحديات في الوقت الحاضر بسبب انتشار وسائل اعلام أخرى، مثل الفضائيات ومواقع الانترنت، التي تجتذب قطاعاً واسعاً من الجماهير، ويقبل عليها الجيل الناشئ، إلا أن الإذاعة بالنسبة للكثير لا تزال تبقى وسيلة سهلة لتلقى الأخبار ومتابعة برامج رغبتهم وذلك بدون معاناة الاستقرار في مكان معين. وحيث أن الإذاعة وسيلة لا غنى عنها، خصصت منظمة اليونسكو

يوماً دولياً للإذاعة، وكان أول احتفال به في شهر فبراير 2012 كوسيلة إعلامية، لتحسين التعاون بين هيئات البث الإذاعي على الصعيد الدولي، وتشجيع الشبكات الإذاعية الكبرى وإذاعات المجتمعات المحلية على تعزيز الانتفاع بالمعلومات، وحرية التعبير، والمساواة بين الجنسين. وقد قالت المديرة العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتعليم والتربية والثقافة، إيرينا بوكوفا، في رسالتها بمناسبة الاحتفالية الأولى لليوم العالمي للإذاعة، في 13 فبراير 2012، الذي يصادف ذكرى إطلاق إذاعة الأمم المتحدة عام 1946، "في هذا العالم الذي يتغير بسرعة، علينا أن نستفيد إلى أقصى حد من قدرة الإذاعة على الربط بين الناس والمجتمعات، وتبادل المعارف والمعلومات وتعزيز التفاهم الجنسين"[209].

واستغل عبد الله الطيب قوة الإذعة بصفتها مصدر معلومات قوية لعامة الناس، لإحداث التغيير الاجتماعي والثقافي وتبليغ الدين الإسلامي ونشر تعاليمه وشرائعه بتفيسر كتاب الله العزيز بلغة سهلة قريبة من اللهجة السودانية الدارجة التي يفهممها المستمعون إلى محاضراته من المتعلمين والأميين وليس بلغة فصيحة متينة كان يستخدمها في مؤلفاته أو في محاضراته العلمية على التلفزيون السوداني أو في قاعات المحاضرات الجامعية أو المؤتمرات والندوات الدولية، إذ ما كان يمكن للمستمعين له فهمها والانتفاع بها لو كانت كلها باللغة العربية الفصحى.

209 http://www.un.org/arabic/news//ar/print.asp?newsid=16134

وقد صرف عبد الله الطيب كثيرا من كفاءاته العلمية إلى تفسير القرآن الكريم، مثل اهتمام العلماء الأجلاء عبر مر العصور وكرّ الأجيال، فكان من هؤلاء من جعل التفسير في مؤلّف، ومنهم من درّسه في المدارس والمعاهد وأملاه في المجالس أو قام بشرحه وتوضيح معانيه في المساجد. وعندما وجد عبد الله الطيب فرصة العرض على الإذاعة استثمرها حق الاستثمار لتأدية ما عليه من حق بيان كلام الله تعالى.

وقد فسّر عبد الله الطيب القرآن الكريم كاملاً لما بين عامي 1958-1969، مع تلاوة المقرئ الشيخ صدّيق أحمد حمدون الذي اشتهر في حلقات القرآن مع عبد الله الطيب في هذا البرنامج الذي كان جميع أهل السودان يتحمسّون لإستماعه. وكان عبد الله الطيب يرجع للشيخ حمدون عندما يشتبه عليه أمرٌ في قراءة الدوري[210] أو قراءة حفص للتأكد من الأمر، إذ هو كان شخصاً يُشار إليه بالبنان في ذلك الوقت بسبب علمه الواسع بالقرآن الكريم وبالأخص التلاوة. ومن النوادر والطرائف الشهيرة التي قيلت عن المقرئ صديق أحمد حمدون أنه عندما كان يسأله أحد عن مسافة معينة أو عن مكان معين فكان يرد قائلاً إنها تقع على مسافة قراءة جزء واحد أو نصف جزء أو سورة معينة، وكان أيضا يقول إنى

210 رواية الدوري هي الرواية الأكثر ذيوعاً في السودان والصومال وتشاد ونيجيريا وأواسط إفريقية، مثل انتشار رواية ورش في المغرب والجزائر وموريتانيا ومالي والسنغال وغرب تونس، وشيوع رواية قالون في ليبيا وفي أكثر تونس. أما رواية حفص فهي منتشرة في جميع المشرق وفي الجزيرة ومصر.

وقفت بباب فلان منتظراً أن يخرج إليّ فخرج بعد أن قرأت سورة كذا وكذا. وبهذا نفهم أن كل معايير الشيخ حمدون تُقاس بالقرآن الكريم من سوره وأجزائه.

هذا ويحتوى التفسير الإذاعي لعبد الله الطيب على خمسة آلاف حلقة إذاعية تحت عنوان "دراسات في القرآن الكريم"، ومعظم الحلقات هي ما بين خمس وعشرين إلى خمس وثلاثين دقيقة. وقبل الخوض في التفصيل فإني أحب أن أبيّن معنى التفسير أولاً على سبيل الإيجاز والاختصار.

التفسير في اللغة: الكشف والبيان، ومنه قوله تعالى "ولا يأتونك بمثلٍ إلا جئنك بالحقّ وأحسن تفسيرا[211]"، أي بياناً، ومنه فسر الرجل عن ساعديه أي كشف عنهما[212].

التفسير في الاصطلاح: اختلف العلماء في المراد بالتفسير على تعاريف عدة، يمكن مراجعة كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، لدارسة التعاريف، إلا أن من أبرزها القول بأنه: شرح وبيان للقرآن الكريم.

أسلوب عبد الله الطيب في تفسير القرآن الكريم على الإذاعة:

لم يكن عبد الله الطيب علماً من اعلام الثقافة السودانية فحسب بل كان مفسراً موسوعياً من طراز نادر. وكان حفيا بالقرآن الكريم حفظا وتجويدا وتلاوة لقراءات عدة. وكما ناقشت سابقاً أن جهده العلمي والمعرفي لم يقتصر على مدرجات

211 سورة الفرقان: رقم الآية 33.

212 ابن منظور، "لسان العرب"، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، 1994، ج 5 ص 55.

الجامعات ومنصات المؤتمرات وقاعات الندوات والمنابر الثقافية، بل انداح جهده في كل دوائر المعرفة، وعبر كل الوسائط الاعلامية، إذ كان يدرك جيداً ان الإذاعة هي من اهم وسائل الاتصال الجماهيري في بلده السودان خلال فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين، لذلك حرص على تفسير القرآن الكريم كله في الاذاعة السودانية بأم درمان، وما زالت الاذاعة السودانية تعيد بث هذا البرنامج التفسيري الشهير من حين لآخر.

كانت طريقة عبد الله الطيب في تفسير القرآن على الإذاعة السودانية، تقوم على ثلاثة عناصر رئيسة وهي كالتالي:

الأولى : توضيح الكلمات الصعبة ويسميه "المفرادات".

الثانية : بيان المعنى الإجمالي للمقطع ويسميه (الخلاصة).

الثالثة: شرح المقطع باللهجة السودانية الدارجة على ألسنة السودانين ويسميه (خلاصة بالدارجة).

وقد ذكر السبب في ذلك في مقدمته لتفسير جزء عَمَّ فقال: "هذا وما دعاني إلى إثبات التلخيص بالدارجة إلاَّ أرب التيسير، فقد وجَدت أنَّ درس القرآن قد دَرَسَ دروساً، ولقد شهدت التلعثم يقع في قصار المفصل القصار جداً بين خريجي الجامعات، فهذا أمر يجب تلافيه"[213]. وربّما هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل لتفسيره قبولاً شعبياً واسعاً على المستوين السوداني والعربي. وعند نظرك للبرامج

213 عبد الله الطيب، "تفسير جزء عمّ" الطبعة الأولى، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1970، ص 8.

الإذاعية، ستلاحظ أن البرامج التي تحظى بالقبول الواسع ويُكتب لها النجاح الكبير عند المستعمين ليست إلا قليلة، وكذلك البرامج التي تُرغم المستمعين على انتظار وقت البث ثم الاستماع لما يُقدم فيها والإقبال عليها بآذان صاغية و قلوب واعية فهي قليلة جدا جدا. وكان هذا البرنامج الإذاعي الذي تبثه الإذاعة السوادنية بأم درمان ويحمل اسم "محاضرة الأسبوع" من بين هذا القليل.

ولم يتمكّن الباحث من الحصول على أي كتاب أو مقال يتحدث عن أسلوب عبد الله الطيب في التفسير الإذاعي للقرآن والمزايا التي يتميّز بها تفسيره الإذاعي، سوى مقال نشرته صحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية بعنوان "عبد الله الطيب..... مفسر القرآن في رحاب الرحمان" كتبه تلميذه الخاص والإعلامي الكبير إمام محمد إمام، بعد تلقيه نبأ انتقال عبد الله الطيب إلى عالم الخلود. وقد تحدث كاتب المقال فيه عن حياة المفسّر وجوانبه الأكاديمية وبعض مؤلفاته، وفيه فقرة من ثلاث أسطر عن تفسيره الإذاعي تفيد بأن تفسيره "كان تفسيرا مبسطا وعميقا في آن واحد، مستنبطا للاحكام، وشارحا لمواطن الاعجاز، ومنبها لدرر المعاني ومعربا لغريب الكلمة وعجيب العبارة"[214]. واستمع الباحث، واضعاً هذه الملاحظات في اعتباره إلى كثير من حلقاته الإذاعية وتوصّل إلى أن عبد الله الطيب احترز في تفسيره الإذاعي من المصطلحات العلمية والفقهية التي قد يكون فهمها واستيعابها صعباً وعسيراً على المستمعين، إذ أن أكثر المستمعين له من قليلي العلم ومحدودي

214 إمام محمد إمام، "عبد الله الطيب..... مفسر القرآن في رحاب الرحمان"، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 8971، التاريخ 20 ربيع الثاني 1424 الموافق 21 يونيو 2003.

الثقافة، كما أنه تجنّب الروايات الواهية والأخبار الموضوعة التي تسرّبت في كثير من كتب التفسير، فأفسدت على عامة الناس فهمهم للقرآن الذي أنزله رب العالمين هداية للناس أجمعين، كما أن هذه الآثار الواهية شوشت عليهم عقيدتهم الإسلامية وتصوراتهم الدينية.

كما يبدو للباحث من خلال استماعه إلى محاضراته القرآنية أن عبد الله الطيب اعتمد في تفسيره الإذاعي على تفسير الجلالين لصاحبيه الجليلين: جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي، وكذلك اعتمد على التفسير الشهير "ابن كثير" للحافظ والذي "لم يؤلّف على نمطه مثله"[215] على حد قول السيوطي. ولاحظ الباحث أنه يفسر القرآن بالسنة ويذكر تفاسير الصحابة والتابعين، ويتميّز تفسيره الإذاعي لعدة مميّزات وخصائص منها[216]:

- النطق الصحيح والأسلوب الفريد للإلقاء فيه وضوح تام
- الاهتمام باللغة في استنباط المعاني من الآيات
- الاهتمام بالنحو والاستشهاد بأشعار العرب
- بيان سنن الله في العمران والاجتماع
- إبراز الجانب التربوي في مختلف السور.

215 الدكتور محمد أمين فرشوخ، "موسوعة عباقرة الإسلام في العلم والفكر والأدب والقيادة" دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، 1996، الجزء الأول ص 86.

216 مستنبط من الاستماع إلى فيديوهات عبد الله الطيب لحلقاته الإذاعية المتوفرة على موقع اليوتيوب للفيديوهات.

ويرى هذا الباحث من خلال متابعته لعديد من مواقع التواصل الاجتماعي والمواقع والمنتديات والمدونات الإلكترونية وبالدردشة مع كثير من السودانيين النشطين على الانترنت أن لتفسير عبد الله الطيب الإذاعي أثر بالغ في نفوس المستمعين له، ولهذا السبب يتم إعادة بثه على الإذاعة من حين لآخر.

ويبدو من محاضراته في التفسير أن عبد الله الطيب كثير النهل من منبع العلم الشرعي ومعين الإسلام الصافي الزلال، وهذا الذي جلب إليه حسد الحسّاد الذين وجّهوا انتقادات إلى شعره وأدبه فتجد أنه خاطب مثل هؤلاء الحساد في شعره قائلاً:

شعرى عدوّ الجاهلين ومِقولي
تُطلّ على آفاق عصرك من عل

وقال في تفسيره مفاخراً الحُسّاد الذين ينتقدونه:

وتُفسّر القرآن حتى أصبحت
آياته أُنس التي خلف الخبا

وقد اعتنى عبد الله الطيب بطباعة بعض أجزاء من هذا التفسير، فقامت الدار السودانية للكتب في الخرطوم بإصدار تفسير "جزء عمّ" في سنة 1970م، وتفسير "جزء تبارك" سنة 1989. ومنح جائزة الشهيد الزبير محمد صالح عن تفسيره

للقرآن سنة 1999، بعد عام من إنشاء هذه الجائزة العلمية التي تُمنح سنوياً في مجالات الإبداع والتميز العلمي وتحمل اسم الشهيد الفريق الزبير محمد صالح.

محاضراته في الدروس الحسنية:

ألقى عبد الله الطيب محاضرات عديدة أمام ملك المملكة المغربية الملك الحسن الثاني، وهو من بين العلماء القلائل الذين يُدعون دائماً الى حضور الدروس الحسنية التي تُقام في القصر الملكي وتُبثّ مباشرةً على الهواء، ويحضرها الوزراء وكبار رجال الدولة، وقادة القوات، وسفراء الدول العربية الإسلامية المعتمدين لدى المغرب، وصفوة من العلماء الأجلاء ووجهاء البلد، تحت الرئاسة الفعلية لملك المملكة المغربية. ويتناول العلماء القادمون من جميع بلدان العالم فيها بالدرس والتحليل لآيات من كتاب الله المبين وأحاديث من سنة الرسول الأمين، لإبراز مزايا الإسلام، ومقاصده، وحكمه وأحكامه. ولقد عرفت الدروس الحسنية إشعاعا كبيرا، وساهمت في تخليد الملك الراحل الحسن الثاني في المجال، كما لعبت دورا ملحوظا ومهما فيما يسمى بـ "الدبلوماسية الدينية المغربية""، مما دفع بعض الدول الإسلامية الحديثة في منافسة المغرب في هذا المضمار[217].

217 إدريس ولد القابلة، "طرائف وكواليس الدروس الحسينية في عهد الحسن الثاني"، موقع الرأي المستنير: http://www.arayalmostenir.com/node/1017

صورة من مقطع الدروس الحسنية تظهر حضور كبار الشخصيات في المحاضرة

فأول درس ألقاه عبد الله الطيب أمام الملك المغربي كان في موضوع "القصص القرآني"، ولن ينساه العلماء وأهل الأدب والفكر أول دروسه إذ كان درسا رائعا وفذا ومثيرا للاعجاب. ومما لا يعلمه الكثيرون ان عبداله الطيب دُعي لإلقاء الدرس في هذا الموضوع بالذات وحُدِدَ له موعد إلقائه بعد يومين فقط فقبل الدكتور عبد الله هذا الطلب الذي كان في الحقيقة تحدياً وامتحاناً له وطلب من وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السابق الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري أن يزوّده بتفسير الطبري فقط ولم يطلب مصادر أو مراجع مختصة. فقد اعتمد بعد الله على مخزونه العلمي الثري والمتنوع، فلما ألقى الدرس كان آية من آيات الله[218].

محاضرته بعنوان "القرآن أحسن الحديث":

218 الدكتور عبدالسلام الهراس، "عبد الله الطيب.. بروز في مواقف التحدي"، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 9017، التاريخ 7 جمادي الثاني 1424 الموافق 6 أغسطس 2003.

وألقى عبد الله الطيب، رئيس مجمع اللغة العربية بالخرطوم درساً بين يدي الملك محمد السادس بمناسبة شهر رمضان الأكرم، في موضوع "القرآن أحسن الحديث" انطلاقاً من قوله تعالى: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ، ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ، وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ"[219]. وبدأ عبد الله الطيب الدرس بتلاوة الآية ثم ذكر القراءات المختلفة، وتحدث مفصلا عن سبب النزول للآية ذاكراً أقوال المفسرين واستشهد في تفسيره بأشعار العرب، وكان الدرس رائعا واستمر لمدة أربعين دقيقة تقريباً. وكل من استمع إلى محاضرته اعترف بتبحره في علوم القرآن ولا سيما القراءات وثقافته الواسعة وعلمه الغزير.

صورة من مقطع الدرس فيها اسم المحاضر وموضوع الدرس

وكان الملك الحسن الثاني ملك المغرب يحب عبد الله الطيب حباً شديداً ويكيل له وزنا فكثيرا ما كان يدعوه إلى قصره و مائدته الخاصة و خاصة في شهر رمضان

219 القرآن، سورة الزمر 39 رقم الآية: 23.

المبارك، وكان يحضر محاضراته و يصغي إليه بكل صمت و خضوع، وكان إذا ألقى الدروس الحسنية اعتلى عبد الله كرسياً عالياً و جلس عليه يحاضر، أما الملك فكان يجلس على الأرض مع الحاضرين المشاركين إجلالاً للعلم و العلماء. وكان الشعب المغربي يحب العلامة كحب السودانيين له ويفخر به كفخر أهله به[220].

عبد الله الطيب وملك المغرب الحسن الثاني

وبدأت علاقة عبد الله الطيب بالمغرب بالتحاقه بكلية الآداب والدراسات الإنسانية بجامعة سيدي محمد عبد الله بفاس في عام 1977، وقد أُسند اليه التدريس في كل من قسم الأدب العربي وقسم الأدب الانجليزي، حيث كان يُدَرسُ اللغة العربية والثقافة الاسلامية، ويختار المادة والمقرر والجدول الزمني مع حريته في التغيير ويتصرف وفق ما يراه ملائما له.. ثم أسند اليه التدريس في الدراسات العليا، والاشراف على الرسائل العلمية الجامعية والاشتراك في المناقشات[221].

220 كلمة الدكتور محمد ماء العينين سفير المغرب لدى السودان، في ندوة العلامة عبد الله الطيب، بجامعة الخرطوم. http://www.assayha.net/play.php?catsmktba=10460

221 الدكتور عبدالسلام الهراس، "عبد الله الطيب.. بروز في مواقف التحدي"، المرجع السابق.

الفصل الثالث

محاضرات عبد الله الطيب في الجامعات والمجامع

والنوادي حول قضايا اللغة العربية وفيما عاشته

الفصل الثالث

محاضرات وكلمات عبد الله الطيب في الجامعات والمجامع والنوادي حول قضايا اللغة العربية وفيما عاشته

عبد الله الطيب المحاضر البارع:

لم يكن عبد الله الطيب عالما يدّرس ويؤلف ويقرض الشعر ويفسّر القرآن ويبقى في دائرة محدودة، وإنما كان محاضرا بارعا عليماً بأسرار لغة الضاد والفرنجة وآدابها، فكان يتنقل محاضراً من أقاصي الدنيا إلى أدناها، فحيناً يلقى محاضرة في قاعة جامعية تكتظ ليس فقط بطلاب اللغة والآداب وإنما بطلاب الطب والهندسة والقانون، وحيناً يلقى كلمة في مجمع لغوي أو نادي ثقافي يحضرها كبار العلماء والأدباء والمثقفين. ويوماً هو في محاضرة الأسبوع يفسّر القرآن في لغة سهلة ليستمعها الشعب السوداني ويوماً هو في القصر الملكي يلقى محاضرته في الدروس الحسنية ليستفيد بعلمه الوزراء وكبار رجال الدولة، وقادة القوات، وسفراء الدول العربية الإسلامية وصفوة من العلماء الأجلاء ووجهاء البلد. فمحاضراته الخاصة والعامة تحظى بأهمية كبيرة لأن جلها يدور حول قضايا اللغة العربية، وأريد أذكر بعضا من أهم محاضراتها هنا لأنها في الواقع إضافة علمية كبيرة إلى اللغة العربية مع أنها ليست في صيغة الكتب، لكن محتوياتها تطلب الاستماع إليها بآذان واعية وجعلها آراء ثمينة للنقاش والفكر. وها هنا أذكر أهم محاضراتها، كي يتم تغطية ما

قدّم عبد الله الطيب من آرائه وخبراته حول اللغة والأدب والثقافة والعلوم الأخرى من الصيدلة والطب وما إلى ذلك من الآراء الأدبية والنقدية في محاضراتها الكثيرة.

محاضرة بعنوان "خواطر عن اللغة العربية وتعليمها":

قام عبد الله الطيب بزيارة المملكة العربية السعودية تلبية لدعوة وزير المعارف السعودي الذي طلب منه إلقاء المحاضرات في جامعات المملكة السعودية، بعدما ذاع صيته عربياً بسبب كتابه الموسوعي "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، وكان عبد الله الطيب أيضا أختير عضواً للتحكيم في جائزة الملك فيصل العالمية، التي أنشأتها مؤسسةالملك فيصل الخيرية عام 1977م، وسميت باسم الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، وتمنح هذه الجائزة للعلماء الذين خدموا في مجالات الإسلام والدراسات الإسلامية، والأدب العربي والطب والعلوم. وقد فاز عبد الله الطيب بهذه الجائزة مناصفةً مع الأستاذ عزالدين اسماعيل عبدالغني في مجال الدراسات التي تناولت النقد العربي القديم عند العرب في تاريخه أو كتبه ورجاله أو قضاياه[222].

وزار عبد الله الطيب جامعتي الرياض والملك عبدالعزيز، وتُعتبر الأخير من أكبر جامعات المملكة العربية السعودية، وألقى فيه هذه المحاضرة التي عنوانها "خواطر عن اللغة العربية وتعليمها"[223]. وفي هذه المحاضرة تحدث عبد الله الطيب في

222 المنشور عن جائزة الملك فيصل العالمية، رسالة كلية البنات، العدد 15 ص 16، التاريخ 7 مارس 2000.

223 أحمد الزين حسن، "سيرة البروفيسور عبد الله الطيب"، الرأي، الخرطوم، 24 سبتمبر 2011.

البداية عن انصراف أهل اللغة وابنائها عن العربية في شتى أقطارهم، وحث الأساتذة على أخذ طلبتهم بدرس اللغة العربية درساً يجمع بين معرفةالقواعد النحوية وضروب الأدب والبيان ليتخرج على أيديهم ناطقين بلسان عربي مبين. وركّز أثناء محاضرته في الجامعتين، على ضرورة العمل إلى إعادة اللغة العربية إلى بعض ما كان لها من مكانة في حفظ الثقافة والعزة القومية والمعارف الإسلامية[224].

محاضرات "سير وأخبار" و"شذرات من الثقافة" على تلفزيون السودان:

قدّم عبد الله الطيب مساهمات كبيرة عبر التلفزيون، فله برامج كثيرة في التاريخ الإسلامي والأدب العربي والتراث الإسلامي على التلفزيون. وكان يقدّم محاضراته على التلفزيون بقصد الوصول بالجمهور إلى قناعة معرفية تكون سنداً ذهنيا لدى المتابعين لمحاضراته حول التاريخ الإسلامي والأدب العربي والتراث الإسلامي والآداب والفنون الأخرى على التلفزيون السوداني. وكانت هذه المحاضرات تقع من قبول المتلقى من المشاهدين في درجات تأثيرية متفاوتة من العلم والمعرفة والفهم، ثم الإعجاب بها ثم الحب حباً يخلب اللب ويستميل القلب.

فهدف عبد الله الطيب في هذه المحاضرات التلفزيونية هو تعليم وتثقيف وتربية أبناء شعبه وأبناء الأمة العربية والإسلامية وتزويدهم وتحليهم بالمعلومات، ثم عنايته بمشاكل اللغة وقضاياها من مناهج تعليمها للصغار إلى قضايا التعبير

224 السفير سالم حسان البر، "الراحل عبد الله الطيب واللغة العربية"، صحيفة الخرطوم اليومية، السودان، 3 يوليو 2003.

بالعربية والكتابة بها، ثم اهتمامه بالبلاغة فقد كان يرى أن العرب الآن فقدوا البلاغة دون قصد منهم، واللغة التي يستعملونها العرب لا تدل على عمق في ثقافتهم. وقد أشار إلى هذا الجانب في حوار أجرته معه مجلة "الدوحة" القطرية قائلاً: "حتى الكتاب العرب الذين نعدهم ممتازين لا يستطيع أحدهم أن يصف منظراً رآه بنوع الدقة التي يستطيعها الكاتب الفرنسي أو الإنجليزي.... فالكاتب العربي قاصر من جهة الموسوعة اللغوية وعلى غير ثقة من نفسه من جهة البيان العربي، والعجيب في هذا أنه ليس بالنسبة للعربية فقط ولكن أيضاً بالنسبة للغة الدارجة[225]".

ولو تلاحظ في مؤلفاته ومحاضراته لتجد أنه في جلّ أعماله وكلماته يؤكد على عمق في اللغة العربية والوصول إلى درك ذرء من معرفة البيان والقرآن والعربية، وقد قال في محاضرة ألقاها في مجمع اللغةالعربية بدمشق خلال ندوة عقدت في رحاب المجمع تحت عنوان "اللغة العربية: معالم الحاضر وآفاق المستقبل"، بتاريخ 26 ديسمبر 1997، مشيرا إلى القوة اللغوية إن النبي صلى الله عليه وسلم سمّى الرمى قوةً، والرمي يصل إلى المرمى باختراق الهواء، ثم أدرك أهل القتال من بعد أن من يقوى على البحر يكون حصار البر وغلبته أقوى. ولاحظ أبن خلدون أن المسلمين قد ضعفت قوتهم في البحر بعد زمان المرابطين، وأن الفرنجة قد زادوا قوة في البحر فرجّح ذلك عنده أن أمر قوة المسلمين في الأندلس إلى اضمحلال فزوال. وأمامنا

225 الفاتح إبراهيم أحمد، "لا بد من العودة إلى أصولها"، مجلة الدوحة، قطر، العدد 5، 1981 ص 18.

غلبة بريطانيا بقوة البحر. واستدل بهذا أن يكون لدينا قوة اللغة فحث معشر العرب على الاهتمام بها قائلاً: "فعلينا معشر العرب أن نحيي علم العربية، أن ندرس هجاءها وكتابها ومختارات شعرها وسجعها ونثرها وأن نترحم علوم الافرنج وغيرهم إليها، وأن نعرّب الدرس في جميع مدارسنا وأن نبدأ أمر التعليم كله بالقرآن اتباعاً لقوله تعالى: "الرحمن علم القرآن" وقد كان أسلافنا يفعلون ذلك فيلهمهم القرآن من بركته".[226]

وقد تحدث عبد الله الطيب في هذه المحاضرات عن مواضيع عديدة، كل محاضرة تحتوى 30 دقيقة أو بضعة دقائق زائدة عليها، فيتحدث في حلقة عن كعب بن زهير وفي حلقة عن عمر بن ربيعة، وفي حلقة عن أبي الطيب المتنبي والأشياء التي امتاز بها، فيتحدث عن الحكمة في شعره ويذكر قول المتنبي الشهير، "أنا وأبوتمام حكيمان"، والسبب وراء الإطلاق عليه اسم "المتنبي"، فيرى أن المتنبى كان يرى الأشياء من بعيد فمثلا هو يذكر الحروب الصليبية ويتنبأ بها كأنه حضرها. كما أن حديثه يوماً يدور حول إعجاز القرآن ويوماً حول أصول السودان ويوماً حول الحبشة والحديبية، ويذكر التفاصيل خاصة توجه النبي صلى الله عليه بعد صلح الحديبية إلى خيبر، وكانت خيبر من قرى العرب الكبيرة التي كان فيها اليهود، وكانوا يحسنون زارعة النخل وتدبير المال. ويتطرق في محاضرته إلى الاستشهاد بالشعراء العرب الذين ذكروا خبير وقصة غزو النبي وانتصاره، وصلحه أهلها على أن يزرعوا

226 عبد الله الطيب، "كلمة الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب، ممثل الوفود المشاركة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 73، الجزء 3 ص 448.

زراعتها وأن يعطوا جزءا من ثمارها للمسلمين، وعلى حد قوله في المحاضرة، من هنا جاء نوع المعاملة التي يسمى في الفقة المخابرة. وكثيراً ما يختتم عبد الله الطيب محاضرته بالشعر فمثلا في برامج سير وأخبار، عند حديثه عن صلح الحديبية، أنشد شعر الأخنس بن شهاب الثعالبي[227]:

لإبنة حطان بن عوف منازل
كما رقش العنوان في الرق كاتب
ظلت بها أعرى وأشعر سخنة
كما اعتاد محموما بخيبر صالب

محاضرته في نادى الجسرة بدولة قطر:

وجّه أقدم النوادي الثقافية بدولة قطر "نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي"، دعوة إلى عبد الله الطيب ليحلّ ضيفاً عليه ويلقى محاضرة حول عنوان "محنة المثقفين العرب"، فلبّى هذه الدعوة وألقى محاضرة علمية رائعة قل نظيرها في تاريخ الجسرة. وسأناقش تفاصيل المحاضرة لأهميتها الأدبية والثقافية، ولكن قبل ذلك يجدر بنا أن نتحدث بشكل وجيز عن خلفية لنادي الجسرة وأنشطته الثقافية والاجتماعية، وما له من دور في إحياء الثقافة الإنسانية والعربية عن طريق استضافته كثير من المفكرين والأدباء.

227 فيديوهات محاضرات عبد الله الطيب "سير وأخبار" المتوفرة على موقع "يوتيوب" https://www.youtube.com/watch?v=X-auC8H5wA0 وكذلك
https://www.youtube.com/watch?v=qypZDMOgTaE

خلفية عن "نادي الجسرة" وأنشطته:

تأسس النادي الثقافي في عام 1960، وتم تسميته باسم "نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي"، واسم "الجسرة" هو اسم حي من الأحياء الأثرية القديمة في العاصمة القطرية الدوحة، ويوجد فيه كثير من المعالم الأثرية والمعمارية. وقد مرّ النادي بمجموعة من التحولات خلال العقد الأول لتأسيسه، وأخذ علي عاتقه عبء تقديم الثقافة العربية والإنسانية والحضارة العلمية علي المستويين الإقليمي والدولي، حيث أن كلمة "الجسرة" يعنى بها المعبر أو المكان المرتفع عن الأرض، والجسر هو القنطرة ونحوها مما يعبر عليه[228]، ومن ثم يتم المحاولة بهذا الاسم العبور "بالجسرة الثقافية" من الحي القطري الأثري إلى جميع الأحياء الثقافية من خلال جهود وإبداعات ودراسات كل المثقفين العرب[229] .

وضمن أنشطته في مجال الثقافة والحضارة العلمية، استضاف نادي الجسرة عدداً كبيراً من المفكرين والعلماء والأدباء والكتاب والفنانين الذين برزوا في مجالاتهم ونالوا صيتا كبيرا. ويقف عبد الله الطيب في صفوف هذه الشخصيات البارزة التي تضم عباقرة من أمثال زكي نجيب محمود، ويوسف إدريس، ولويس عوض وأحمد هيكل، وفؤاد زكريا، وأسامة الباز، وأنطوان زحلان، وسعد الدين إبراهيم، ومحمد سيد طنطاوي وعبداللطيف الطيب، وحمد عبدالعزيز الكواري، وجورج عطية، ومصطفي الفقي، وثروت عكاشة ومحمد

228 راجع قاموس المعاني

229 الملحق الثقافي الأدبي الصادر أسبوعياً عن صحيفة "الراية"القطرية، الدوحة، العدد 649، 1987 ص 7.

عمارة، ومحمود رياض، وجمال الغيطاني، وأحمد بهجت، والأخضر الإبراهيمي، وأحمد عبدالمعطي حجازي، وعبدالوهاب البياتي، والطيب صالح، وفهمي هويدي، ومحمد الفيتوري، وعبد الله البردوني، ومحمود عباس أبو مازن، ونزار قباني. ويسعي النادي إلي تفعيل الثقافة العربية داخلياً وخارجياً[230].

محنة المثقفين العرب:

نظّم نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي القطري، محاضرة بعنوان "محنة المثقفين العرب" في الدوحة عاصمة دولة قطر، قدّمها عبد الله الطيب، العضو العامل بجامعة اللغة العربية بالقاهرة حينها، وبدأ الحفل بحديث مدير الجلسة الذي أطال الكلام عن التعريف بالمحاضر ووصفه بالأصمعى والمفضل الضبي في الجانب الموسوعي من الثقافة وكالآمدي وابن حازم في التذوق النقدي وكأبي تمام والبحترى والمتنبي في المذاق الشعري، كما ذكر أهمية عنوان المحاضرة قائلاً "نحن نعيش اليوم في دوران الفكري وفي نوع من التذبذب لا نعرف هل المثقف العربي يسير في الطريق الصحيح أو هل استوعبت الثقافة ..... أم أنه وقف عن الإبداع والخلق نتيجة الظروف والمتغيرات[231]".

230 المرجع السابق، ص 7.

231 فيديو الدكتور عبد الله الطيب "ندوة بمحنة المثقفين العرب" الجزء الأول، موقع يوتيوب، https://www.youtube.com/watch?v=psRIRQFRiWM

صورة من مقطع الفيديو للمحاضرة في نادي الجسرة

وشهدت المحاضرة التي تُعتبر من أروع المحاضرات وأهمها وأشملها في تاريخ النادي، حضورا كثيفاً من رجال العلم والأدب والدبلوماسيين والإعلاميين والمثقفين والفنانين والسياسين بالإضافة إلى سعادة الشيخ محمد بن عيسى رئيس الهيئة العامة للشباب والرياضة حينها، وعدد كبير من ممثلي نادي الجسرة وعلى رأسهم رئيس مجلس ادارته.

صورة أخذت من مقطع الفيديو للمحاضرة، تظهر نخبة من المفكرين والمثقفين المشاركين في الندوة

أهم نقاط المحاضرة:

سأتحدث بالتفصيل عن هذه المحاضرة العلمية الرائعة حيث أنها تظهر قدرة عبد الله الطيب على استيعاب الكثير من المواضيع الدقيقة، وعلمه الموسوعي اللغوي، كما أن المحاضرة تدعو العرب إلى التفكير في أمر اللغة العربية بالسؤال هل نحن نحترم اللغة وهل نحن لنا ثقة فيها واكراما لها؟ وتتميّز هذه المحاضرة بأسلوبها الأدبي ولغتها القوية السليمة السهلة. وقد ألقى عبد الله الطيب هذه المحاضرة اعتماداً على ذاكرته القوية المبهرة، فستلاحظ عند استماعك إلى محاضرته هذه المتوفرة على اليوتيوب للفيديوهات أنه يتحدث عن ظهر القلب دون أي ورقة مكتوبة أو بأي مساعدة تقنيةأخرى.

بدأ عبد الله الطيب هذه المحاضرة بالحديث عن زياراته السابقة للدولة القطرية وفصّل الكلام عنها قائلاً: فأوّل مرة زرت فيها الدوحة وقطر كان ذلك فى سنة 1973 كنت فى وفد جاء هذه البلاد وزار بلاداً عربية اخرى بغرض انشاء معهد للغة العربية لغير الناطقين بها تشترك فيه بلاد العرب جميعاً فى الخرطوم وكان يرأس ذلك الوفد السيد الوزير سابقاً الدكتور محمد خير وكان احد تلاميذى ببخت الرضا فى زمانه السابق فكان فى صحبته لى شرف عظيم، وفى تلك الزيارة تشرفنا بلقاء السيد الامير مع سادة من رؤساء هذا البلد الكريم وأُكرم وفدنا اكراماُ عظيما وأُكرمنا نحن افرادا فى ذلك الوقت، وكان السيد السفير انذاك الاستاذ شندى رحمة الله عليه، والمرة الثانية التى زرت فيها هذه البلد الكريم كان

ذلك سنة 1981، وكان بدعوة من الجالية السودانية الكريمة، وارى منهم ملأً حضورا كريما هاهنا، وقد استدعونا وأكرمونا، وقد تلقتنا جامعة قطر أحسن تلقّ ومنتدياتها، وكان معنا من إخواننا السودانيين الكرام فى ذلك اللقاء الكريم الأستاذ الشاعر الكبير محمد المهدى المجذوب، أذكره الآن وهو عند مولاه رحمة الله عليه، وكان معنا سواه من الاخوان الأدباء المحسنين.

وقد جئت هذه المرة بدعوة من نادى الجسرة وهو نادى حدب على الأدب، وهذه الدعوة لم تاتينى مفأجاة، وان جاءتنى مفاجأة، وذلك ان أحد أعضاء الجسرة لقيينى، منذ عامين وذكر لى أنه سيدعونى، فلمّا تلقيت الدعوة منه علمت أن ذلك منهم وفاء زيادة على ذلك عجبت على العنوان الذى اقترحوه على وهو "محنة المثقفيين العرب" اذا لا تكون محنة وفى منتدات العرب كمنتداهم يدعو أدباءهم ويكرمهم ويتلقاهم، فجزاهم الله عن ذلك خيراُ كثيرا، وما أقول هذا ثناءاً ورياء، وإنّما أقوله عن صدق وعن تبليغ[232].

التحليل اللغوي لعنوان المحاضرة:

قام عبد الله الطيب بالتحليل اللغوي كلمةً كلمةً لعنوان الندوة الذي كان معجباً به، فقال: "قد نظرت فى هذا العنوان "محنتة المثقفيين العرب" وللمحنة معانٍ كثيرة منها الامتحان، وأفضّل ان اخذها بمعنى الامتحان، لانى لو سلّمت ان الأدباء

232 المرجع السابق، https://www.youtube.com/watch?v=psRIRQFRiWM

فى محنة بطل الكلام بالكلية فهم فى إمتحان وآمل ان يجتازوا الامتحان، والإمتحان محنة، لأنه يضع صاحبه فى قلق عظيم ومن هذه الجهة لعلى ألتقى معهم عند بعض العنوان كما أرادوه، والمثقف معروف هو الذى بلغ غاية الذوق والتهذيب الأدبي وما الى ذلك، وهؤلاء كما نزعم هم المتعلّمون ولكن نقصد بهذه الكلمة المتعلمون تعليماً حديثا، والمتعلمون تعليم المدارس الحديثة بما فيها من علوم عصرية ومن ضروب المعارف التى تتصل بحياة هذا العصر وأكثر ما يطلق هذا اللقب على من أتمّ التعليم الجامعى، أو أتمّ مرحلة تصل به للتعليم الجامعى أو زاد على ذالك أو قارب، وقد يتثقّف المرء من داره بهذه الثقافة، فكل هؤلاء يسمون مثقفين.

وبعد ذلك قام عبد الله الطيب بشرح الكلمة الثالثة وهى محنة المثقفين العرب قائلاً "آخذ العرب هاهنا بمعنى الذين يتكلمون العربية، ويحبونها ويقبلون عليها ويؤمنون بها، وقد يؤخذ من معنى العرب انه مراد بذلك من ينتمى الى البلاد العربية والبلاد العربية لا حد لها، وهذا حد ينبغى ان اقرره هاهنا لانى سافرت الى اواسط آسيا فى بلاد اوزبكستان ورايت ثمة عرباً ولدتهم امهاتهم المتكلمات بالعربية يتكلمون العربية، وقيل ان هؤلاء العرب جاؤؤا من الشام فى عهد تيمور لينك وقيل جاؤؤا قبل ذلك وقيل جاؤؤوا مع قتيبه بن مسلم، والمهم انه يوجد عرب فيما بين خيوا وبخارا يتكلمون العربية فيما وراء النهر وفيما وراء بلاد ايران، ويوجد عرب يتكلمون العربية فى أعماق القطر المسمى بنيجيريا يبلغون مليون

نسمة يتحدثون العربية لا ريب فى ذلك، ويوجد وراءهم عرب يتحدثون العربية لا ريب فى ذلك، فبلاد العربية لا حد لها وأقصد البلاد التى ينطق أهلها العربية وقد تعلموها من أمهاتهم وآباءهم على أن العربية التى ينطقها هؤلاء جميعاً متعلميها من آباءهم وأمهاتهم ليست هى العربية الفصيحة وإنما هى عربية دارجة، فهذا المعنى يعطى العروبة معنى واسعا، ولذلك ينبغى أن نحصره فى ولاء للعربية وللعرب، وبهذه المناسبة ألاحظ ان كثيرا من الآداب التى تكتب بالعربية، فى بلاد بعيدة عن الإقليم الأوسط العربي، لا تؤخذ فى الاعتبار وهذا خطا[233]".

ويتضح من هذا التحليل اللغوي أسلوبه الفريد في المحاضرة لتوضيح الأشياء بأدق تفاصيلها، إلى جانب مقدرته اللغوية واختيار الكلمات الرصينة حتى في لغة الخطابة والمحاضرة.

الهدف من الموضوع:

وبعد ما انتهى السيد المحاضر عبد الله الطيب من التحليل اللغوي والتعريف الشامل، أقدم على الموضوع بالسؤال عن مفتاح الموضوع وأهم غرضه والهدف منه عند الحديث عن المثقفين العرب وامتحانهم أو محنتهم أو ما يتعلق بكينونتهم عامة، فيمكن لنا أن تلاحظ روعة الأسلوب وعمق المعاني في كلماته التي أجاب عن هذه الأسئلة، فيقول: "أول شى عندى هو اللغة العربية، هذه اللغة العربية أوّل

233 https://www.youtube.com/watch?v=psRIRQFRiWM

امتحان لنا فيها هو هل نحن نحترمها؟ هل نحن لنا ثقة فيها واكراما لها؟ ان كان ذلك فنحن بخير وان عدلنا عن ذلك فقد سُلك بنا طريق ثغرة وهلاك..... اللغة العربية كانت محترمة محبوبة فى جاهليتها، نعلم ذلك من الاخبار التى وصلتنا من أنه كانوا يقيمون لها الأسواق وينصبون لها الحكام ويتبارون فيها عند الحكام، بل كانوا يدرسونها درسا حتى أنهم كانوا يعرفون أوزانها، بل لعل منهم من بدا نحوها، وفى أخبار القراء ما يشهد بأن ابا الأسود الدولى كان يسأل عن مسائل فى العربية قبل أن يوجه الى تاليف النحو، فالعرب كانوا يكبرون لغتهم ويحترمونها فى جاهليتها واستمر هذا الاحترام لما أنعم الله عليهم بنعمة الاسلام والقران، وأمر ذلك معروف.

اللغة العربية لغة العالم المتحضر و المتمدن:

وتطرق عبد الله الطيب خلال هذه المحاضرة الطويلة إلى ذكر أهمية اللغة العربية ووصفها بأنها اللغة التي استوعبت علم الأمم وأصبحت لغة العالم المتحضر، فلتقرأ كلمات المحاضرة فيما يلي:

ان اللغة العربية قد استوعبت علم الأمم وصارت هى لغة العالم أو لغة العالم المتحضّر، أو لغة العالم المتمدن واحترمها العالم، وأول من أقبل على احترامها وإكبارها هم الذين اعتنقوا الاسلام، أو نزلوا تحت ظله، وتأثروا بها تأثرا عظيما، ويخبرنا أبو حاتم الرازى فى كتاب الزينة، أن الفرس لم تكن لهم أوزان متقنة ولا أسجاع، وأنهم أخذوا ذلك عن العربية، وعن الفرس أخذ الاتراك وأمم اخرى،

والذى حدث فى اللغة الفارسية فيه درسٌ لنا جميع طلاب الأدب ذلك أن اللغة الفارسية اقتبست من العربية، ثم جعلت تنهض حتى صارت لغة ناضجة مكتملة ولكنها فيما نُخبّر عنها حتى حين بلغت هذا الشأن كانت تستعير وتأخذ من العربية وذكر بن الأثير أن الفرس يؤلفون القصص الطوال وأن "شاهناما" نزلت عندهم فى البلاغة منزلة عظيمة وأن العرب ليس لهم شيء من ذلك، وهذا مما يستدرك عن ابن الأثير ذلك بأن اللغة الفارسية كانت تُعدّ نفسها لغة الدنيا والثقافة، وتُعدّ العربية لغة الدين ولغة القداسة واستمر هذا الأمر بين كثير من المسلمين فى أقطار آسيا غير العرب، اللغة العربية كانت فى المنزلة القدسية ثم فى منازل الثقافة اللغات الاخرى، وكانت تُنظر إلى العربية كما تُنظر إلى الفارسية، مثل هذا الأمر بعينه حدث فى اللغة العربية نفسها بالنسبة إلى فصيحها وعاميتها، اللغة الفصيحة صارت لغة التأليف الدينى، ولغة التأليف ذى القداسة حتى أنه تقريبا منذ القرن الثامن الهجرى إلى الثانى عشر هجرى كان أكثر التأليف فى الشعر باللغة الفصييحة فى دائرة المديح النبوى، وكان أكثر العلماء هم علماء الفقه والحديث وعلماء اصول الدين وما أشبه ذلك، فى نفس الوقت كانت فى العربية تأليف عامى وشبه عامى، الف ليلة وليلة، التى يُلهج بها وتُعد من مفاخر العربية أسلوبها فى الواقع وسطٌ بين العربية والفصيحة.

وقد ألفت أقاصيصص وأخبار كثيرة بأسلوب مشابهٍ لعامية أو مقارب لها أو هو منها حتماً، ومن ذلك أساليب سيرة عنترة وأساليب السير المختلفة التى تجرى

مجرى الأساطير فى العاميات العربية كانت لغات مكرمة مقبلا عليها ومؤلفا فيها حتى أن السيرة النبوية والمدائح نظمت بالعامية ولكنها كانت فى مرتبة دون قداسة الفصحى التى كانت اللغة المقدسة الرفيعة لأنها لغة القران ولغة الحديث ومنها يؤخذ الدين. هذا بين الأمم الإسلامية عربها وغيره[234].

إقبال أوربا على اللغة العربية وقضية الوحدة في الشعر العربي:

وهذا قد تحدث عبد الله الطيب في محاضرته عن إقبال أوربا على اللغة العربية إقبالا شديدا، وترجمة القرآن في اللغة اللاتنيية في القرن الحادي عشر الميلادي، إلى جانب ذكره كثيرا من الأشياء التي لا يعرفها أهل العلم والمتعمقون في الدراسة، وكذلك حديثه عن الشعر العربي ووحدة القصيدة، ولذا أفضل إيراد هذه الأشياء على لسان عبد الله الطيب، فتلاحظ هذه الكلمات الحلوة منه، إذ هو يقول: أوربا أقبلت على اللغة العربية إقبال إعجاب واقبال تلقى، ترُجم القران الى اللغة اللاتينية فى القرن الحادى عشر الميلادى، وتُرجم بعد ذلك عدة مرات وقد أقبل الأوربيون إقبال عزم شديد على درس العربية حتى إنه لم يخل فارس ضخم من معرفة العربية، ونجد الآن ان قليلا من يذكر أن العرب قد أعطوا أوربا شئيا من علم الجبر، شئيا من الأرقام، شئيا من الكيماء، أشياء فى الفلسفة، أشياء فى الطب، ويسكت عن دورهم فى الأدب، والدور الذى اعطوه أوربا فى لغاتها دور

234 المرجع السابق، https://www.youtube.com/watch?v=psRIRQFRiWM

عظيم جدا من شواهدة مثلا، وهذا امر نحن نعرف خبره من الكتاب الذين كتبوا عن علم، كتب الفارابى فى الكتاب الموسيقى ما خلاصته ان القافية شى انفرد به العرب، كان يعرف اليونانيه وقال لا يعرفه فى اليونانية ولا غيرها ولا فى غيرها من الامم التى عاصرناها أو رايناها، وهذا الامر اكده كتاب بعد ذلك ومع هذا خصلت القافية لاشعار أوربا، وفى القرن الثامن عشر الميلادى كان كل الشعر فى فرنسا وبريطانيا من قافية البيت الأول والبيت الثانى وهذا مأخوذ من المذدوجات العربية، وأخذت أشياء كثيرة من قبل[235].

وقد أطال عبد الله الطيب الكلام عن القافية وأوزانها، وجهل العرب عنها واعتقادهم بأن الإفرنج اخترعوها، ثم تحدث عن الجناس واستحداث الوتريات والشفعيات وما إلى ذلك في المدائح النبوية. وحاول إقناع المشاركين على أن الأساليب العربية هي التي أثرت في الافرنج، وليس بالعكس واستشهد بذكر قول الصفدي أن المقامات العربية للحريرى كانت تُقرا ويُلعب بها امام احد ملوك الافرنج على زمانه، وبعد الكلام المفصل عن التأثير العربي تحدث عن الفترات الصليبية الصارخة التي حرقت فيها الكتب تحريقا، وحرقت مكتبة قرطبة، وحرقت سواء ذلك من الكتب، ولعل التحريق الذى حدث فى أوربا كان أكثر من التخريب الذى خدث على ايدى التتار والمغول فى بغداد، هذا ما كان من امر العربية فى أوربا.

235 مستفاد من الجزء الثاني من فيديو المحاضرة لعبد الله الطيب https://www.youtube.com/watch?v=nxsNzP3oEz8

وقد تطرق إلى مناقشة كثير من المواضيع ذات الصلة باللغة العربية إلى أن بدأ يتحدث عن العامية و عن الفصيحة وعن محافظة اللغة الفصيحة، وقال العربية الفصيحة هى لغة حضارة العرب، ثقافة العرب، علم العرب، وهى لغة القران والحديث، وهى لغة السلام، ومن اجل ذلك فالمحافظة عليها واجبة لأنها محافظة على الاصل وعلى التراث، ثم لعل لها فايدة فى هذا العصر، اننا ان زودناها استطعنا أن نتفاهم ونتعامل من اقصى بلاد العربية غربا الى اقصاها شرقا، لأنه لا ينكر أن اللغات العامية مختلفات اختلافات كبيرة بحيث احيانا من يسافر من بلد عربى الى بلد آخر قد لا يفهم كلام البلد الآخر بالكلية، ويحتاج على أن يتدرب عليه وأن تمرن اذنية عليه، فمن اجل هذا ينبغى أن يعتقد ضرورة المحافظة على العربية الفصيحة. ثم إن عبد الله الطيب لم يدعو إلى ترك العامية تماماً إذ هو يعتقد أن وجود العامية يغذي العنصر الفصيح فيقول إنه فى كل بلد تتغذى اللغة الفصيحة من اختها العامية الموجودة فى ذلك البلد، وهذا الامر قديم فى العربية والدليل عليه أن سيبويه لم يأخذ العربية من كل عربي وانما أخذها ممن يعقل وممن هو من أهل الفصاحة، وهذا منصوص عليه فى الكتاب.

وأكد عبد الله الطيب في محاضرة "محنة المثقفين العرب" على الرجوع إلى اللغة العربية وعلومها والإتعاب في تحصيل ذلك، وحذر من الأخذ العامى المقلد عن كل شى يخرج من أوربا وقال إن شعراءونا يريدون أن يكونوا خواجات بالشعر وانا اعذرهم فى امر واحد هو أن الامة لما كانت امى كان الشعر ينشد ويتغنى به، وكان

الناس ينشدون المدايح النبوية، فيعلمون مثلا أن نغمة الوافر هكذا وأن نغمة الطويل هكذا، وأن نغمة البسيط كهذا.. لا يحتاجون الى درس العروض، والنغمة تعلّموهم الوزن ولذلك تجد شوقى وتجد البارودى وتجد حافظ وتجد غيرهم تاثروا بالمذاهب ونظموا مذاهب. ونظموا هكذا لأنهم استوعبوا الرنة، هذه الرنة ذهب الآن، والرنة التى تسمع هى رنة الجاز، ولا يوجد فى العربية الفصيحة شىء من ذلك ولا فى العامية. واختتم عبد الله الطيب المحاضرة بالحث على الثقة بالنفس والشعور بالعزة والحفاظ على التراث، قائلا اذا حافظ الانسان على تراثة كان له فى ذلك الخلاص. وبعد المحاضرة كانت الجلسة مفتوحة للأسئلة من قبل المشاركين.

وهذا وإن لعبد الله الطيب محاضرات أخرى كثيرة في مجمع اللغة العربية بالخرطوم، بدأ بإلقائها في المجمع منذ 1990، واستمر إلى أن سقط عليلاً في عام 2000. وبالإضافة إلى محاضراته في قضايا اللغة العربية والدراسات الإسلامية، له محاضرات قيمة في مواضيع أخرى مثلاً "الصيدلة عند العرب" والتي ألقاها في كلية الصيدلة بجامعة الخرطوم في التسعينات، و"علم الإدارة العامة" في جامعة أم درمان الإسلامية وما إلى ذلك من المحاضرات، ولكن لا نريد الخوض في تفاصيلها لأنها لا تهمنا في هذا البحث.

وهنا أختم هذا الفصل وأيضا البحث بالقول، بأني إلى حدٍ كبير حاولت تغطية جميع جوانب إسهامات عبد الله الطيب في الدراسات العربية، بدءا من الحديث

الوجيز حول حياته ومرورا بدراسة دواوينه الشعرية دراسة مفصلة، ووصولا إلى إسهاماته في مجالات الدراسات العربية والإسلامية عبر الكتب حيث سال مداد عبد الله الطيب فأضاف للمكتبة العربية أهم المراجع ومصادر المعرفة ومن أبرزها كتابه الذي كتب مقدمته عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" وغيرها من كتبه الكثيرة الوافرة العلم العالية القدر. ثم الحديث عن محاضراته عبر الإذاعة والتلفاز وفي المجامع والجامعات. الله اجعل هذا البحث نواة للبحوث المستقبلية، وما التوفيق إلا بالله.

خاتمة البحث

بعد طيّ هذه الدراسة البحثية التي تدور حول عبد الله الطيب وإسهاماته في الأدب العربي والخوض في تفاصيل كتبه مع ما تحتوي من المواضيع والآراء النقدية، وما تحمل دوواينه الشعرية في طياتها من المزايا والخصائص، أذكر بعض ما جاء فيه. فقد حاولتُ في هذه الدراسة تغطية جميع ما قدّمها عبد الله الطيب في كتبه ومحاضراته، في أربعة أبواب تختلف في عدد فصولها، وتسبقها مقدمة وتليها خاتمة. فجاءت المقدمة متضمنةً لجميع ما قدّمت به في الدراسة، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره والمنهج المتّبع في الدراسة والمصادر التي اعتمدتُ عليها لإعداد هذا البحث.

وقد بدأ الباب الأول بذكر حياة عبد الله الطيب والحديث عن مولده ونشأته وتعليمه وتثقيفه وشخصيته وأخلاقه، ثم مجالات عمله في السودان وخارجه، ومرضه ووفاته وانطباعات العلماء وما إلى ذلك من جوانب تخصه. أما الباب الثاني، فسعيت فيه على بيان إسهامات عبد الله الطيب في الشعر العربي، ملقياً الضوء على الشعر والشعراء في السودان، ثم بعقد فصل مستقل للحديث عن دوواينه الشعرية، وفي الفصل الأخير لهذا الباب ناقشتُ الخصائص الجمالية في شعره.

ثم يليه الباب الثالث حيث تناولت فيه إسهامات عبد الله الطيب في النقد والأدب والبحث، ففي الفصل الأول من الباب قمت بالحديث عن إسهاماته النقدية فذكرت أولاً كتابه الأبرز الذي كتب مقدمته الدكتور طه حسين وعنوانه "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" ثم توجهت إلى الدراسة في كتابه "حتّام نحن مع الفتنة باليوت" والذي أثار ضجة كبيرة في الأوساط العلمية والأدبية لتوجيهه انتقادات شديدة إلى شعراء الحداثة ودعاة الشعر الحرّ محذّرين إياهم بعدم التأثر

بفتنة ت.س. إليوت. أما الفصل الثاني من الباب فيحتوى على قسمين، وتطرّق الباحث في القسم الأول بدراسة مسرحيات عبد الله الطيب الشعرية مثل "زواج السمر" و"نكبة البرامكة" و"الغرام المكنون" والحديث عما فيها من المحتويات والقيمة الأدبية، ولاحقاً في القسم الثاني حاول الباحث استيعاب مؤلفاته المتنوعة في المواضيع المختلفة، مثل "المديح النبوي" و"الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان" و"الطبيعة عند المتنبي" و"مع أبي الطيب"، مؤلفاته السردية مثل "الأحاجي السودانية" و"من نافذة القطار" ما إلى ذلك. ويلقي الفصل الثالث الضوء على كتابه الهام "العادات المتغيرة في السودان" الذي في الأصل مقالات بحثية نشرها عبد الله الطيب في المجلة السوادنية البحثية "السودان في رسائل ومدونات" بعد القيام بعمل ميداني جمع فيه الكثير من الروايات والإفادات من أفواه الرواة لتوثيق أنماط الثقافة المحلية.

هذا وأعقبتُ ذلك الباب الرابع فتحدّثتُ فيه عن الدروس الإذاعية والتلفزيونية لعبد الله الطيب، ويبدأ الباب بخلفية وجيزة عن دور التلفزيون والراديو في البناء الثقافي والاجتماعي عند عبد الله الطيب، ثم الحديث عن أهمية وسائل الإعلام في تربية وتثقيف الشباب بمنطور عبد الله الطيب، ثم فصّل الباحث كلامه حول محاضرات عبد الله الطيب القرآنية لينتقل منه إلى ذكر التفاصيل لأهم محاضراته الأخرى مثل محاضرته في العاصمة القطرية الدوحة بعنوان "محنة المثقفين العرب" وكذلك محاضرته في قصر الملك المغربي الحسن الثاني بعنوان "القرآن أحسن الحديث".

هذا وفي ضوء دراستي لهذا الموضوع قد توصل الباحث إلى نتائج يمكن إجمالها في أن عبد الله الطيب من الأدباء الذين اهتموا بقضايا اللغة العربية وحاولوا الاحتفاظ بأصالتها كتابةً وتحدثاً، فقد تلاحظ أن محاضراته التلفزيونية تتميز بلغة عبد الله الطيب الأصيلة والعذبة. كما أن الغوص في بحر مؤلفاته يكشف لنا تأثره

بالشعر العربي القديم خاصة في كتابه "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، وقد أشار إليه الدكتور طه حسين في مقدمة هذا الكتاب، والاستماع إلى محاضراته يخبرنا عن إعجابه بالشعراء القدماء من العرب فكان يذكرهم في المحاضرة باسمائهم الأولى إلى الجد الثالث والرابع. كما أن التنوع في المواضيع التي كتب فيها يظهر لنا أن عبد الله الطيب يأخذ من كل نبع وبحر من الفن والعلم. فحيناً هو يتحدث في محاضراته حول التفسير لكتاب الله القرآن، وحيناً آخر يكتب في موسيقا الشعر العربي منذ الجاهلية إلى العصر الحديث، وحيناً هو يحاضر التلفزين السوداني حول "السير والأخبار" وحينا آخر يجر قلمه في الكتابة عن المتنبى وشخصيته والطبيعة عنده. وقد توصل الباحث إلى أن ما قدّمه عبد الله الطيب من كتب علمية ومقالات بحثية ومحاضرات نقدية وتفسيرية تخدم الأدب العربي والمجتمع العربي والإسلامي معاً، وتقدّم المعين العذب الصافي لمن يطمحون إلى معرفة أسرار اللغة العربية ومقوماتها، وتنم عن عقل مفكر ومربي عظيم حاول تربية وتثقيف مجتمعه العربي والإسلامي.

أما التوصيات لدراستي فتتمثّل في أني أرى ضرورة الطلب من أصدقاء ومعارفي وتلاميذ ومحبي ومعهد عبد الله الطيب على نشر وتعميم كتبه، وإعادة طباعة ما نفّذ منها وغابت من الأسواق، وهي عديدة، ومن بينها ديوانه الشعري "أربع دمعات على رجال السادات"، وكذلك كتابه "الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان" والذي في أصله مجموعة محاضرات علمية مفيدة للغاية حول النثر الفني في الحقب المتعاقبة في السودان من عصر الفونج والتركية والمهدية إلى العصر الحديث، وقد أعدّها عبد الله الطيب لطلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية في القاهرة، جامعة الدول العربية. وطُبع الكتاب بمطبعة نهضة مصر في عام 1959م، والآن غير متوفّر في الأسواق. كما ينبغى نشر ورقته التي قدّمها في الاحتفال الألفي بالمتنبي المعقود في العاصمة

العراقية بغداد نوفمبر (تشرين الثاني) 1977م، والتي صدرت باسم "الطبيعة عند المتنبي" عن دار الحرية للطباعة ولا يوجد هذا الكتاب إلا في بعض المكتبات العربية، وذلك ليتيسّر الإطلاع عليها والإفادة منها. كما عندي رجاء قوي من القائمين بمعهد عبد الله الطيب للغة العربية في السودان، بأن يقوموا بتعريف هذه الشخصية ومؤلفاته العلمية خارج السودان، ففي جانب يعرف جميع أهل السودان حتى الأطفال الصغار، شخصيته وقامته العلمية وفي جانب آخر يجهله خارج السودان، حتى المهتمّون باللغة العربية والغوّاصون في بحرها. وأتوقع أن يكون بحثى هذا بمثابة نواة للبحوث المستقبلية لدراسة أعماله من نواحي شتّى، فهناك جوانب عديدة تتطلب إجراء بحث مستقل شامل.

ثبت المراجع والمصادر

الكتب:

- أحمد أبو سعد: "الشعر والشعراء في السودان"، دار المعارف، بيروت، 1959م، و مؤسسة جامعة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، "مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين"، الجزء الرابع، الكويت، 2001.

- أبو القاسم عصام: "غابة الأبنوس للشاعر الراحل صلاح أحمد إبراهيم في طبعة جديدة"، صحيفة الاتحاد، الإمارات، الاثنين 16 سبتمبر 2013.

- إلهام عبد الرحمن عثمان: "دور برامج التليفزيون غير السودانية في تغيير القيم الاجتماعية للمجتمع السودانى"، الطبعة الأولى، الدار العربية للنشر والتوزيع، 2007م.

- أحمد عبد الله سامي: "الشاعر السوداني التيجاني يوسف بشير"، الطبعة الأولى، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.

- إحسان محمد الحسن: "تأثير الغزو الثقافي على سلوك الشباب العربي"، أكاديمية نايف العربية للعلوم الإسلامية، الرياض، 1998م.

- إبراهيم إمام: "الإعلام الإذاعي والتلفزيوني"، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، 1985م.

- ابن منظور: "لسان العرب"، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، 1994، ج 5.

- إبراهيم وآخرون: "معجم العلوم الاجتماعية"، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1985م.

- إمام محمد إمام: "عبد الله الطيب..... مفسر القرآن في رحاب الرحمان"، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 8971، التاريخ 20 ربيع الثاني 1424 الموافق 21 يونيو 2003.

- أبو حيان التوحيدي، "الإمتاع والمؤاسة"، صححه وضبطه / أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، المكتبة العصرية ، د، ت، 58/2 .

- جبور عبد النور، "المعجم الأدبي"، بيروت، دار القلم للملايين، الطبعة الأولى، 1979م.

- حاجي خليفة ، "كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون"، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ب ، ت، 337/1.

- حسن بشير صديق: "عبد الله الطيب، قراءة لبحوثه في مجمع القاهرة"، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، الطبعة الأولى، 2009م.

- زكريا بشير امام: "عبد الله الطيب ذلك البحر الزاخر: دراسة تحليلية لحياة ونظرياته في الادب والحياة"، الطبعة الثالثة، الخرطوم، شركة مطابع السودان، 2008م.

- سها عبد الستار السطوحي، "السخرية في الأدب العربي الحديث – عبد العزيز البشري نموذجاً"، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007م.

- شوقي ضيف: "تاريخ الأدب العربي- عصر الدول والإمارات، الجزائر، المغرب الاقصى، موريتانيا، السودان"، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1995م.

- شوقي ضيف: "شوقي شاعر العصر الحديث"، الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة، 1975م.

- شوقي ضيف ، "الفكاهة في مصر"، القاهرة ، دار الهلال، 1958م.
- طه حسين: "من أدبنا المعاصر"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.
- عبده بدوي: "الشعر في السودان"، عالم المعرفة – الكويت، 1981م.
- عبد الله الطيب: "سقط الزند الجديد"، الطبعة الأولى، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1976م.
- عبد الله الطيب: "أصداء النيل"، الطبعة الخامسة، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1992م.
- عبد الله الطيب: "بانات رامة"، الطبعة الأولى، الدار السودانية، الخرطوم، 1970م.
- عبد الله الطيب: "سقط الزند الجديد"، الطبعة الأولى، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1976م.
- عبد الله الطيب: "الأغاني الأصيل"، الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2004م.
- عبد الله الطيب: "اللواء الظافر"، نشرت بـ"الرأي العام"، 1968/7/12م.
- عبد الله الطيب: "برق المدد بعدد وبلا عدد"، جامعة افريقيا العالمية، 1996م.
- عبد الله الطيب: "زواج السمر" الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2005م.
- عبد الله الطيب: "الشعر عند حافظ وشوقي" مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد الثالث، العدد الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، يناير-مارس 1983م.

- عبد الله الطيب: "ذكرى صديقين"، مطابع الطليعة بالكويت ، عام 1987م.
- عبد الله الطيب (شرح وتعليق): "قصيدة سويد بن أبي كاهل"، عام 1991م، مطبع غير مذكور.
- عبد الله الطيب: "مع أبي الطيب"، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم- السودان، 2004م.
- عبد الله الطيب: "نوار القطن"، مطبعة النيل للطبع والنشر، عام 1968م.
- عبد الله الطيب: "قيام الساعة" الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2004م.
- عبد الله الطيب: "الغرام المكنونٍ" الطبعة الثانية، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، 2004م.
- عبد الله الطيب: "التماسة عزاء بين الشعراء"، مطبع الدار السودانية للكتب، عام 1971م.
- عبد الله الطيب: "الحماسة الصغرى"، مطبع الدار السودانية للكتب، عام غير مذكور.
- عبد الله الطيب: "القصيدة المادحة ومقالات أخر"، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم- السودان، 2004م.
- عبد الله الطيب: "من حقيبة الذكريات" الطبعة الأولى، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1983م.
- عبد الله الطيب: "تفسير جزء عمّ" الطبعة الأولى، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1970م.

- عبد الله الطيب: "الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي"، المؤسسة العامة لمطابع التربية.
- عبد الله الطيب: "محاضرات في الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان"، القاهرة، 1959م.
- عبد الهادي الصديق: "أصول الشعر السوداني"، - دار جامعة الخرطوم للنشر 1989م.
- علي الملك: "مختارات من الادب السوداني"، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م.
- عبد القادر محمود عبد الله: "عبد الله الطيب وجريزلدا: العثور على الذات الأخرى"، الطعبة الأولى، دار نشر جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم، 2014م.
- عبد الحميد محمد أحمد: "الشعر والمجتمع في السودان"، دار الوعي - الخرطوم 1987م.
- عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدي: "تاريخ السودان"، الطبعة الأولى، دار الرشاد للنشر والتوزيع، عام2010م.
- عبد الله عبد الرازق: "تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر"، الطبعة الأولى، دار الفجر للنشر والتوزيع، 1950م.
- عباس محمود العقاد: "الديوان"، مصر، مطبعة وحدة الصيانة والإنتاج بأسوان، 1967م.
- عبد المجيد نوسي: "السخرية ومراتب المعنى"، جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السنة الخامسة، شوال 1423هـ

- عبد القادر عبد الله: "القصة التركية الساخرة"، اختيار وترجمة ، دمشق، الينابيع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1992م.
- فضيلي جماع: "قراءة في الادب السوداني الحديث"، دار جريدة عمان للصحافة والنشر 1991م.
- محمد مندور: "مسرحيات شوقي"، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1956م.
- محمد المهدي المجذوب: "نار المجاذيب"، الطبعة الأولى، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 1982م.
- محمد إبراهيم الشوش: "الشعر الحديث في السودان"، جامعة الخرطوم 1962.
- محمد بركات: " قصائد مختارة من روائع الغزل عند الشعراء المصريين والسودانيين"، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم، عام 2004م.
- محمد إبراهيم أبو سليم: "بحوث في تاريخ السودان"، الطبعة الأولى، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 1992م.
- محمد إبراهيم أبو سليم: "أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان"، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 1991م.
- محجوب عمر باشري: "روّاد الفكر السوداني"، الطبعة الأولى، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 1991م.
- محمد مصطفى هدارة: "تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان"، الطبعة الأولى، دار الثقافة العربية،

- محمد بن عبد الله السلامة: "الإعلام الإسلامي ومتغيرات العصر" الطبعة الأولى، مكتبة التوبة، الرياض، 2003م.
- محمد بركات حمدي أبو علي: "سخرية الجاحظ من بخلائه "، عمان، مكتبة الأقصى، الطبعة الثانية، 1982م.
- محمد أمين فرشوخ: "الفكاهة في لبنان – دراسة وعرض"، بيروت ، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، 1989م.
- محمد ماهر: "رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب، فكراً ومادةً"، ص114، 1988م.
- محمد غنيمي هلال: "الأدب المقارن"، طبعة نهضة مصر للطباعة والنشر، 1998م.
- مؤسسة جامعة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري: "مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين"، الجزء الرابع، الكويت، 2001م.
- نعوم شقير: " تاريخ السودان"، الطبعة الأولى، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.
- النويهي محمد: "الاتجاهات الشعرية في السودان"، معهد الدراسات، القاهرة، 1957.
- نبيل حداد وآخرون: "تداخل الأنواع الأدبية"، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، جامعة اليرموك، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008م، المقدمة.
- نعمان طه، "السخرية في الأدب العربي"،

الصحف والمجلات:

- الصحيفة: "اليوم" الصادرة عن شركة اليوم للطباعة و النشر و التوزيع من السودان " نشريات 20 يونيو سنة 2003م.
- الصحيفة السودانية الطباعة لعشرين يونيو سنة 2006م.
- جريدة "الشرق الأوسط" يوم السبت 5/ جمادي الأولى 1424هـ، الموافق 5/يوليو عام 2003 العدد 8958
- تركي مصطفي: "وسائل الإعلام وأثرها في شخصية الغزو"، مجلة الفكر ج 14، وزارة الإعلام الكويتية 1984م.
- الدكتور عبدالسلام الهراس: "عبد الله الطيب.. بروز في مواقف التحدي"، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 9017، التاريخ 7 جمادي الثاني 1424 الموافق 6 أغسطس 2003.
- المنشور عن جائزة الملك فيصل العالمية، رسالة كلية البنات، العدد 15 ص 16، التاريخ 7 مارس 2000.
- أحمد الزين حسن: "سيرة البروفيسور عبد الله الطيب"، الرأي، الخرطوم، 24 سبتمبر 2011.
- السفير سالم حسان البر: "الراحل عبد الله الطيب واللغة العربية"، صحيفة الخرطوم اليومية، السودان، 3 يوليو 2003.
- الفاتح إبراهيم أحمد: "لا بد من العودة إلى أصولها"، مجلة الدوحة، قطر، العدد 5، 1981م.

- عبد الله الطيب: "كلمة الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب، ممثل الوفود المشاركة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 73، الجزء 3.
- عبد الله الطيب: مجلة "حروف" من تجارب تعليم العربية في إفريقيا، العدد 3/2، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1990-1991م.
- الملحق الثقافي الأدبي الصادر أسبوعياً عن صحيفة "الراية"القطرية، الدوحة، العدد 649، 1987م.
- صحيفة الوسط البحرينية - العدد 304 - الإثنين 07 يوليو 2003م الموافق 07 جمادى الأولى 1424هـ
- عبدالحئ القاسم عبدالمؤمن عمر: "حياة البروفيسور عبد الله الطيب"، ورقة المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية.
- رصد وفاء طه: "جريزلدا الطيب بنادي القصة السوداني" الصحافة، الخرطوم، ليوم 15 مارس 2011.
- الدكتور محمود السيد الدغيم: "رحيل عميد الأدب في السودان عبد الله الطيب المجذوب"، صحيفة الوسط، العدد 304، التاريخ 7 يوليو 2003.
- قصاصة لصحيفة "اليوم" الصادرة عن شركة اليوم للطباعة و النشر و التوزيع من السودان " نشريات 20 يونيو سنة 2003م.
- الصحيفة السودانية الطباعة لعشرين يونيو سنة 2003.
- محمد السيف،: "إبراهيم القرشي: أرجع عبد الله الطيب دعاوي التجديد لدى نزار والبياتي"، الشرق الأوسط اللندنية، العدد 8958 يوم السبت 5/ جمادي الأولى 1424هـ، الموافق 5/يوليو عام 2003.

- الدكتور محمود السيد الدغيم: "رحيل عميد الأدب في السودان عبد الله الطيب المجذوب"، صحيفة الوسط، العدد 304، التاريخ 7 يوليو 2003

- الدكتور عبدالسلام الهراس: "عبد الله الطيب.. بروز في مواقف التحدي"، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 9017، التاريخ 7 جمادي الثاني 1424 الموافق 6 أغسطس 2003.

- الصديق عمر الصديق: "السخرية والطرفة عند عبد الله الطيب"، التوثيق، السودان.

- أحمد بن علي آل مرعي: "مفهوم السخرية في الأدب وقيمتها"، المجلة العربية ، الرياض، العدد 215، السنة الثامنة والعشرون ، ص107.

- رامي أبو شهاب: "مصطلح السرقات الأدبية والتناص"، "مجلة علامات في النقد"، جدة ، النادي الأدبي، المجلد السادس عشر، الجزء الرابع والستون، صفر 1429هـ، ص328.

- الصديق عمر الصديق: "في مجلس عبد الله الطيب"، صحيفة الراي العام، الجمعة 2003/6/27م، ص10.

- الدكتور خالد محمد فرح، "العادات المتغيرة في السودان النيلي لعبد الله الطيب وترجمته إلى العربية"، صحيفة "سودانيل"، يوم 2 يناير 2013م.

التسجيلات الصوتية:

- "تاريخ اللغة العربية في السودان"، تسجيل صوتي، (إشراف) أمينة صالح إدريس: الخرطوم، الهئية القومية للإذاعية السودانية، 2000م، -ن- 32075-20ر26ق.

- "اللغة العربية"، تسجيل سمعبصري، الخرطوم: الهيئة القومية للتلفزيون السوداني، 1998م- بتكام أستديو 1536.
- "اللغة العربية الفصحى واللهجات العامية وأثرها في قومية الثقافة العربية ومحليتها"، القصيدة المادحة ومقالات أخر، ص67-72.
- "مشكلة الأداء في اللغة العربية"، مجمع اللغة العربية، ع 3، ص4-7، 1999م.
- "قراءات في مجلة الدوحة"، تسجيل سمعبصري، الخرطوم: الهيئة القومية للتلفزيون السوداني، 1998م، بتكام أستديو 6237.
- "من أحاديث الشباب"، الجامعة ع4، ص29-34، 1973م.
- "الحديث عن برنامج تفسير القرآن الكريم"، تسجيل سمعبصري، الخرطوم: الهيئة القومية للتلفزيون السوداني، 1998م، بتكام أستديو، 6237-38220.
- "حلقات تفسير القرآن الكريم"، تسجيل صوتي، الخرطوم: الهيئة القومية للإذاعة السودانية، 1958م، حتى 1969م، س، ن حوالي 800 حلقة.

مواقع الإنترنت:

- عثمان طارق، "البطانة.. سهل الماشية والشعراء"، صحيفة البيان الإماراتية، 10 أكتوبر 2015،

http://www.albayan.ae/one-world/correspondents-suitcase/2015-10-10-1.2477524

- إدريس ولد القابلة، "طرائف وكواليس الدروس الحسينية في عهد الحسن الثاني"، موقع الرأي المستنير:
http://www.arayalmostenir.com/node/1017
- محمد نجيب محمد علي، "شاعر الدهليز-توفيق صالح جبريل، الجزيرة نت، 2014/11/25،
http://www.aljazeera.net/home/print/f6451603-4dff-4ca1-9c10-122741d17432/29964631-9e82-400f-95ce-088615735527
- الأستاذ محمد الواثق، وثائق محاضرات سنوية عبد الله الطيب،
http://www.sudanelite.com/vb/showthread.php
.2016/06/20
- http://www.tawtheegonline.com/vb/showthread.php?p=44909
- http://ecat.kfnl.gov.sa:88/ipac20/ipac.jsp?session=146751V8759T6.350899&profile=akfnl&uri
- http://www.alwasatnews.com/mobile/news-319651.html
- http://www.alriyadh.com/Contents/27-07-2003/Mainpage/Thkafa_7153.php
- http://www.aljazeera.net/home/print/f6451603-4dff-4ca1-9c10-122741d17432/cf36a2bd-cd42-4171-9a11-48bbeb8f37f6
- http://www.un.org/arabic/news//ar/print.asp?newsid=16134
- كلمة الدكتور محمد ماء العينين سفير المغرب لدى السودان، في ندوة العلامة عبد الله الطيب، بجامعة الخرطوم.

http://www.assayha.net/play.php?catsmktba=10460

- فيديوهات محاضرات عبد الله الطيب "سير وأخبار" المتوفرة على موقع "يوتيوب"

https://www.youtube.com/watch?v=X-auC8H5wA0

وكذلك

https://www.youtube.com/watch?v=qypZDMOgTaE

- فيديو الدكتور عبد الله الطيب "ندوة بمحنة المثقفين العرب" الجزء الأول، موقع يوتيوب،

https://www.youtube.com/watch?v=psRIRQFRiWM

- https://www.youtube.com/watch?v=psRIRQFRiWM

- مستفاد من الجزء الثاني من فيديو المحاضرة لعبد الله الطيب

https://www.youtube.com/watch?v=nxsNzP3oEz8

- سليمان عبد الله حمد، "عبقري الحداثة البروفيسور عبد الله الطيب"، رابطة أدباء الشام http://www.odabasham.net/ 25 نوفمبر 2016.

- الدكتور محمد ماء العينين سفير المغرب لدى السودان، في ندوة العلامة عبد الله الطيب، بجامعة الخرطوم.

http://www.assayha.net/play.php?catsmktba=10460

محتويات البحث

م	الموضوع	رقم الصفحة	
		من	إلى
1	المقدمة.	4	10
2	الباب الأول. عبد الله الطيب حياته وآثاره	11	50
	الفصل الأول: البيئة والمولد والمنشأ والتعليم	14	26
	الفصل الثاني: خلقه وصفاته الحسنة	27	43
	الفصل الثالث: مرضه ووفاته وانطباعات العلماء	44	50
3	الباب الثاني. إسهامات عبد الله الطيب في الشعر العربي	51	113
	الفصل الأول: أضواء على الشعر والشعراء في السودان	52	69
	الفصل الثاني: الدراسة في الدواوين الشعرية لعبد الله الطيب	70	95
	الفصل الثالث: الخصائص الجمالية في شعر عبد الله الطيب	96	113
4	الباب الثالث. إسهامات عبد الله الطيب في النقد والأدب والبحث	114	184
	الفصل الأول: إسهامات عبد الله الطيب النقدية	115	131
	الفصل الثاني: إسهامات عبد الله الطيب الأدبية	132	176
	الفصل الثالث: إسهامات عبد الله الطيب البحثية	177	184
5	الباب الرابع. إسهامات عبد الله الطيب عبر الدروس الإذاعية والتلفزيونية	185	228
	الفصل الأول: دور التلفزيون والراديو في البناء الثقافي والاجتماعي عند عبد الله الطيب	186	194

	الفصل الثاني: محاضرات عبد الله الطيب الإذاعية والتلفزيونية	195	207
	الفصل الثالث: محاضرات عبد الله الطيب في الجامعات والمجامع والنوادي حول قضايا اللغة العربية وفيما عاشته	208	228
6	خاتمةالبحث	229	232
7	ثبت المصادر والمراجع	233	245

Contribution of Abdulla El Tayyib to the Arabic Studies: (An Analytical study)

Ishaamaatu Abdilla Al Taiyib fi al-Diraa'ssat al-Arabiyah (Diraasah Tahleeliyah)

Submitted to Jawaharlal Nehru University in partial fulfillment of the requirements for the award of the Degree of

DOCTOR OF PHILOSOPHY

BY

OBAIDULLAH KHAN

Under the supervision of

PROF. RIZWANUR RAHMAN

Centre for Arabic and African Studies

School of Language, Literature & Culture Studies

Jawaharlal Nehru University

New Delhi-110067

2016